أثر الظُروف النفسية والاجتماعية

فى سُلوك الداعَية

أ.د. محمد أبو زيد الفقي

الطبعة الثانية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام الطيبين، اللهم ارزقنا حبل وحبه، وأكرمنا بفضله، إنك سميع قريب مجيب.

وبعد:

فهذه الدراسة تدور حول أثر الظروف الاجتماعية والنفسية. فى سلوك الداعية، وأهمية هذه الدراسة ترجع إلى أن الدعاة هم المكلفون بعد النبي صلى الله عليه وسلم بإبلاغ رسالته إلى الناس عامة، وهذا البلاغ بالصورة المطلوبة من الشارع سبحانه وتعالى لا يتم إلا إذا كان يعبر عن منهج القرآن الكريم، ويسير على سنة النبي صلى الله عليه وسلم، هذا من ناحية البلاغ، ومن ناحية الأداء فلا مناص من التزام منهاج النبي صلى الله عليه وسلم لكل داعية، حتى تنساح الدعوة الإسلامية فى أرض الله سبحانه وتعالى.

وحال الدعاة فى العصر الحاضر يختلف اختلافا بينا عن حالهم فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، الذين أسسوا للإسلام دولة، وجعلوا له شوكة ؛ بصبرهم على الحق، وهجومهم على الباطل لدحره، ورفع راية الحق مكانه.

أما معظم الدعاة فى هذه الأيام، فقد اختلفوا اختلافا شديدا فى أسلوب دعوتهم إلى الله، وأخذ هذا الاختلاف اتجاهين:

الأول: اختلاف حدث بين منهجهم فى الدعوة، ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح من بعده.

الثاني: اختلاف بين الدعة أنفسهم فى أسلوب دعوتهم ومنجهم فيها، فهذا صوفي وذاك سني، وآخر متزمت، وآخر متحرر، إلى آخر هذه التقسيمات التى استلزمت التضارب والتطاحن والاختلاف الشديد، الذى جعل العامة والخاصة ينصبون من أنفسهم حكاما على وسائل الدعاة وأساليبهم.

وإزاء هذا الوضع الغريب من الدعاة، كان لابد من البحث عن أسباب هذا الانحراف فى السلوك، وعن المؤثرات التى أدت إليه، لأن خطورة انحراف سلوك الدعاة لا تقف عندهم وحدهم، وإلا لكان أمرا متحملا، ولكن هذا الانحراف يتعداهم

إلى الدعوة الإسلامية نفسها، فهناك من يتربصون بالدعوة والدعاة، ويسجلون كل انحراف فى سلوك الدعاة ليحسبوه على الدعوة الإسلامية وما هو منها، وهؤلاء المتربصون إما أن يكونوا من أعداء الإسلام المعروفين، أو يكونوا من أعداء الفضيلة وعشاق الرذيلة الذين يعيشون بين ظهرانينا، عليهم سمات الإسلام ولكنهم يضمرون له ولدعاته أشد أنواع العداء، ويسجلون لهم وعليهم كل نقيصة.

ومن أجل دعوة إسلامية عزيزة غالبة، ودعاة لهم من العزة والكرامة ما يؤهلهم للقيام بأعباء هذه الدعوة، اخترت هذا البحث لمعرفة السبب فى سلوك الدعاة ومعالجته.

ومع إيماننا بأن دين الله الذى هو مجال دعوة الدعاة ليس فيه ما يؤدي إلي الانحراف، بل هو من أوله لآخره قد جاء لإخراج الناس من الظلمات إلي النور، وهدايتهم إلي الصراط المستقيم.

وهناك ظروف متعددة ومتنوعة متغايرة ومتشابكة لعبت دورا بالغا فى التأثير على هؤلاء الدعاة، ومنها الظروف الاجتماعية والنفسية والتي كانت السبب المباشر فى انحراف سلوك الدعاة، ولذلك اهتمت هذه الدراسة بالظروف الاجتماعية والنفسية للدعاة وتأثرهم بها، وجاء منهاج البحث فيها ليغطى أبرز الجوانب الاجتماعية والنفسية التى تؤثر فى سلوك الداعية، ثم نماذج من انحراف الدعاة كنتيجة حتمية لهذه الظروف. والبحث يسير على النحو التالي:

1- مقدمة.

تمهيد: يكشف عن وجود الأصول النفسية في القرآن الكريم والسنة الشريفة، ويبين تطور علم النفس بالنسبة للداعية، وأن نجاح الداعية نجاح للدين والدولة معا.

الباب الأول: عنوانه: أثر الظروف الاجتماعية في سلوك الداعية، ويشتمل على ثلاثة فصول عن الظروف الاجتماعية وأثرها على الداعية.

الفصل الأول: الأسرة وأثرها على الداعية، وانتقال الصفات الوراثية عن طريق الأسرة، مثل الشر والخير وغيرهما، ووجود ذلك في القرآن والسنة وعلم الوراثة وعلم النفس والاجتماع.

الفصل الثاني: الإعلام وأثر الصليبية فيه، ويتحدث عن جذور العداء للإسلام من زمن الدعوة الأول إلى وقتنا الحاضر، مرورا بالحروب ضد الإسلام إلى الحروب الصليبية، إلى الحملة الفرنسية التي أرست جذور الفساد في جوانب كثيرة من الحياة في مصر وخاصة أجهزة الإعلام.

الفصل الثالث: عن الحكم الشرعي والحكم الوضعي وأثرهما، ويتحدث هذا الفصل عن قيادة الداعية للمجتمع في الحكم الشرعي، وعن حرية الرأي، وعن فقدان القيادة في الحكم الوضعي، وأضم حلال ثقافة الداعية وسلبيته، وهروبه من المواجهة واحتراف أعمال أخرى.

2- **الباب الثاني: وعنوانه:** أثر الظروف النفسية في سلوك الداعية، ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الشخصية السوية والشخصية المرضية وأثرهما سلباً وإيجابا، وفيه بيان الشخصية السوية والمرضية في القرآن والسنة وعلم النفس وأثرهما على الداعية.

الفصل الثاني: مكتسبات الشخصية الفردية من الشخصية العامة، وفيه بيان الشخصية الفردية للداعية وللأزهر كمؤسسة دينية، وكيف أن الداعية تأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، وفيه بيان الجهات التي تؤثر في الرأي العام وتصنع الشخصية العامة وللأسف معظمها غير إسلامي.

الفصل الثالث: دراسة النفس للوقاية والعلاج، ويشتمل على تمهيد عن مواقع المرض النفسي في القرآن، ثم العلاج في القرآن والسنة، ثم العلاج عند علماء النفس، ثم العلاج المختار وهو العودة للعلاج بالقرآن، وهذا الاختيار الأخير من خلال علماء النفس أنفسهم.

3- **الباب الثالث:** نماذج الانحرافي الاجتماعي والنفسي، ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التزمت والجمود في العمل والسلوك: وفيه التزمت والجمود في العمل والسلوك بالنسبة للأزهر كمؤسسة تضم معظم الدعاة بالنسبة لكل الجامعات الإسلامية وأسباب ذلك عند الطرفين.

الفصل الثاني: المشاركة العامة واستباحة المجالس المحرمة: وفيه تحريم المشاركة واستباحة المجالس المحرمة في القرآن والسنة وعند العلماء.

الفصل الثالث: تحريف الدعوة والتلون بها: وفيه بيان التلون بالدعوة في القرآن والسنة، ونماذج لبعض الدعاة من مختلف أرجاء العالم الإسلامي.

وكانت الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة ترجع إلي تنوع أبواب وفصول الدراسة، ومحاولتي تأصيل بعض الفصول، وعلى سبيل المثال عندما حاولت الكشف عن العداء الموجود في أجهزة الإعلام ضد الدعاة، وحاولت أني أرد كل السخرية في أجهزة الإعلام ضدهم، وجدت أن من أصولها الأصيلة والمهمة رواية "طرطوف" للكاتب الفرنسي "موليير" والتي مثلت على مسارح مصر باسم "الشيخ متلوف"، وظهرت في جريدة أخبار اليوم بهذا الاسم، هذه الرواية وحدها لم أحصل عليها إلا بعد ستة أشهر من البحث.

وكانت هناك صعوبة أيضا في سير البحث ؛ لأنه يدور حول السلوك المنحرف للدعاة وهم من أعز الناس وأقربهم إلى قلبي، فما كان يطلبه البحث كانت تأباه العاطفة، وكان لابد من السير على الشوك للموائمة بين جدية البحث العلمي والعاطفة الجياشة تجاه هذه المجموعة من الناس، الذين يحملون أمانة الدعوة المحمدية ورسالة الإسلام الشاملة.

بقى إيضاح وهو أن هذه الدراسة تعالج السلوك المنحرف اجتماعيا ونفسيا لبعض الدعاة وليس للكل، وهى تعالج ولا تنقض، وتأمل لصاحب السلوك المنحرف أن يعود للصراط المستقيم، ومع ذلك فإن علاقة هذه الرسالة بأصحاب الفضل من الدعاة علاقة التبجيل والتوقير والاحترام، فمنهم تعلم صاحبها، وكان يقيس عليهم سلوك الدعاة، لأنهم هم المثل العليا فى الإخلاص للدعوة الإسلامية، وهذه النوعية من الدعاة المخلصين موجودة، وعددهم بفضل الله كثير.

إن هذه الدراسة ليست نقضا لعهد الأزهر الشريف الذي يشع نوره على العالم أجمع، وليست نقداً للدعاة، إنما هي اعتذار لما قد يبدر من أحدهم ورد هذا السلوك إلي أصله، وفي خلال هذه الدراسة سنكتشف مدي صعوبات والضغوط التي يواجهها الدعاة، وأي حرب تشن عليهم لا يهدأ سعيرها، وأنهم لو أتيحت لهم الفرص لقادوا السفينة إلي بر الأمان، وهناك علي الشاطئ الآخر سيكتشف الناس أي خير سار بهم الدعاة إليه.

إن مشاكل الدعاة ليست من عندياتهم في بعض الأحيان، ولكنها نتيجة لظروف المجتمع الاجتماعية والنفسية، ومن الظلم أن يلقي بالعبء كله عليهم وحدهم، و هذه الرسالة تدافع عنهم، وتلتمس لهم العذر، وترشدهم إلي تنوع سلوكهم، وأن معظمه لا يخدم دعوتهم وإنما يخدم أمراضا نفسية، وعللا اجتماعية، وعليهم علاج أنفسهم حتى يحصلوا علي سعادة الدارين، الدنيا والآخرة، خلفا لحبيبهم صلى الله عليه وسلم.

وبعد:

هذا جهدي، فإن كنت قد أصبحت بفضل الله ومذته، وإن كنت قد قصرت فأرجو الله أن يغفر لي، وأن يرزقني أجر المجتهد إذا أخطأ.. وعلى كل حال فالصواب في هذه الدراسة من الله والخطأ من نفسي، {**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**} الآية[1]، صدق الله العظيم، عليه توكلت وإليه أنيب.

أ.د. محمد أبو زيد الفقي

تمهيد

[1] النساء: 79

إن دخول علم النفس زمرة العلوم التجريبية لم يتم إلا حديثاً جدا، نعنى منذ أواخر القرن التاسع عشر وخلال هذا القرن، وهو آخر العلوم التي انفصلت عن شجرة الفلسفة، ولا يزال على الرغم من التقدم العظيم الذي أحرزه لم يبلغ بعد ما يمكن أن يقال أنه المرحلة العلمية النهائية، والعلة في ذلك أن النفس الإنسانية معقدة أشد التعقيد، ويصعب إخضاع كثير من ظواهرها للقياس والتجارب وهما شرطا العلم الصحيح بمعنى الكلمة[1]، وإذا كان هذا الكلام يصدق على ما وصل إليه علم النفس من وجهة نظر علماء النفس، إلا أن المسلمين لديهم المصادر التي تعتبر علما نهائيا في هذا المجال ومنها القرآن الكريم والسنة الشريفة، يضاف إلى ذلك - ولكن ليس على نفس المستوى - التحليل النفسي لعلماء الإسلام مثل الغزالي والفارابي وابن مسكويه وكثير من الأعلام في هذا المجال، كما يضاف إلى ذلك - أيضا - كل أحاديث علماء التصوف المسلمين عن النفس البشرية، وإذا أراد المسلمون إنشاء علم نفس خاص بهم فإنهم ليسوا في حاجة البحث عن الحقائق اليقينية في هذا المجال، فالقرآن الكريم يكفل لهم ذلك بالإضافة إلى السنة الشريفة.

وأزمة العالم الإسلامي في مجال علم النفس ليست أزمة مصادر، إنما هي أزمة بحث في هذا المجال (ولا شك أننا في حاجة إلي مزيد من الاهتمام بدراسة التراث الإسلامي، مبتدئين بالقرآن الكريم والحديث الشريف، ثم متتبعين تطور التفكير في الدراسات النفسية لدى الفلاسفة والمفكرين المسلمين، بهدف استعيابا المفاهيم النفسية الإسلامية استيعابا صحيحا، يكون هاديا لنا في دراساتنا النفسية، وعونا لنا في تكوين نظرياتنا الخاصة عن الشخصية الإنسانية، بحيث نجتمع بين دقة البحث العلمي الأصيل، والحقائق التي وردت في القرآن الكريم عن الإنسان، وهي حقائق يقينية ؛ لأنها صادرة عن الله تعالي خالق الإنسان)[2]

وعلم النفس الإسلامي يترقى بالإنسان وينظر له من كافة الجوانب على أنه روح علاقتها بعالم الغيب وعلمها عند الله {**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**}[3]، وينظر للنفس الإنسانية نظرة متحركة لأعلى ولأسفل، فإذا ارتقت لأعلى - بالسير على طريق الله - سماها المطمئنة {**يأيتها النفس**

---

[1] د.عبد الكريم العثماني: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص ص3 مكتبة وهبة 1981.

[2] د.محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس ص23 ط دار الشروق 1985

[3] الإسرار: 85.

المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية}[1]، وإذا هبطت لأسفل وسارت في طريق المعصية والغواية ـ طريق الشيطان ـ سماها الأمارة بالسوء {**وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم**}[2]، وإذا ظلت في حالة بين الحالتين لا هي التي صعدت ونجت بنفسها، ولا هي التي هبطت وضاع منها الأمل في الخلاص فعند ذلك يخلع عليها القرآن الكريم الوصف المناسب ويسميها النفس اللوامة {**ولا أقسم بالنفس اللوامة**}[3].

هذه الإحاطة بالشمول في النظرة إلى جوهر النفس البشرية لا توجد عند علماء النفس الذين لا يلتزمون بالمنهاج الإسلامي في بحثهم، والقرآن الكريم من أوله إلى آخره هو علاج للنفس في كل صورها، و {**لو تركت النفس البشرية دون تهذيب وتأديب لانحرفت واندفعت نحو النقائص وابتعدت عن السوية وتزاحمت فيها الخواطر المذمومة وغلب عليها الرياء والكبرياء**}[4]، فالقرآن الكريم كتابها وفيه علاجها، والسنة الشريفة وضحت المهم من العلاج، وهي مع القرآن يكونان أعظم علاج للبشرية، فليضع علماء النفس نظرية في كل عام أو شهر أو يوم، ولكنهم لن يصلوا إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب»[5]، وأعلى درجة للثبات النفسي وأكبر برهان على الصحة النفسية هو أن يملك الإنسان نفسه عند الغضب.

وعند الكلام عن الأمراض النفسية في داخل هذه الدراسة سيبدو بوضوح أن صاحب النفس المريضة لا يمكنه أن يملكها في الحالات العادية فما بالك بساعة الغضب (وفي الناس من إذا خاصم أو غضب فقد قوته، وذهب عنه حلمه، وهو

---

1 الإسراء: 85.

2 يوسف: 53

3 القيامة: 2.

4 د. لطفي بركات أحمد: الطبيعة في القرآن الكريم ص 49، دار المريخ، الرياض، السعودية 1981

5 رواه أبو هريرة وأخرجه البخاري ص34 باب الأدب، مجلد 3 ص 1 مطابع الشعب.

أضعف الناس وأقلهم قدار وأخفهم وزنا ولا يظهر الرجل إلا بقوته على نفسه وسيطرته عليها إذا غضب)[1].

ومن النماذج السابقة ينتهي البحث إلى أن أساس علم النفس موجود في القرآن الكريم والسنة الشريفة وعلم الاجتماع أيضا أساسه في القرآن الكريم، (وعلم الاجتماع الإسلامي هو العلم الذي يدور في فلك الشريعة الإسلامية، سواء على مستوى الفهم السوسيولوجي لها أو من خلال التطبيق، مع تقديم صورا واضحة لبنية المجتمعات الإسلامية، سواء كما صورتها الشريعة الإسلامية أم من خلال الواقع التاريخي)[2]

ومن العجيب أن يكون عندنا أساس هذه العلوم، ويأتي العصر الحديث ويهتم العالم كله بدراسة علم النفس وتطبيق نتائجه على كل أفراد المجتمع، ثم تخصيص فرع من علم النفس أو علم الاجتماع لخدمة نمط معين من البشر، وأصبح لكل نشاط في المجتمع فرع من علم الاجتماع والنفس لخدمته ومحاولة رفع كفايته الإنتاجية إلى أعلى معدل من الآداب، ونأخذ نماذج من خلالها تشعب مجالات علم النفس وهى كالآتي:

1- علم النفس التعليمي:

(ولقد اتسعت مجالات المباحث النفسانية وتشعبت منذ بداية القرن الحاضر، حتى كان من الضروري تقسيمها إلى مجموعات، ينفرد بالبحث فيها فرع خاص من فروع علم النفس، ويعنينا من هذه الفروع علم النفس التعليمي ويبحث في عقلية الفرد باعتباره فردا ناميا يتلقى العلم والمعرفة، وقد يسمى علم النفس التربوي ويبحث في عقلية الفرد باعتباره فردا في دور التربية والتهذيب)[3] فهذا العلم يهتم بنفسية التلاميذ من زاويتين، زاوية أنهم في مرحلة من مراحل التعليم ـ علم نفس تعليمي ـ وزاوية أنه في مرحلة تربية ـ علم نفس تربوي.

2- علم النفس الصناعي:

(استرعى انتباه رجال الصناعة أن الآلات المتشابهة لا تنتج في الغالب إنتاجا

---

[1] محمد بن سالم البيجانى: إصلاح المجتمع ص 198، ط دار العلم، بيروت، لبنان 1983.

[2] د.صلاح الفوال: التصوير القرآني للمجتمع ص 16، دار الفكر العربي 1985.

[3] حامد عبد القادر: علم النفس التعليمي ص 24، ط نهضة مصر بالفجالة 1956

متشابها، سواء في الكمية أو في الجودة، وقد لاحظوا أن هذا الاختلاف في الإنتاج يرجع إلى اختلاف العمال الذين يديرون هذه الآلات، ودفعهم ذلك إلى الاهتمام بالفروق الفردية بين العمال ومعرفة مقدارها ومداها وتحديد آثارها على الإنتاج)[1]. وبهذه الدراسة العلمية لأحوال العمال وملاحظة الفروق الفردية بينهم، يمكن من خلالها الحصول على عائد كبير من الإنتاج، مع حل مشاكل العمال النفسية على اعتبار أنهم بشر، ومادامو كذلك فتأثرهم بظروفهم الخاصة والظروف البيئية حولهم أمر لا مفر منه.

3- علم نفس ذوى العاهات:

(إن مجرد الشعور بالاختلاف عن العاديين يسبب للفرد حالة قلق نفسي، وكما نعلم لا يمكن الفصل عادة بين نواحي القصور الجسمي والشعور النفسي، فالارتباط بينهم وثيق)[2]، لا شك أن هذا الكلام لا يقبل على إطلاقه إلا مع غياب عنصر الإيمان بالله والرضي بقضائه ؛ لأن المؤمن مهما كان به من عاهات أو أمراض فإيمانه بالله يجعله فراد عاديا أو سويا أكثر من الإنسان العادي أحيانا، وما قصة نبي الله أيوب من ذلك ببعيد، وعلى كل حال هذه النبذة جاءت هنا لبيان اهتمام علم النفس بأكثر من مجال.

4- علم نفس الشواذ:

(إن الاضطرابات السلوكية أو الأمراض النفسية والعقلية ليست وليدة العصر الحديث بحضارته وإنما يوجد كثير من الأدلة التاريخية على معاناة البشرية من الأمراض النفسية والعقلية منذ العصور الأولى للتاريخ. لقد كان الناس في العصور الأولى للتاريخ يفسرون الأمراض النفسية والعقلية على أساس وجود أرواح شريرة تدخل الجسم وتسبب له اضطرابات وظائفه النفسية والعقلية، ولذلك كان المصابون بالأمراض النفسية والعقلية يودعون غياهب السجون)[3]، هذا من ناحية تاريخ

---

[1] د. محمد عثمان نجاتي: علم النفس الصناعي ص1، ط النهضة العربية، ط. ثانية 1964.

[2] د. مختار حمزة: سيكولوجية ذوى العاهات والمرضى ص 132، ط. دار المجتمع العلمي بجدة 1979.

[3] شيلدون كاشدان: علم نفس الشواذ، ترجمة د. محمد عثمان نجاتي، د. أحمد عبد العزيز سلام ص13، ط دار الشروق 1982.

الانحراف والشذوذ ولكن عن المنحرف نفسه يقول: (والجانحون هم على وجه عام أشخاص يتميزون بعدم الاكتراث بالأعراف والقوانين العامة وعدم الاستفادة من الخبرات والتجارب السابقة، وعدم الإحساس بالندم والشعور بالذنب)[1].

5- علم نفس الشك:

والشك كصفة نفسية له علم مستقل، يبحث أسبابه وأعراضه وعلاجه، (والشك السيكولوجي قد يتبدى في الشك في الذات، والشك في ذات. الشخص يمكن أن يتخذ أشكالا متباينة وموضوعات كثيرة، ومن تلك الموضوعات التي يمكن أن ينصب عليها الشك الذاتي خيرية الفرد وهل هو خير أم شرير)[2]. وكل هذه الأمراض لها علاج في القرآن والسنة والتزام شريعة الله سبحانه وتعالى، فالمقابل للشك اليقين، واليقين أساس الإيمان.

6- علم نفس الأدب:

(من الواضح أن علم النفس من حيث هو دراسة للعمليات النفسية يمكن أن يدرس الأدب، مادامت النفس البشرية هي الرحم الذي تتكون فيه شتى مبدعات العلم والفن، لذلك يتوقع من البحث السيكولوجي أن يفسر لنا أولا طريق تكون العمل الفني، وأن يكشف لنا ثانيا عن العوامل التي تجعل من شخص ما فنانا)[3]. وعلم النفس بهذه الاستخدامات الكثيرة ليس الهدف منه علاج حالات معينة فحسب، بل الهدف منه في كل مجال زيادة الإنتاج وتحسين الأداء، وبعد تأسيس علم نفس الدعوة والدعاة سيكون ذلك أيضا لزيادة وتحسين الأداء.

7- علم نفس المراهقين:

(والأم الصالحة للمراهقة أو المراهق يجب أن تكون صاحبة حس صادق وحدس سابر لأعماق الواقع، بل وسابر لأعماق ابنها المراهق وابنتها المراهقة، ذلك أن الناس جميعا إذا ما تهيأت نفوسهم بالهدوء النفسي والاستقرار الوجداني،

---

[1] المرجع السابق، ص 16.

[2] يوسف ميخائيل سعد: سيكولوجية الشك، ص 22، ط. مكتبة غريب 1983م.

[3] د. سامي الروبى: علم نفس الأدب، ص 225، دار المعارف 1971.

فإنهم يتسلحون عندئذ بسلام الحدس، الذي يمكنهم من الوقوف على الحقائق من حولهم، بغير ما حاجة إلى وقائع محسوسة يستندون إليها)[1]. جاء هذا الكلام هنا للتدليل على وجود علم النفس للمراهقين، ولكن الباحث لا يسلم بما جاء في هذا الكلام، حيث إن المؤلف يحاول أن يضفى على كل الناس صفات لا تتوافر إلا للأنبياء أو المؤمنين على أحسن الفروض، ويصعب تصورها لكل الناس.

8- علم نفس الأحداث:

(وإذا كان إجراء الصغار يرجع في الغالب إلى البيئة المنحرفة وإلى ظروف عارضة ولا يرجع إلى نزعات إجرامية متأصلة في نفوسهم، فستبقى هذه المشكلة تهدد كيان المجتمع وتؤدى إلى خلق خلل في واقعه إذا لم تعالج بالأسلوب العلمي)[(1)].

9- علم نفس التربوي:

(إن مهمة علم النفس التربوي هي تزويد المعلم بالمبادئ النفسية الصحيحة التي تتناول التعليم المدروس أو الدراسة العلمية للسلوك الإنساني الذي يصدر خلال العمليات التربوية)[2].

10- علم نفس الديني:

ولقد انتشر علم النفس الديني في البلاد الأوربية بعد فترة طويلة من اعتناق العلماء هناك لنظريات نفسية تجعل الإنسان أقرب ما يكون إلى الحيوان، ولم تؤد هذه النظريات أي غرض له أهمية في دراسة علم النفس، وقد عاد العلماء إلى الدين على أساس أنه أقرب المصادر إلى فهم النفس البشرية، و(عالم النفس في هذه الأيام يدرس الدين لا ليكتشف كونه حقا أو باطلا، بل لمجرد أنه معنى برفاقه من البشر وبأعمال عقولهم)[3] و هم يدرسون الدين بصرف النظر عن كون الدين المدروس سماويا أو وضعيا يشتمل على الحق كله أو بعضه، و ما أحرنا نحن المسلمين بهذه

---

[1] يوسف ميخائيل أسعد: رعاية المراهقين ص 61، ط. مكتبة غريب 1977

[2] د. محمد جعفر: الأحداث المنحرفون ص 15، ط المؤسسة الجامعية ببيروت 1984م

[3] د. فؤاد أبو حطب: علم النفس التربوي ص 6، ط. مكتبة الأنجلو المصرية 1977م.

الدراسة ؛ لأن ديننا حق وكتابه لم يُبدَّل ولم يُغير {**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**}[1].

وعلى هذا تكون دراسة علم النفس الديني من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف أنفع للبشر وأقرب للحقيقة، وهناك محاولات من بعض العلماء لفهم النفس البشرية من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد خرجوا بنتائج لا بأس بها على طريق إقامة علم النفس الإسلامي، ومنها على سبيل المثال:

التوافق، (إن التوافق النفسي هو إحساس الفرد بالرضا الذاتي نحو عمله وسلوكه المرغوب في المجتمع الذي يعيش فيه، ذلك السلوك الموحد أو إن شئت فقل نمط السلوك الذي يحدث وفق معايير الجماعة ومثلها واتجاهاتها وقيمها الاجتماعية)[2]، ولذلك يعيش الإنسان في المجتمع الإسلامي سليم النفس من الأمراض، طالما أنه يعيش الشريعة الإسلامية - بشرط تطبيق المجتمع لها - وتكون هذه عبارة عن البيئة الصالحة للنمو النفسي السليم، مع القيام بجانب ذلك بالتطهير الذاتي من لفرد لنفسه و(لكننا لا يمكن أن نقول إن البيئة وحدها هي التي تكون شخصية الإنسان، فهذه البيئة ضيقة جدا بحث لا تجاوز المجتمع الصغير الذي يعيشه، فهذه نظرة أفقية تغطى مساحة محدودة لمكونات النفس البشرية)[3]، وهذه النتيجة التي خرجنا بها في دراستنا للطب النفسي النبوي تعَّبر عن شمول السنة الشريفة لجوانب النفس البشرية، لدرجة أن البيئة مع مالها من خطر في حياة البشر إلا أنها في السنة النبوية تشمل مساحة محدودة من مكونات النفس البشرية، ففي الإنسان (ذلك الكائن الغامض الذي حار العلماء في فهمه ومعرفة أسراره وخباياه، ولا سيَّما ذلك الجزء السماوي منه وأعنى به عقل الإنسان، ذلك العقل المملوء بالخبايا والأسرار أو تلك النفس مصدر القلق والآلام والحب والانتقام)[4]. وهذه الآفاق البعيدة في النفس البشرية يحيط بها القرآن الكريم والحديث الشريف.

---

[1] سريل بيرت: علم النفس الديني، ص 9، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1985، ترجمة سمير عبده.

[2] فصلت: 43.

[3] د. عزت عبد العظيم الطويل: فى النفس والقرآن الكريم ص 21، ط. المكتب الجامعي الحديث، إسكندرية 1983م.

[4] د. حسن محمد الشرقاوي: الطب النفسي النبوي ص 14، ط. دار المطبوعات الجديدة، إسكندرية 1983م.

ولقد أدى علم النفس دوره فى خدمة كثير من الهيئات والنظم الاجتماعية، وهناك (كثير من الدراسات الأدبية والعلمية، بل ومن الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تستعين بالدراسات النفسية)[1]. إذا كان ذلك ـ طبعا ـ منطقيا مع الأصول النفسية التى جاءت فى القرآن الكريم والحديث الشريف، وليست كل نظرية من نظريات علم النفس تعتبر صوابا، فكم من نظريات انتهى العمل بها الآن بعد فترة كبيرة من الذيوع والانتشار.

الدراسات النفسية والداعية:

ولقد اهتمت هذه الدراسة بدراسة سلوك الداعية وما يؤثر فيه، ليس من الناحية النفسية فقط بل ومن الناحية الاجتماعية أيضا، فالداعية لا ينعزل عن مجتمعه بل هو مؤثر ومتأثر دائما، ويستخدم فى تفكيره ـ الخاص ـ عناصر عديدة ليست كلها من الدين بالضرورة، بل من مصادر عديدة، وتنبه الداعية لهذه الحقيقة يجعله قادرا على تنقية أفكاره من الأمور الدخيلة عليها، لأن (الشخص يستخدم فى تفكيره وفى سلوكه اليومى شتى المعلومات المكتسبة دون أن يفطن إلى أنها مكتسبة أو يتذكر ظروف اكتسابها، ويجب أن نميز فى بادئ الأمر بين درجات التذكر المختلفة، فهناك ما يمكن تسميته: بالاسترجاع التلقائى، وهو حضور الذكريات فى الذهن بدون أن يكون هناك دائما مناسبات ظاهرة فى خطورتها، وقد لا يوفق الشخص فى الكشف عن بواعثها إلا بعد تحليل طويل، وربما لا يصل به التحليل إلى حكم يقينى قاطع فوصف هذا النوع من التذكر بكونه تلقائيا هو اعتراف ضمنى يجهل ظروف الاسترجاع الخفية)[2].

وهذا الغموض فى سلوك النفس الذى يجعل الدراسة النفسية والاجتماعية لسلوك الداعية غاية فى الأهمية. (إن الشخصية أو الكيان النفسى ما هى أو ما هو إلا عاقبة أو منتجا للتفاعل الاجتماعى الذى ينغمس فيه المخلوق البشرى منذ بداية اتصاله بالآخرين، هذا مع الاعتراف بوجود الطاقة الابتكارية الفردية، ولكن يجب دائما أن تتذكر أن الإنسان العصرى يرتبط بماضيه وبأسرته، وبطبقته الاجتماعية، وبخبراته التعليمية، وبمفاهيمه وعقائده الدينية، حيث يتابعه كل ذلك فى حياته ويشكل مستقبله ويحدد مصيره.. ولحسن الحظ يستطيع الإنسان أن يفهم ماضيه

---

[1] د. عبد الرحمن محمد عيسى: علم النفس والإنسان ص1، ط. دار المعارف 1980م.

[2] الشيخ / على محمد حسن العمارى: القرآن والطبائع النفسية ص3، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1966م.

بخبراته المختلفة، مما يمكنه من أن يصبح أكثر إنسانية، وأكثر استقرارا نفسيا، وأكثر قدرة على وضع طاقاته الخلاقة وقدراته الابتكارية موضع التنفيذ الواقعى والإنتاج الفعلى)[1]

والداعية المسلم هو أقدر الناس على معالجة نفسه بما تعلم من كتاب الله وسنة رسوله، ولكن بشرط أن يفهم ماضيه بخبراته المختلفة خاصة مرحلة الطفولة، لأن (مرحلة الطفولة أساسية وهامة من مراحل النمو، ففترة الطفولة هى المرحلة الأولى تكوّن ونمو الشخصية، وهى تبدأ من الميلاد حتى بداية طور البلوغ)[2]

ومن حسن حظ الداعية بالذات أنه من حملة كتاب الله- أو هكذا يجب أن يكون- وهذا الكتاب بالحفظ والدراسة والمتابعة والمراجعة والتكرار، يعطيه العلاج، ويذهب عنه الحزن،ويقيمه- اى داعية- على سواء الصراط، (ومازال كتاب الله بتعهد النفس البشرية بكل ألوان التربية حتى استقامت على الطريق، فلم ترغب فى سواه، ولم ترهب غيره، رغبت فيه عن حب، وخافت منه عن علم ويقين، وارتفعت إلى درجة الإخلاص فى القول والعمل)[3].

وإذا درست هذه الدراسة سلوك الداعية وتأثره بالناحية الاجتماعية والنفسية، واستخدمت فى ذلك علمى الاجتماع والنفس بجانب القرآن والحديث الشريف، فلم تحكم بعلمى الاجتماع والنفس على القرآن الكريم والحديث الشريف، وإنما حاولت أن تفهم حديثهما عن النفس البشرية من خلال البحث فى علمى الاجتماع والنفس فقط، اى أن علمى النفس والاجتماع استخدما فى الدراسه كعاملين مساعدين، وجاءا بعد كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وبقى سؤال: ما أهمية نجاح الداعية فى دعوته بالنسبة للمجتمع؟.. والإجابة: أن نجاح الداعية فى دعوتة بالنسبة للمجتمع هو نجاح المجتمع نفسه، فعندما يكون الداعية سوى النفس ينفع مجتمعه ودينه؛ لأن العلاقة بين الداعية

---

[1] د. محمد نبيل جامع: المفتتح فى علم المجتمع ج2، ط. دار المطبوعات الجديدة، إسكندرية 1975م

[2]. د. محمد سعيد فرج: الطفولة والثقافة والمجتمع ص117، منشأة المعارف، إسكندرية 1979.

[3] د. عبدالفتاح عاشور: منهج القرآن فى تربية المجتمع ص 159، مكتبة الخانجى، مصر 1979.

والمجتمع علاقة تأثير وتأثر، ولقد جرّب المجتمع المصرى على سبيل المثال كثيرا من الأنشطة وشجعها- ليزداد بها قوة- مثل الفن والثقافة والعلمانية والآثار والجيش والأحزاب والصحافة وأجهزة الإعلام المختلفة، وعادت عليه جميعها بالخسران المبين فى معظم الأحيان.

ولقد حان الوقت للمجتمع ليبدأ فى الاستعانة بالدعاة وتشجيعهم، وبهم سيقوى؛ لأن الاستعانة بهم تجلب القوة المستمدة من الله سبحانة وتعالى، وسيادة الشريعة الإسلامية فى المجتمع تهيئ القوة البشرية المطلوبة لدفع عجلة الحياة، و(يجب أن تهتم الدولة بالدعاة كما تهتم بجنود وضباط الجيش والشرطة، فدعاة الأمة هم حراس الشعب كله وحماته من الفتن والضلال والإنحراف، وحاجة الناس إليهم أكثر بكثير من حاجتهم للجيش والشرطة،

فإذا كانت الدولة تهتم اهتماما كبيرابإختيار وتدريب ضباط الجيش والشرطة والإنفاق عليهم ببذخ، فإن على الدولة أن تستعمل نفس الأسلوب مع الدعاة الذين يجب أن يختاروا اختيارا دقيقا بامتحان توضع له شروط تتناسب مع ما سيؤهلون له من أعمال)[1]. والقانون الحاسم فى قوة الدولة هو تبينها للعقيدة الدينية، و(والدعوة الدينية تزيد الدولة فى أصلها قوة على قوة العصبية التى كانت لها من عددها، والسبب فى ذلك أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد التى فى أهل العصبية، وتفرد الوجهة إلى الحق، فإذا حصل لهم الاستبصار فى أمرهم لم يقف لهم شئ؛ لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه)[2].

وقيادة الداعية للمجتمع تترك الحكم لله فى كل أمر، وتعامل الإنسان من الجانب القوى، جانب النفس والروح، وتطبق عليه الحقائق الصحيحة فى علاجه وتوجيهه، (والإنسان فى التصور الإسلامى ليس هو حيوان المدرسة السلوكية التى تفسر الإنسان على أنه مجموعة من العادات وردود الفعل الشرطية المنعكسة، أو مجموعة من الحالات

---

[1] أ. د. عبدالغفارعزيز: من دراسة له فى جريدة الأحرار بعنوان: الجماعات الإسلامية بين واجب الدعوة وعنف السلطة العدد 468، بتاريخ 17 / 11 / 1986 م.

[2] مقدمة ابن خلدون ص 158، ط المكتبة التجارية الكبرى.

المتتابعة بلا جدوى؛ لأن هذا التحليل ينطبق على الحيوان لا الإنسان، فالإنسان هو خلق الله الذى أعلن مولده بنفسه، "إنى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون"[1])[2]

وهذه الدراسة تعمل- بهذا التناول للجانب الإجتماعى والنفسى للداعية- على رفع كفاءته وانتاجيته، ولقد اهتم القرآن الكريم بالنفس البشرية (لمساعدتها على حسن التكيف وبلوغ المستوى الأعلى فى الإنتاج والفاعلية، وفى تكوين الاتجاهات البناءه نحو النفس ونحو الآخرين وفى غرس القيم الخيرة)[3]. وبذلك يكون الهدف من دراسة أثر الظروف الاجتماعية والنفسية على سلوك الداعية هو:

أولا: علاج الداعية لكى تستقيم دعوته، بما يجلب له ولمجتمعه النفع والخير السعادة.

ثانيا: تنزيه الدعوة الإسلامية وتخليصها من هفوات بعض الدعاة، ورد كل سلوك مخالف لأصله الاجتماعى والنفسى، حتى تكون دائما دعوة الإسلام كالمحجة البيضاء.

ثالثا: من خلال نجاح الداعية فى دعوته يكون النهوض ببلدنا وبأمتنا الإسلامية ؛ لأن الداعية هو القائد الأول للخير ولابد من اصلاحه ومقاومة كل من إصلاحه ومقاومة كل ما يعترى سلوكه من انحراف.

رابعا: تظهر من خلال هذه الدراسة لجرائم التى اقترفها المجتمع فى حق الدعاة، بالسير خلف قوم باعوا دينهم لشيطان الغرب الصليبى، وظلوا يسخرون من الدعاة، من بداية الحملة الفرنسية وإلى الآن.

وبالعامل الاجتماعى والعامل النفسى تغير سلوك الداعية وفى محاولة لإعادته إلى طريقة المستقيم، جاءت هذه الدراسة، وهى وإن لم تحظ بكل الظروف الاجتماعية والنفسية التى يتعرض لها الداعية، إلا انها خطوة على الطريق، ولا شك أنه طريق طويل.

---

[1] الحجر: 28.

[2] د. عبدالرحمن عبيدة: منهج القرآن فى تربية الرجال، ط عكاظ، السعودية1981م

[3] محمد عبدالرحيم عباس: من خصائص النفس البشرية فى القرآن ص 9، ط مكتبة المنار، الأردن 1985م.

الباب الأول

أثر الظروف الاجتماعية فى سلوك الداعية

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

الأسرة المستقيمة والأسرة المنحرفة، وأثر كل منهما سلباً وإيجاباً.

الفصل الثانى:

الإعلام وأثر الصليبية فيه.

الفصل الثالث:

النظام الوضعى والنظام الشرعى، وأثرهما سلباً وإيجاباً.

الفصل الأول

أثر الأسرة فى حياة الداعية

توريثا وتربية

البيئة الصغرى (الأسرة):

فى هذا الفصل سوف نعود مع الداعية إلى مكونات شخصيته الأولى، إلى أسرته، حين كان طفلا، بل قبل ذلك حين كان يتشكل من الناحية الوراثية فى مراحل خلقه وتكوينه الأولى.

ومن خلال هذا الفصل سنكتشف ما للبيئة من أثر خطر فى حياة أى إنسان، وأثر أخطر فى حياة الداعية، حيث إن كثيرا من مواقف الداعية تتشكل بحسب تأثير أسرته الأولى فى شخصيته.

ولا يشعر الداعية حينما يتمسك بموقف معين لا يتفق مع صحيح الدين، أن هذا التمسك منه بهذا الموقف يعود إلى عوامل مترسبة فى اللاشعور، نقلت إليه عن طريق أسرته فى الصغر.

ولكى نسير فى هذا البحث سيرا متثبتاً، لابد بادئ ذى بدء من الإِجابة على هذا السؤال:

هل الأسرة دور فى تشكيل العقيدة الدينية والأخلاق للفرد، وما مدى سيطرة هذا الدور، وهل هو مكتسب أو يعود إلى الوراثة؟

وللإجابة على هذا السؤال يجب تقسيمه إلى ثلاث أسئلة، تكون على النحو التالى:

1-هل للأسرة دور فى تشكيل العقيدة الدينية للفرد، وتحديد شكل أخلاقه؟

2-ما مدى سيطرة هذا الدور للأسرة على أخلاق الفرد؟

3-وهل نقل أخلاق الأسرة إلى الفرد يعد اكتسابا أو يتم بطريق الوراثة؟

والإجابة عن النقطة الأولى باتباع المنهج العلمى" التجربة والملاحظة" لكى تأتى النتيجة مطمئنة وحاسمة.

وعندما يسمع الإنسان بهذا الوصف "المنهج العلمى"، يظن أن البحث سيبتعد كثيرا عن الكتاب والسنة، ولكن سيتضح فى هذا الفصل وجود التجربة العلمية بكل مكوناتها فى القرآن الكريم.

فالموضوع الأول يتعلق بتجربة تأثير الأسرة على أحد أفرادها، ويكفى للإجابة العملية على هذا السؤال، وضع مجموعة من الأسر تحت المراقبة فى زمن معين وملاحظتها، ثم الخروج بعد ذلك بقاعدة عامة تبين تأثير الأسرة فى أطفالها، ورجالها بعد ذلك، وإذا كانت هذه التجربة على هذا الأساس صحيحة عند علماء النفس والاجتماع، فانظر إلى ما جاء عن هذه التجربة فى القرآن الكريم.

قضى نبى الله نوح عليه السلام يدعو قومه إلى دين الله 950 تسعمائة وخمسين عاماً، راقبهم، ولاحظهم، وهم يتناسلون جيلا بعد جيل، وبعد كل هذه المدة كون حكمه عليهم وأعلنه لربه، وهذا الحكم يعتبرقاعدة علمية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، وتوفر لنبى الله نوح الآتى من تجربته مع قومه:

1-قوم محصورون فى صعيد واحد.

2-طول مدة التجربة 950 عاما.

3-وحدة المبادئْ التى يدعوهم إليها.

4-اتحاد أسباب الرفض عند الأجيال المتلاحقه.

هذه العناصر وفرت لهذه التجربة قدراً من الواقعية والصدق، حتى كادت نتيجة هذه التجربة تصبح قانونا عاما.

يقول الله تعالى: **"وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا"**[1]

وعند استعراض رأى علماء التفسير، سنرى أن بعضهم قد وصف هذه التجربة بأسلوب قريب جداً من أوصاف علم النفس، والاجتماع، لمثل هذه التجارب، وأن

مشايخنا وعلماءنا الأجلاء قد أعطاهم الله من نور البصيرة ما مكنهم من عبور عصرهم، والوصول إلى عصرنا الحاضر.

---

[1] نوح: 26، 27

أقول: لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، فذاقهم وكلأهم وعرف طباعهم وأحوالهم، وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه، ويقول: احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبى حذرنيه فيموت الكبير، وينشأ الصغير على ذلك، وقد أخبره الله عز وجل**"أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن"**[1]. ومعنى**"لا يلدوا إلا فاجرا كفارا"**، لا يلدوا إلا من سيفجر ويكفر، وصفهم بما يصيرون إليه)[2].

وكلمات العلامة الزمخشرى رحمة الله عليه، تنطق بما ذهبنا إليه من أن التجربة تمت بكل عناصرها فى قصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه، واكتشف الإمام الزمخشرى أن سيدنا نوحاً عليه السلام أدرك أن الكفر والفجور وإن كانا من الصفات المعنوية، إلا أن القوم أصبحوا يتوارثونه جيلا بعد جيل، وسنرى بعد ذلك فى هذا الفصل أن هذا ما وصل إليه العلماء فى أحدث ما وصلوا إليه من نتائج فى دراسة السلوك الإنسانى.

ويؤكد الإمام أبو السعود هذا المعنى بطريق آخر[3]: (والمعنى إلا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون إليه، وكأنه اعتذار عما عسى أن يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال، مع احتمال أن يكون من أخلاقهم من يؤمن منكرا، وإنما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم، ومن أعقابهم، بعدما جربهم واستقرأ أحوال قريبا من ألف سنة).

ويرى مفسر آخر: (والمعنى لا يلدوا إلا من يكون عند بلوغه كافرا)[4] ومن يقارن بين كلمات الإمام الزمخشرى، والإمام أبو السعود، يدرك أن علماء الإسلام كان لهم السبق فى التنبيه على وجود المنهج العلمى بشقيه، من تجربة، واستقراء فى هذه الآية، وأنهما ينتجان قاعدة علمية لم يصل العلم الحديث إليهما إلا فى القرن العشرين، وهى انتقال الأخلاق المكتسبة إلى الطفل من والديه بالوراثة، وآيات أخرى من كتاب الله تعالى، تبين لنا الصلة الوثيقة بين أخلاق الوالدين، وصلاحهم، وبين أخلاق أولادهم،

ويأتى هذا فى صيغ مختلفة، إلا أن المعنى فى النهاية واضح فى وراثة الصفات الصالحة.

يقول الله تعالى: **"ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم"**[5]

(6) آل عمران: 34.

---

[1] الألفاظ الثلاثة هم العناصر الملاحظة فى أى تجربة.

[2] هود:36

[3] الكشاف جـ29 ص 165 م4

[4] تفسير أبى السعود سورة نوح آية 27

[5] مجمع البيان للطبرسى مجلد 6ص 72،مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

وهذه الآية تبين أن الآباء الأطهار ينتجون أبناء أطهارا، ولو طبقنا هذه القاعدة وقام بعض الصلحاء من قومنا بتوجيه أبنائهم إلى التعليم ليكونوا دعاة الله تعالى، لخرج من بين صفوفنا دعاة فى غاية التقوى والصلاح والنفع للإسلام، ويدعون للإسلام من غير عقد نفسية أو رواسب أسرية سيئة، ويصبحون بذلك ذخرا عظيما للإسلام.

ولكن ما يحدث للأسف أن معظم المتدينين – يستوى فى ذلك العامة من المسلمين والعلماء – يوجهون أبنائهم إلى التعليم العلمانى، وإن وجوهم إلى الأزهر فإلى كليات الطب، والزراعة، وغير ذلك من المجالات البعيدة عن الدرسات الدينية، وهم بذلك يفوتون فرصة عظيمة على الدعوة الإسلامية، فإذا لم يقم بها من تربى فى بيت علمى يتلى فيه كتاب الله صباح مساء، ويسير هذا البيت على منهج الله، إذا لم نعد هذا الداعى من هذا البيت فمن أى بيت نحصل عليه، ومن أى فئة أخرى؟!!.

وهذا التوجيه من قبل رجال الدين وعلماء الدين والمتدينين بصفة عامة، له أسبابه النفسية، التى ستتولى هذه الرسالة شرحها فيما بعد بإذن الله تعالى، وسنرى كيف أن أجهزة الإعلام تعاونت فيما بينها على مسخ شخصية الداعى وجعله فى صورة لا يتطلع إليها الولد فى حلمه للمستقبل ولا الوالد فى أمله لابنه.

وبعد هذا التعليق نذهب إلى واحة التفسير لنستطلع رأى العلماء فى الآية: **يقول الإمام الألوسى فى تفسيره للآية السابقة:** (والمعنى أنهم ذرية واحدة متشبعة البعض من البعض فى النسب كما ينبىء عنه التعرض لكونهم ذرية. روى عن أبى عبد الله رضى الله عنه واختاره الجبائى وأخرج عن عبد بن حميد عن قتادة قال:"بعضها من بعض" فى النية والإخلاص والعمل..)[1]، وهذا ما أود التركيز عليه فى هذه الآية، أن البعض من البعض فى الصفات الأخلاقية والسلوك الطيب.

والقرآن الكريم زاخر بالإشارات التى تثبت أن للأسرة دوراً خطيراً فى حياة الإنسان

إن صلاحاً وإن فساداً، وأن الأسرة هى البيئة الأولى والتربة التى ينبت وينمو فيها هذا النبات البشرى، وقد جاءت إشارة إلى ذلك فى قوله تعالى فى سورة الأعراف:

" والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا"[2].

ومن الغريب أن كثيراً من علماء التفسير لم يروا أن هذه الآية نص فى تأثير الأسرة بعضها فى بعض، واختيار معظم المفسرين للرأى القائل بأنها خاصة بقلب المؤمن والكافر.

---

[1] روح المعانى للألوسج3. ص133، ط.دار إحياء التراث العربى،بيروت

[2] الأعراف: 58

ويرى الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله أن هذه الآية نص فى علاقة الأسرة بعضها ببعض وانتقال الصفات الأخلاقية والسلوكية من الآباء إلى الأبناء.

ولذلك يقول: (يدل المثلان على أن الوراثة سبب فطرى لهذا التفاوت فى الاستعداد ولهذا يحسن أن تفضل المرأة التقية الكريمة الأخلاق الطاهرة الأعراق على المرأة الجميلة إذا كانت من بيت دنىء وكذا على المرأة المتعلمة غير الكريمة الخلق ولا الطيبة العرق، وقد شبه النبى صلى الله عليه وسلم الناس بالمعادن، والمرأة الحسناء فى المنبت السوء بخضراء الدمن، أى حشيش المزبلة.

ومن اختبر الناس رأى أن المعروف يخرج من الطيبين عفوا بلا تكلف، وأن الخبيثين لا يخرج الخير والمعروف ولا الحق الواجب عليهم إلا نكدا، بعد إلحاف أو إيذاء فى الطلب، أو إدلاء إلى الحكام، ومراوغة فى الخصام)[1].

وقد تتابعت الشواهد فى كتاب الله سبحانه وتعالى والتى تدل على أن للعامل الوراثى دوره البالغ، ومن الشواهد مايلى:

قال تعالى:**"وكذلك يجبتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم"**[2].

يقول يعقوب ليوسف عليهما السلام: إن النور الخالد الموجود فى الآباء سوف يصل إليك بإذن الله.

وفى السجن نرى يوسف يدلل للسجناء على أن التقوى والور ع اللذان يبوان عليه هما من صفات الآباء:**"واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون"**[3].

وعن وراثة الابن لوالده، دينا وخلقا، وملكا يقول تعالى:**"وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء إن هذا لهو الفضل المبين"**[4].

ويعلم لقمان ابنه التقوى والصلاح ليكون نبتا صالحا يخلقه، والله سبحانه وتعالى ينقل لنا هذا التوجيه الذى نعلم منه أن الوالد مصدر الهداية يقول تعالى: ((**وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير. يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك إن ذلك**

---

[1] تفسير المنار ج8 ص482، طالمعرفة، بيروت، لبنان

[2] يوسف:6

[3] يوسف: 38

[4] النمل: 16

من عزم الأمور. ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير"[1]

إذا كان الآباء من أهل الإيمان، وسارت الأمور سيرها الطبيعى، ومضى الأبناء على طريق آبائهم محملين بهذا الكنز الموروث من الإيمان، إذا كان ذلك كذلك، فإن الله تعالى يضمن للأبناء أن ينضموا إلى ركب الإيمان مع آبائهم، ومن خلال معانى هذه الآية تظهر المكانة العظيمة للآباء فى الريادة الإيمانية لأبنائهم، وأن هذا مجال مدح من الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى:**"والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ومآلتناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين"**[2].

وينقل الله تعالى دعاء الصالحين بضم أولادهم وأزواجهم إليهم فى الإيمان:**"ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما"**[3].

فى الحديث الشريف:

وإذا ذهبنا إلى بستان السنة النبوية الزاخرة وجدنا أن النبى صلى الله عليه وسلم يلخص هذا الأمر فى غاية القوة والوضوح، ويبين أن المولود يولد على فطرة التوحيد، بما تشمل من عقائد وأخلاق وسلوك، وأبواه يحددان له طريقه فى الحياة

من جميع النواحى، وإذا كنا بصدد الحديث عن مجموعة معينة من البشر وهم الدعاة المسلمون، فإن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى معنا هنا فيه من العموم

والشمول مايعتبر معه بحق هذا الحديث من قواعد التربية الحديثة وعلم الاجتماع والنفس أيضا، لأنه يرجع المشكلة إلى أساسها، ويعتبره الأبوين هما الأساس فى تشكيل الطفل عقائديا وسلوكيا وأخلاقيا.

وعلى هذا فالطفل يشبه عجينة بسيطة يقوم بتشكيلها الأبوان، وهو بعد ذلك محكوم بهذا التشكيل المبدئى وإن حاول التخلص منه فإنه يستطيع أن يصل إلى شىء من ذلك فى بعض الأحيان، ولكنه فى كل الأحيان لا يستطيع، ولنقرأ هذا الوصف العلمى الدقيق لعلاقة الابن بوالديه:

---

[1] لقمان: 13، 16- 19

[2] الطور: 21.

[3] الفرقان: 74

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]:" ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء[2] هل تحسون فيها من

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]:" ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جمعاء" [4]، ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم قول الله تعالى: **"فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله"**[5].

وفى هذا الحديث يبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مسئولية الأبوين ليست مسئولية سهلة

ولا هينة، لأنه إذا كان فى استطاعة الأبوين تحديد عقيدة الابن فإنه من باب أولى يكون خطرهما عظيما فى تحديد أخلاقياته وسلوكياته، وهو مايهمنا فى هذا البحث.

ولذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم حريص كل الحرص على تنقية عناصر الأسرة من الفساد والتركيز على العناصر الطاهرة، وكان يوصى أصحابه أن يبحثوا عن الزوجة الصالحة التى تستمد صلاحها من أسرة صالحة، وكان يقول:"تخيروا لنطفكم، فإن العرق دساس"[6].

فإذا اتفقنا أن للمرأة ماء خاصا بها فتكون المرأة ملزمة بهذه الوصية العظيمة. وكان صلى الله عليه وسلم يوصى الشباب، وهم المتلهفون على الجمال الجسدى للمرأة، وينبهم أن هذا الجمال يمكن أن يكون مصدرا للرذائل وللأخلاق السيئة، إذا لم يستند إلى أصل طيب وتربية سليمة، لأن الجمال الجسدى ليس هو المعيار المحدد

للزوجة الصالحة، وإنما المعيار هو الأخلاق الصالحة فى الزوجة، والتى تساعد الزوج على إنتاج نبت طيب ولذلك كان يقول صلوات الله عليه وسلامه محذرا: "إياكم وخضراء الدمن". قالوا: وما خضراء الدمن يارسول الله؟ قال: "المرأة الحسناء فى المنبت السوء"

وكان صلى الله عليه وسلم يوصى الآباء، ويحملهم مسئولية تربية الأبناء على المنهج الإسلامى يقول: "مروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع".

---

[1] رواه أبو هريرة، صحيح مسلم بشرح النووى ص 512 مجلد5،ط الشعب

[2] المعجم الوسيط:(الجمعاء من البهائم التى لم يذهب من بدنها شىء) جـ1 ص 135

[3] المعجم الوسيط:(جدع جدعا: قطع طرف من أطرافه فهو أجدع وهى جدعاء) جـ 1 ص 110

[4] الروم: 30

[5] رواه ابن ماجه ج 1 ص 633 بدون قوله:((فإن العرق دساس)).

[6]) رواه المتقى: علاء الدين على المتقى: كتاب كنز العمال جـ 8 ص 433، ط. دار البلاغة، حلب، سوريا – ورواه أحمد وأبو داود والحاكم فى المستدرك عن ابن عمر، وقال عنه الترمذى:(حسن صحيح): وفى سنن أبى داود مجلد 2 ص 178، وفى مسند أحمد مجلد 1 رقم الحديث 15403.

وعلى ضوء هذا الحديث، نجد أن الذين يتركون أولادهم، بدون إرشاد ومتابعة وحمل على الجادة، والتزام طريق الإسلام، نجد أنهم بتصرفهم هذا قد ابتعدوا عن الصراط السوى، فى تربية الأبناء، وضاعوا أو ضيعوا أبناءهم، ومهما ساقوا من حجج مثل الحرية وتنشئة الابن على الاعتماد على النفس، وما شاكل ذلك، من أفكار جاءت إلينا، من مجتمعات غير إسلامية انشغل فيها الوالدان بتحصيل المتع والملذات الدنيوية، الإباحية، واعتذروا عن تربية الأولاد التربية الصالحة بأنهم تركوا لهم الحرية، التى يقدسها المجتمع هناك.

ولذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم، يوصى بملء فراغ الطفل، عن طريق اللعب مع الكبار، لكى لا يترك الطفل فريسة للفراغ، ويتعلم كثيرا من العادات السيئة، وينشأ ومعه حمل ثقيل من العقد النفسية، التى حمله عليها الفراغ، وإهمال الكبار من الأهل له، لأن المردودات النفسية لذلك خطيرة جدا.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم، يتلطف بالأطفال، ويترفق بهم، كما جاء فى كتب السيرة، من ذكر تدليله للحسن والحسين، وكان يوصى أصحابه بذلك، وكان يقول صلى الله عليه وسلم:"من كان عنده صبى فليتصاب له"[1].

إن تنشئة الطفل هى تعويده العادات الحسنة أو السيئة، ولذلك يقول الشاعر العربى:

وينشأ ناشىء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

:علاقة الوراثة بالصفات الأخلاقية

لاحظنا فيما سبق، وخاصة فى استنتاج سيدنا نوح عليه السلام عن مصير أطفال قومه، وأنهم سيلحقون آباءهم، ومن هذه الملاحظة، برز موضوع توريث الصفات الأخلاقية. وإذا كان القرآن الكريم قد أشار إليه **"ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا"**، وقول النبى صلى الله عليه وسلم "تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس"[2] فإننا سنجد – فى السطور التالية – أن العلم الحديث أيضا، يؤكد هذه الحقيقة.

ويرى العلم الحديث، أن وراثة الجنين لخصائص أسلافه، إنما ترجع إلى ما تحمله المادة التى يتكون منها من خصائص الأسلاف، وميزاتهم، والمادة الحية التى يتكون منها

الجنين، تتألف من البويضة، وهى خلية الأنثى، واللقاح وهو خلية الذكر، وإذا كانت بويضة الأنثى تبلغ جزءا من مائة وخمسة وعشرين، أو مائة وثلاثين من البويضة، فإن

---

[1] رواه ابن عساكر وابن بابويه

[2] رواه ابن ماجه جـ 1 ص 633.

اللقاح أصغر منها بثلثمائة ألف مرة، ولا يلقح البويضة من بين الحيوانات المنوية الكثيرة إلا لقاح واحد.

وما يرثه الجنين، عن أبيه وأصوله، إنما يكون عن طريق اللقاح، وما يرثه عن أمه أو أحد أصولها، إنما يكون عن طريق البويضة، أما ما يرثه عن فصيلته، فإنما يكون عن طريق

البويضة واللقاح معا، وهذا هو التفسير الطبيعى للوراثة[1].

وبعد شرحه لقانون الوراثة، يدخل إلى موضوع وراثة الصفات الأخلاقية، فيقول – بعد أن يعدد خصائص الوراثة -:

(ومهما يكن من تعدد هذه الخصائص فى الصفات الوراثية، فإنها تنقسم من حيث النوع إلى وراثة جسمية، وعقلية، وخلقية:

فالوراثة الجسمية: مثل الطول فى القامة، ولون الشعر، والبشرة، وشكل الأعضاء، وتركيب الجهاز العصبى.

والوراثة العقلية: كوراثة الذكاء، أو البله، والدوافع الوجدانية، والميول العاطفية.

والوراثة الخلقية: كوراثة الاستعداد للتقوى والحلم والرحمة أو الفجور والغضب والقسوة).

وبعد أن يستعرض بالشرح المفصل تطور عملية الوراثة الجسمية، يخلص إلى القول:

(حقيقة إن قصدنا الأساسى، هو بيان التفسير الأخلاق للوراثة، وليس هو بيان التأثير الجسمى، الإ أن بيان هذا التأثير الجسمى، هو الأساس الذى يقوم عليه الكشف عن دور الوراثة فى تكوين الأخلاق الفردية.

فالوراثة فى حقيقتها ظاهرة جسمية بحتة، كما قلنا من أول الأمر، أما الوراثة العقلية أو الأخلاقية، فإنما ترجع إلى هذه الوراثة الجسمية، فوراثة هذه الصفات هى فى حقيقتها وراثة لما تقوم عليه، وتنتج عنه من الخصائص والصفات الجسمية.

فمن ناحية أولى تورث الصفات العقلية، والنفسية، من التفكير، والإدراك، والوجدان، والنزوع، والميول، والغرائز، والمشاعر، والعواطف، والإرادة، وبصفة عامة يورث كل ما يحتويه مجرى الفكر، والشعور، بناء على مايرثه الإنسان عن أصوله، من تركيبه

---

[1] د. عثمان عبد المنعم عيسى: الظاهرة الأخلاقية للوراثة.

الجسمى، وجهازه العصبى، وغير ذلك، مما يؤثر فى استعدادات هذه القوى العقلية والنفسية)[1].

وتوريث الصفات علم له خطره، والبحث فيه متسع لمن يريد، (على أن ما يجب أن نركز عليه، هو مدى تأثير الأسرة وراثيا على الأبناء، وهو يعظم مسئولية الوالدين، فى ضرورة حسن اختيار أحدهما للآخر، وكفاءته الدينية، والعقلية، والنفسية، والخلقية، والصحة للزواج، حتى ينجبا أطفالا أصحاء الأبدان، والعقول، أسوياء الأمزجة والنفوس، فإن الولد يولد – كقاعدة عامة – شبيها بوالديه، يرث عنهما كثير من خصائصهما العقلية، والبيولوجية، والفسيولوجية، والمزاجية، وغيرها من المميزات، والصفات، التى تحدد معالم شخصيته المستقبلية، منذ اللحظة الأولى التى تلقح فيها بويضة الأم بالحيوان المنوى للأب)[2].

ومما يذكر مثالا لهذا النوع من الوراثة العقلية، والأخلاقية، أسرة "دارون" العالم المعروف، فقد وصل منها 15 عالما إلى عضوية الجمعية الملكية بانجلترا، وهى لا تضم إلا جهابذة المفكرين.

وفى الناحية الأخلاقية أسرة "جون لوك" المشهور فى نيويورك، فقد دلت الدراسة الاستقرائية أن 2100 من أفرادها، وهو ما يمثل 5/3 الأسرة، من هذا العدد 378 من العاهرات، 181 من السكيرين، 170 متسولا، 129 متشردا، 118 مجرما، وأن حوالى نصف العائلة كان مصابا بالضعف العقلى الذى كان آفة الأبوين الأولين[3].

وقد وجد أن حفيدين من أحفاد "ماكس جوكس" -صياد أمريكى- تزوجا منى امرأتين من أسرة معروفة بسوء السلوك، فأعقبا مئات ممن ساء سلوكهم، فكان منهم 180 من العاطلين، 140 من معتادى الإجرام، 60 لصا عاديا، 150 امرأة عاهرة، 50 امرأة أصبن بالأمراض السرية، ونقلتها بالعدوى إلى 440 شخصا.. إلخ.

وقد كلفت هذة الأسرة المجرمة، حكومة الولايات المتحدة خلال 75 عاما 261600 جنيها إسترلينيا. ومن هذه الدراسة يتبين أن أهم عناصر إجرامهم يرجع إلى الصفات التى انتقلت إليهم بطريق الوراثة أكثر مما يرجع إلى أنه البيئة فى سلوكهم[4].

وبعد استعراض هذه المعلومات عن الوراثة، ترى ما هى واجباتنا تجاهها، وقد رأينا مبلغ تأثير الوراثة، فى مختلف مظاهر الحياة، الجسمية، والعقلية، والنفسية، والأخلاقية،

---

[1] تابع المرجع السابق.

[2] د. عبد الحميد السعيد الزنتانى: التربية الإسلامية فى السنة النبوية ص 156، ط الدار العربية، ليبيا، تونس.

[3] د. محمد يوسف موسى: مباحث فى فلسفة الأخلاق ص 72.

[4] د. على عبد الواحد وافى: الوراثة والبيئة ص 69.

وأن هذا التأثير قد يكون صالحا، وقد يكون ضارا، تبعا للصفات والخصائص الموروثة، إذا كانت سوية صالحة أو مريضة شاذة، وواجبنا إزاء ذلك أمما وأفرادا أن نعمل على الاستفادة

من الآثار الصالحة للوراثة وتنميتها، واتقاء آثارها الفاسدة أو إضعاف حدتها.

وأول ما يجب أن يهتم به الأفراد، والأمم، هو الزواج، فالآباء الأصحاء جسميا ونفسيا[1] وأخلاقيا، غالبا ماينجبون أبناء أصحاء، أما المصابون بأجسامهم وعقولهم وأخلاقهم، فإن صفاتهم المنحطة وراثيا إلى أبنائهم.

ولابد من التوعية العامة، بمزايا الوراثة، ومخاطرها، حتى يكون الأفراد على علم بها فيقوموا بواجباتهم الشخصية، فى هذا السبيل، وهم فى حريتهم الكاملة دون طغيان من الدولة عليهم.

وعلى الفرد أن يقبل على صفاته الحسنة فينميها، وعلى خصائصه الضعيفة أو المريضة فيصلحها، لا عملا فى سبيل خيره الشخصى فقط وإنما تقديرآ لما لكل ذلك من أثر صالح فى نفسه[2].

دور الأسرة:

بعد أن عرضنا ما للوراثة من دور خطير، فى حياة الإنسان، نعرض هنا لدور الأسرة وهى المرحلة التالية لولادة الطفل، ترى مادور الأسرة فى حياة الإنسان؟ وما دور التنشئة الاجتماعية؟.

يقول **"هندل"** و **"ألين":** لابد من وجود ثلاثة شروط رئيسية، للتوصل إلى تنشئة اجتماعية ملائمة أو صحيحة:

وينطوى الشرط الأول على أن الطفل حديث الولادة يدخل مجتمعا بالفعل له قواعده، ومعاييره، وقيمه، واتجاهاته، وبه بناءات اجتماعية عديدة منتظمة ومنمطة، ومع ذلك تتعرض للتغيير باستمرار، ولا يكون للطفل المريض، غير المهيأ اجتماعيا أى علم بهذه العمليات، أو البناءات، أو التغييرات، وتكون وظيفة أنماط التفكير والشعور والعمل، فى مثل هذا المجتمع تحديد الوسائل والطرق التى يجب أن يمر فيها القادم الجديد.

ومن المعروف أن هذه الوسائل والطرق، هى التى تشكل عملية التنشئة الاجتماعية.

والشرط الثانى للتنشئة الاجتماعية الملائمة هو الميراث البيولوجى، كما أن المزاج والذكاء

---

[1] د. عثمان عيش: الظاهرة الأخلاقية

[2] المرجع السابق

بيولوجى فى أساسه، الإ أن نموهما وتطورهما واتجاههما يتأثران إلى حد كبير بالمجتمع الذى يولد فيه الطفل)[1].

هل يتأثر الذكاء بالبيئة؟

نعم، (لقد دلت الدراسات النفسية على أن الذكاء استعداد يرثه الفرد عن أبويه، وأجداده، ولذلك فإن سمة الذكاء تلازم الشخص طوال حياته.

وليس معنى هذا أن البيئة لا تؤثر فى الذكاء، بل إن للبيئة أثرها، الذى يظهر فى كيفية استخدام القدر الموروث من الذكاء)[2].

والحب الذى يسود الأسرة هو الأساس، فى تكوين الفرد السوى، والفرد الذى يعيش فى أسرة لا يكون الحب ضمن ماتقتاته من زاد، فلا شك أنه سيكون صاحب شخصية مريضة لا يرجى منه معها الخير الكثير.

ولعل من أهم الحاجات النفسية الطبيعية، هى الحاجة إلى الحب، والعطف التى تعتبر من أهم الدوافع السلوكية، ويقصد بهذه الحاجة العلاقة الاجتماعية التى يسود فيها الشعور بالحنان، والعطف، والمحبة، كما فى علاقة الأمومة والأبوة، وصلة الشخص الموجودة بالمحيطين به.

وتتضح أهمية هذه الحاجة، عندما نبحث حالة الأفراد المحرومين من الحب والعطف، حيث نجد أن هذا الحرمان، يؤدى إلى الضيق، والتوتر النفسى والشعور بالشقاء[3].

وقد يقابل الإنسان على مدى أيامه، وسائل كثيرة للتعلم، فى بيئته، مثل علماء الدين، والمدرسين، وأجهزة الإعلام، وفكر الجماعة المرجعية له، ولكنه أبدا يظل متأثرا إلى حد بعيد بالمعلومات التى تلقاها عن طريق أسرته.

وعلى هذا نقطع بأن ما يطبع فى ذاكرة الطفل، داخل أسرته يستحيل على الزمن أن يمحو منه شيئا، والذى يهيىء له هذا الدور مايلى:

1-تحتكر الأسرة خبرات الطفل، لمدة طويلة بعد ولادته مباشرة، ويتعرض الطفل مؤخرا لأجهزة التطبيع الاجتماعى الأخرى، بعد تأثره بالعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة..

---

[1] د. سناء الخولى: الزواج والعلاقات الأسرية.

[2] د. محمد أبو العلا أحمد – د. محمد خليفة بركات: علم النفس ص 178.

[3] المرجع نفسه ص 130.

2-تعتبر الأسرة أكثر الجماعات الأولية تكاتفا، وتماسكا، حيث ينمى كل من الشعور الودى، والإحساس العاطفى شعوراً جماعياً بين أعضاء الأسرة، مما يسهل معه الاتصال، وانتقال العادات، والاتجاهات، والمواقف الفكرية، من الآباء إلى الأبناء.

3-تعتبر الأسرة من أكبر العوامل تأثيراً، واستمراراً فى حياة الطفل، فى معظم المجتمعات،وذلك بالمقارنة بالأصدقاء، والمدرسين، ورجال الدين، وغير ذلك من الرفقاء، الذين يؤثرون على الطفل لفترات محدودة.

4-تؤثر الأسرة على حياة أعضائها، وذلك بالنسبة لمساهمتها فى تحديد نوع وطبيعة الدور الاجتماعى الذى لكل من هؤلاء الأعضاء[1].

والإنسان لا يستطيع أن ينشىء لنفسه نظاما خاصا لسلوكياته بعيدا عن تأثير العوامل الوراثية والخبرات التى اكتسبها فى حياته من الغير.

ولذلك نجد أن (السلوك محدد بعوامل مستمدة من الوراثة، أى من الخصائص الوراثية التى يرثها الفرد عن والديه، وأجداده، وبعوامل مستمدة من تاريخ حياة الفرد، وما مر به من خبرات)[2].

وعندما نمر فى حياتنا على جماعة ممن يتصدون للدعوة إلى الله، ونراهم قد شددوا على أنفسهم وعلى الناس، أكثر مما ينبغى، أو نرى جماعة قد تساهلوا فى دين الله، أكثر مما ينبغى، فسوف ندرك على ضوء ما تقدم، أن كلا من التشدد الزائد عن الحاجة، وكذلك التساهل ليس من دين الله فى شىء، ولكن الحقيقة المؤكدة أن البعض من دين الله والبعض الآخر من عنديات هذه الجماعة أو تلك، إذا أضفنا إلى ذلك تأثر الفرد بالعوامل الوراثية من أسرته، وعوامل التربية الخاصة التى مر بها والتى لا يستطيع الفرار من تأثيرها الباطن والظاهر على أفكاره إن سلبا وإن إيجابا.

(والتربية لها دور هام فى الصحة والمرض النفسى، فإذا نشأ الطفل بطريقة سليمة

اكتسب شخصية متزنة، وعاش مستريح النفس، وإذا تعرض للتربية الخاطئة نشأ شخصية غير طبيعية، وعاش مريضا نفسيا)[3].

ومن هنا يمكن القول أن الأفكار والأساليب التى يغرسها الأبوان فى نفس الطفل، يصعب على أى قدر من العلم أو المنطق أن يمحوها كلية.

---

[1] د. محمد نبيل جامع: المفتتح فى علم المجتمع ص 355، 356.

[2] د. حسين عبد العزيز الدرينى: محاضرات فى العلوم السلوكية ص 14.

[3] د. محمد محمد خليل: الطب النفسى معناه وأبعاده ص 129.

ولما كانت رسالة الحياة الأسرية من الخطورة بهذا المقدار، ولما كان الأبوان هما اللذان يغرسان النبتة الأولى من التربية، فى نفوس النشء ويضعان حجر الأساسى فى بناء أخلاقه – وكان لكل ذلك أثره البعيد فى أحاسيسه الاجتماعية المقبلة – فإنه من الطبيعى أن تظفر المرحلة المنزلية بالصدارة من بين مراحل التربية، ولا سيما أن المدرسة لم تحاول أن تفقده دورها، أو أن تنقص من قيمتها.

ومن هنا نستطيع أن نبين أهمية المرأة فى تكوين الطفولة الأولى مرددين قول " لامنيه": (إن التعاليم الملقاة على ركبتى الأم لا تنمحى أبدا).

ونحن لانجد عسرا فى الميل إلى هذه النظرية، خصوصا إذا عرفنا أن تلك التعاليم الأولى، إنما تنقش على صفحة القلب قبل أن يبدأ الذهن فى التفكير ومن ثم لا يقوى المنطق بسلطانه وجبروته على القضاء عليها تماما.

وهكذا شاءت الأقدار أن يكون الطفل متأثرا بأمه أكثر من تأثره بأى كائن آخر، ولقد أدرك "جان جاك رسو" هذه الحقيقة أيما إدراك حين قال: (لكى تحفظ الأطفال من الرذائل التى ليست فيهم، فليس لديك سوى حماية واحدة، هى خير من الخطب التى لا يفهمونها بقلوبهم، ولا بعقولهم، وهى هذه القدوة الخلفية المتمثلة فيمن يحوطونهم، وخاصة أمهاتهم اللائى يحببنهم أكثر من كل من فى الوجود)[1].

وعن العادات الحسنة التى يتعلمها الطفل من المحيطين به يقول: (تلك المحادثات التى يسمعونها حولهم، والتى ليست منشأة لهم، وهذا السلام وذالك الاتحاد اللذان هم شهودهما المعاينون، وذلك الوئام الذى يرونه سائدا بدون انقطاع بين خطب الذين يحدقون بهم وبين سلوكهم)[2]

يستطيع أفراد الأسرة، أو بعضهم أن يعلموا القادم الجديد أشياء كثيرة غير العادات والسلوك الطيب، وعلى سبيل المثال من الممكن أن يتعلم الطفل من والديه أو أحدهما

المعلومات الصحيحة عن الحق سبحانه وتعالى.

وإذا كان مو واجب الأسرة كفالة الطفل من الطعام والشراب وخلاف ذلك، فهناك واجباً لا يقل أهمية عن ذلك، وهو الأخذ بيد الطفل إلى الله سبحانه وتعالى.

---

[1] د. محمد غلاب: مشكلات الساعة ص 65.

[2] د. محمد غلاب: مشكلات الساعة ص 71.

"يقول" الفيلسوف "كانت": (إن والدتى كانت سيدة مليئة بالمحبة، ثرية بأنواع العواطف العالية، ولا ريب أن أما تستعمل مع أطفالها منذ نعومة أظافرهم تعاليم التقوى وتريهم أصدق أمثلة الفضيلة تنتهى إلى تمكين هيبة الله فى قلوبهم.

ولطالما كانت تقتادنى إلى خارج المدينة، وتذهب بى إلى الحقول لتلفت انتباهى إلى صنعة الخالق، وتشرح لقلبى البرىء، وعقلى الناشىء تلك القدرة الإلهية البارزة فى أفانين الطبيعة، وتنقش فى نفسى البادئة حكمته وخيريته، ولم تكف عن هذا حتى طبعت وجودى بإجلال لا حدود له، لخالق الكون)[1].

ومن هذا نرى أن العقيدة نفسها يتم وضع أساسها فى المنزل، وفى داخل الأسرة الصغيرة، ولعل بعض الناس يفهمون أن رعاية الطفل فى توفير المأكل، والملبس، وخلافه، إنما المسألة أكبر من ذلك بكثير، إنما بناء إنسان خرج إلى الحياة، وربما كان داعية، أى رائدا فى مجتمعه، ولن يكون رائدا بحق إلا إذا كان متشبعا بتعاليم الإسلام، بعد أن استحلب التقوى مع الرضاعة من ثدى أمه.

وبعض الناس يعتقدون أن رسالتهم فى الحياة هى إنجاب الأولاد فحسب، ومنتهى فهمهم فى تربيتهم، هى أن يوفروا لهم الطعام، والشراب، والملبس، والمسكن، أحيانا ويرهقون أنفسهم فى سبيل تزويدهم بالكماليات والمرفهات.

وهى – لعمر الحق – أفكار ومعتقدات، لا تنسجم مع مفهوم الإسلام فى التربية الشاملة، فالطعام والشراب مطالب يشترك فيها الإنسان مع غيره، وفهم الأسرة لرسالة التربية بهذا المفهوم الشائع وسيلة لتشتيت الجهد، فالإسلام لا يعامل الإنسان ككتلة من اللحم، غايتها فى الحياة هو الغذاء، أو التزود من ماديات الحياة بقدر المستطاع.

(وإنما يعامله جسدا وروحا، فتربية الجسم تسير جنبا إلى جنب مع تربية الروح، وإذا جاز أحدهما على الآخر حدث الخلل والاضطراب فى النفس البشرية)[2].

وتقول "كواديف" وهى باحثة نفسية: (إن ثمة دلائل على أن نصف البناء العقلى للفرد يتم خلال السنوات الثلاثة الأولى من الحياة، والسنين قبل المدرسة، وأعوام المدرسة الابتدائية تمثل الفترة التى يتم فيها النمو الجسدى، والعقلى، والاجتماعى، بصورة سريعة

---

[1] د. محمد غلاب: مشكلات الساعة

[2] عبد الرضى واصل: مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الإسلامية ص 252، 253.

والقدوة الحسنة فى الأبوين مطلوبة (فعين الولد معقودة بشخصية أبيه، وعند الأب تقف تطلعات الابن، وفى تصرفاته تكون نهاية المثاليات بالنسبة له، ومن ثم كانت خطورة دور الأسرة، التى تضع الخميرة الأولى فى وضع لبنات المجتمع)[1].

هذا ولا يقف دور الأسرة عند رعاية الطفل داخل الأسرة، بل يتعدى هذه الرعاية الداخلية إلى تعهد الطفل فى خارج المنزل، لأن الطفل كما يتعود على أخلاق الأسرة، ويشب عليها، يتعود أيضا على أخلاق الرفاق، من الفتيان الذين يلعب معهم، وقد يكون لهذا الاختلاط آثار خطيرة جدا على سلوك الطفل، فيما بعد فى المستقبل، عندما يصبح رجلا مكتمل النضج، يتحمل مسئولية أسرة، ولو كان داعية لتحمل مسئولية أمة بأسرها، ولذلك كان من الواجب الاهتمام برعاية الطفل خارج الأسرة، لأنه يمتلك نفسا بيضاء لم ينقش عليها شيء، (وهذه النفس مستعدة للتأديب صالحة للعناية، ولا يجب أن تهمل، ولا تترك ومخالطة الأنداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة، وإن كانت بهذه الحال من الاستعداد لقبول الفضيلة فإن نفس الصبى ساذجة، لم تنتقش بعد بصورة، ولا لها رأى وعزيمة تحيلها من شيء إلى شيء، فإذا نقشت بصورة وقبلتها نشأ عليها واعتادها)[2].

وهذا ما يفسر وجود بعض الأطفال الذين يتصفون بالخلق السيىء رغم أن آباءهم من المعروفين بالخلق الحميد.

وبالنسبة للدعاة يمكن بمراعاة ما سبق فى هذا المبحث إحداث تطور هائل، وذلك باعتبار الطفل داعية، وهو لم يزل فى المهد صبيا، وفى القرآن الكريم نجد أن الله سبحانه وتعالى يتعهد الدعاة – الأنبياء والمرسلين – من صغرهم بل من طفولتهم المبكرة جدا، وأحيانا بطريق مباشر: **"وأوحينا إلى موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين"[3]**. وبالنسبة لسيدنا عيسى عليه السلام يقول الحق سبحانه وتعالى: **"وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين.ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين"[4]**. وعن سيدنا يحيى عليه السلام يقول: **"يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا. وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا"[5]**. وواضح من الآية الأخيرة أن التربية الفاضلة تقوم على الحنان وهذا يتم فى المرحلة المبكرة جدا من حياة الطفل. والزكاة – أى التطهير – وهذا يتم فى مرحلة النمو التالية، وهى مرحلة تكوين العلاقات والعادات.

---

[1] عبد الرضى واصل: مشكلات الشباب ص 257.

[2] "ابن مسكويه" أحمد بن محمد بن يعقوب الرازى: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص 69، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان

[3] القصص: 7، وتستمر الآيات فى شرح رعاية الله لموسى عليه السلام إلى الآيه: 14 من السورة نفسها.

[4] آل عمران: 45، 46.

[5] مريم: 12، 13.

وأحيانا يكون تعهد الله سبحانه وتعالى للداعية بطريق غير مباشر، كأن ينشئه فى أسرة صالحة ترعاه وتربيه على التقوى، حتى يخرج للدنيا بعزيمة قوية، ونفس صالحة سوية، وينطبق هذا القول على ذرية نبى الله إبراهيم عليه السلام، ويوضح ذلك قوله تعالى: **"وهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين. وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين. وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين. ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم. ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعلمون"**[1].

هذا هو نموذج الأسرة الصالحة التى يخلف فيها اللاحق السابق على طريق الدعوة إلى الله، والمتأمل فى الآيات السابقة يجد أنها تؤصل للنفس السوية للداعية بمرحلة تسبق بداية دعوته بفترة طويلة.

إن دين الله ظل باقيا حيا بفضل الأسوياء من أسرة إبراهيم خليل الله عليه السلام، وقد يعترض معترض بأن هؤلاء كانوا أنبياء فلماذا القياس عليهم والبحث فى الداعية العادى؟ وأجيب: بأنهم أنبياء وأسوياء، كانوا أنبياء فكانوا أسوياء، وكانوا أسوياء فكانوا أنبياء، فبين النفس السوية والنبوة والفضيلة علاقة تلازم، ولا يستطيع إنسان أن ينكر دور الأسرة على هؤلاء. وبقى اعتراض وهو: كيف يسلم لنا القول بتأثير الأسرة الكبير على الداعية والحديث عن أسرة إبراهيم عليه السلام رغم أنه هو نفسه كان مخالفا لوالده فى العادة والعبادة؟

والإجابة عن هذا الاعتراض: أنه سبقت الإشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى يتولى رعاية الدعاة بالطريق المباشر – فلا يكون للأسرة دور – وبالطريق الغير المباشر، فهناك يوجد الدور الخطير للأسرة، وبالنسبة لخليل الله إبراهيم فرعاية الله كانت مباشرة، ويتضح ذلك فى قوله تعالى:**"وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم"**[2].

لقد خالف إبراهيم ما نشأ عليه من عادات بهذه الحجة التى آتاها الله له، وإن كان إبراهيم عليه السلام لم يخضع لقانون الأسرة الجازم فلأنه دخل تحت قوله تعالى: **"نرفع درجات من نشاء"**وفى هذة المنطقة الإلهية لا قانون إلا قانون الله إن شاء وحيث شاء، سبحانه فهو على كل شىء قدير.

---

[1] الأنعام: 84 – 88.

[2] الأنعام: 83

ومما سبق تظهر ضرورة الرعاية للطفل وتنشئة الداعية على السلوك الطيب من صغره، ولو حاول أى بيت من بيوت المسلمين أن يربى أطفاله أو أحدهم تربية تربية إسلامية صحيحة ليكون داعيا إلى الله، لحصلت الدعوة الإسلامية على داعية يساوى أمة من الدعاة، لأنه يدعو إلى الله على بصيرة بنفس سوية تعالج كل النفوس ولا تحتاج إلى علاج، أما الداعية المريض فكيف يعالج الناس وهو مريض، وكيف يداوى القلب من لا قلب له.

ويتفق الباحثون فى ميدان السلوك الاجتماعى بصفة عامة الآن على ما للجماعات الأولية من أهمية وأثر فى تكوين السمات والخصائص الاجتماعية عند الأفراد مثل عواطف الحب، والتعاطف، ومعنى الخطأ والصواب وغير ذلك من الصفات ذات المغزى أو الدلالة الاجتماعية، ويتفقون لذلك فى أن الأسرة هى أهم الجماعات الأولية التى تؤثر فى تكوين

الخصائص الأساسية لشخصية الطفل وذلك بحسب المعايير والقيم التى تتميز بها الأسرة .والتى تنتقل عن طريق الأطفال الناشئين من جيل إلى جيل[1]

:ومما سبق يتضح أن دور الأسرة فى حياة الداعية ينقسم بحسب التأثير إلى ثلاثة أقسام

.**الأول**: قبل مولده – العوامل الوراثية

.**الثانى**: بعد مولده – داخل نطاق الأسرة

.**الثالث**: بعد مولده – خارج نطاق الأسرة

وبعد: فإن خير ختام لهذا الفصل دعاء الصالحين فى القرآن الكريم: **"ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما"**[2]

---

[1] د. نجيب إسكندر إبراهيم: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى ص 135، ط. مؤسسة المطبوعات الحديثة ومع المؤلف آخرون

[2] الفرقان: 74

الفصل الثانى

الإعلام وأثر الصليبية فيه

:تمهيد

: الإعلام وموقف طلاب الأزهر من وظيفة الداعية

يستطيع الذى يتابع إقبال طلاب الأزهر الشريف على الالتحاق بالكليات المختلفة، أن يخرج بنتيجة واحدة، وهى إحجام معظم الطلاب عن الالتحاق بالكليات والأقسام التى تؤهلهم للعمل فى وظيفة: إمام وخطيب، أو واعظ، أى وظيفة داعية.

وكثير من الطلاب يبذلون جهودا كبيرة للابتعاد عن هذه الكليات، والأقسام، وإذا لم يتمكنوا من ذلك أثناء الدراسة، اتجهوا بعد التخرج إلى وظائف أخرى، وإذا لم يستطيعوا الالتحاق بالوظائف الأخرى، استسلموا لقدرهم، وأدوا الأعمال التى تناط بهم فى مجال الدعوة بلا نشاط، وبدون اكتراث، حتى لكأنك تتخيلهم يعملون ضد الدعوة ولا يعملون من أجلها.(ولست أدرى كيف يتعرض لإمامة الناس ووعظهم رجل قصير الباع فى الدراسات الإسلامية، كل ما يستظهره من كتاب الله بضع سور وآيات وكل ما يعيه من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم جملة من الأحاديث، لا تسد جوع المجتمع إلى فنون التوجيه وألوان النصح وكثير من المشتغلين بالدعوة الإسلامية مصابون بهذا العوز الفظيع، وظاهرهم أنهم يحملون الإسلام فى حناياهم، والواقع أن الإسلام هو الذى يحمل عبئهم، ويتحامل على نفسه وهو يسير بهم فى متاهات الحياة ودروبها)[1].وهذا الوصف السابق يعتبر وصفا دقيقا لما يسير عليه حال الداعية، الذى كره هذا المجال، وانعكس نفوره إلى الله على سلوكه تجاهها، وأصبح يؤديها عملا روتينيا لا قيمة له، فى ظروف الدعوة الحاضرة.

ولكن، لماذا هذا النفور من الدعوة الإسلامية؟ وعى أشرف عمل يقوم به الإنسان فى الحياة، للتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك بتشريف المولى سبحانه وتعالى للدعاة فى كتابه الكريم بقوله: **"ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل عمل صالحا وقال إننى من المسلمين"**[2].

.

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة ص 196، 197

[2] فصلت: 33

ولقد كان الداعية مكان الريادة فى العالم الإسلامى، وكانت نفوس المسلمين جميعا تهفو إليه وإلى مهنته، وإلى عهد قريب قبل بداية هذا القرن، كان للداعية مكان الصدارة فى المجتمع المصرى، وكان أعز وأغلى حلم لكل أب وأم أن يكون ابنهما ممن يرتدون زى الأزهر الشريف، ويؤمون الناس فى الصلاة، وكان للداعية أشرف مكانة عند المجتمع، فى القرية والمدينة على السواء.

ونعود بعد هذه التقدمة إلى السؤال المهم:

لماذا هذا النفور من وظيفة الداعية رغم تاريخها الحافل وأمجادها العظيمة؟

والإجابة على هذا السؤال هى موضوع هذا الفصل، لأن هذه الرسالة بعون الله ستبحث عن جذور الأسباب التى أدت إلى نفور الطلاب من الالتحاق بهذه الأقسام.

وقبل أن ندخل إلى جوهر البحث، لابد من الاعتراف أولا، بأن الداعية قد تعرض فيما تعرض لمعركة شرسة مستمرة، كان وما يزال يخوض غمارها وهو أعزل من السلاح، ضد عدو يملك تفوقا هائلا فى أساليب الكيد ووسائل الهجوم.

وأعداء دعاة الإسلام كثرة، ولكن أبرزهم عداء وتخطيطا وتنظيما هو الغرب الصليبى، وأعداء الدعاة هم أعداء الإسلام فى كل زمان ومكان، والداعية ليس مستهدفا لشخصه، وإنما المستهدف هو الإسلام، وهذا الأمر لا جدال فيه.

وإذا تأكد للجميع أن الغرب الصليبى هو أبرز أعداء الإسلام والدعاة، فإنه مافتىء يكيد للإسلام، حتى يومنا هذا، ولقد حاولوا القضاء على الإسلام بالقوة المسلحة فلم يستطيعوا، وانتصر المسلمون، وكان الدعاة فى كل المعارك يشكلون الخط الأول فى المواجهة، فى ميدان القتال وكانوا الساهرين على حماية الثغور فى جبهة القتال، والساهرين على حدود الله، فى حالة السلم بعد القتال.

ولما يئس الغرب الصليبى من الانتصار والقضاء على الإسلام؟ بالقوة العسكرية لجأ إلى أسلوب آخر بعيداً عن ميدان القتال، ولكنه أشد فتكاً ودماراً من استعمال القوة العسكرية.

هذا الأسلوب الجديد هو محاولة تشويه صورة الإسلام، ومسخ مبادئه وتشوية صورة رجاله – الدعاة – وذلك لكى يصبح المجتمع الإسلامى من غير مثل أعلى، بعد انهيار كرامة الدعاة ومهابتهم عند العامة والخاصة.

ومن بداية القرن العشرين وحتى كتابة هذه السطور وأجهزة الإعلام فى معظم البلاد الإسلامية، وفى مصر على وجه الخصوص، تحاول وتلح على فكرة واحدة وهى السخرية من الداعية والحط من شأنه.

وسوف يتم التركيز فى هذا الفصل على أجهزة الإعلام المصرية، كنموذج لما يسير عليه الإعلام فى بعض البلاد الإسلامية، وموقف هذه الأجهزة من الدعوة الإسلامية ورجالها.

وقبل ذكر الأمثلة الكثيرة التى توضح المنهاج العدائى المستخدم ضد الدعوة الإسلامية ورجالها فى أجهزة الإعلام يكون من الواجب فى البداية ذكر هذا السؤال الذى يتبادر إلى الذهن ويفرض نفسه وهو: لماذا تتخذ أجهزة الإعلام المختلفة موقفا عدائيا ضد الدعوة الإسلامية ورجالها؟

والإجابة على هذا السؤال تستلزم البحث التاريخى عن جذور هذا العداء، ومصادره، ولكى تكون الإجابة شافية، لابد من تقسيم هذا الاتجاه العدائى إلى مراحل زمنية، وهذا التقسيم لا يغير من كون العداء للإسلام متواصل الحلقات.

المرحلة الأولى:

منذ أن بدأ الإسلام يشق طريقه فى جزيرة العرب، وهناك حقد عليه كثير من الأعداء، كان أبرزهم وأخطرهم أهل الكتاب، ويصور الحق سبحانه وتعالى موقف الكثرة من أهل الكتاب بقوله: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم "[1]، **"ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك"**[2].

وعن رغبة أهل الكتاب وتعطشهم إلى إضلال المؤمنين يقول الله تعالى: **"ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ومايضلون إلا أنفسهم ومايشعرون "**[3]، ويقول تعالى: **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون"**[4]. والقرآن الكريم فيه الكثير من الآيات التى تبين عداء أهل الكتاب للإسلام غى هذه المرحلة المبكرة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتشمل هذه المرحلة الفترة من الصراع فى المدينة المنورة، وحتى الحروب الصليبية فى العصر الحديث، وإذا كان أبرز ما يميز الصراع بين المسلمين وأهل الكتاب فى المدينة المنورة، هو حقد أهل الكتاب على الإسلام فإن هذا الحقد قد استمر أيضا بعد ذلك، فنجد

أنه فى عام 12 هجرية، ينقل ابن الأثير تصويرا لنشاط المسلمين وأهل الكتاب فيقول:(ولما أصاب خالد يوم الولجة ماأصاب من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا

---

[1] البقرة: 120.
[2] البقرة: 145
[3] آل عمران: 69.
[4] آل عمران: 72

الفرس، غضب لهم نصارى قومهم، فكاتبوا الفرس، واجتمعوا على الليس، واقتتلوا قتالا شديدا)[1].

لا أريد أن أتحدث عن هذا الموضوع بالتفصيل، لأن المقام هنا لا يسمح بذلك ولكنى قد اخترت هذا النموذج، لأنه يوضح العداء والخيانة والتآمر، من جانب أهل الكتاب، على الإسلام والمسلمين، ومن عام 12 هجرية إلى قرب نهاية القرن الخامس الهجرى تقريبا – وهو بداية الحروب الصليبية – والقتال لا ينتهى بين المسلمين وأهل الكتاب[2]. وإطلاق اسم الصليبية على الحروب التى دارت بين المسلمين وأهل الكتاب، فى العصور الوسطى فيه قصور، لأن حروب أهل الكتاب ضد الإسلام كانت وما زالت

حتى يومنا هذا حروب صليبية بكل ما يحمل هذا المعنى من حقد على الإسلام، ولا شك أن عداء أهل الكتاب على الإسلام متصل الحلقات، وهذا التقسيم تاريخى فقط.

المرحلة الثالثة: الحروب الصليبية:

هذه المرحلة من الصراع أكثر تطورا من المرحلتين السابقتين، وأكثر غدرا وخديعة، وتبدأ بشبه مظاهرة أو مظاهرات للحج الفردى أو الجماعى إلى بيت المقدس، (والمعروف أن الغربيين مارسوا عملية الحج الجماعى وزيارة الأراضى

المقدسة بالشام منذ القرنين الرابع والخامس الهجريين، وإن ظلت مشاريع حينذاك، وقبل القرن الحادى عشر الميلادى مشاريع فردية قوامها فى معظم الأحيان عدد لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، ومنذ القرن الحادى عشر، بدأت ظاهرة الحج الجماعية إذ يخرج بضعة مئات من الناس تحت زعامة نبيل أو أسقف، ويتجهون

معا إلى الأراضى المقدسة بالشام، فى شبه مظاهرة دينية سليمة، ولعل ذلك ما دفع بعض المؤرخين إلى القول بأن الحروب الصليبية لم تكن سوى استمرار لحركة الحج الجماعى إلى البيت المقدس، مع حدوث تطور فى الأسلوب وهو أن الحج الجماعى صار حربيا بعد أن كان سلميا قبل ذلك)[3]

ويتجدد الأمل فى القضاء على الإسلام والسيطرة على العالم بأكله، (ويتطلع البابا إلى مد سلطانه إلى كافة أنحاء العالم)[4]. وهذه الأمانى فى السيطرة كانت هى بداية الحروب الصليبية المطورة سنة **1095** م، وبدأ الصليبيون يتلقون الهزيمة بعد الهزيمة على أيدى

---

[1] ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ 2 ص 386، ط صادر، بيروت 1979

[2] ولمزيد من المعرفة حول هذه السلسلة من القتال بين المسلمين وأهل الكتاب، يحسن الرجوع إلى الكامل فى التاريخ لابن الأثير، جـ 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، حتى ص 709 وتاريخ الطبرى جـ 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10،

[3] د. محمد محمد مرسى: محاضرات فى عصر الحروب الصليبية جـ 2 ص 1، ط. جامعة الاسكندرية

[4] المرجع السابق ص 2

المسلمين، وكلما انهزموا أمام المسلمين اشتعلت نار الحقد فى قلوبهم مرة آخرى، فعادوا للغزو، وعادوا بنفس الهزيمة واستمر الحال على ذلك حتى عام **1291** م، (وإن كان بعض المؤرخين يتجه اتجاها صحيحا، فيعتبر أن جذور هذه الحروب كانت أبعد من تاريخ بدايتها واستمرت إلى نهاية القرن الخامس عشر، ومنهم من يضيف إليه كل حملات الغزو الاستعمارى فى العصر الحديث)[1]. وقد نقول: إنه منذ الفتح الإسلامى للبلاد التى كانت تعتنق المسيحية، ودخول الناس فى الإسلام أفواجا، لما وجدوا فيه من عدل، ورحمة، ومسايرة للفطرة، منذ ذلك التاريخ والغرب الصليبى لا يهدأ له بال.

(وإن كانت الكنيسة المسيحية قد منيت بخسارة فادحة بفقد بلاد الشام، ومصر والأراضى المقدسة، التى ارتبطت بها أصول المسيحية الأولى، فإن خسارتها فى شمال إفريقيا وأسبانيا لا تقل جسامة على ذلك، لأنهما كانا من الأقطار الأساسية فى العالم المسيحى)[2].

ولقد كانت ومازالت هناك لهفة كبيرة لقتال المسلمين، وحقد ليس له حدود من الغرب الصليبى، ويوضح هذا مادار فى الاجتماع الأول الذى عقده البابا "إريان" كلمة يحث فيها الجماهير على الاشتراك فى هذا القتال، وكانت الكلمات ملتهبة، (ومأن فرغ

" إريان" من إلقاء خطابه الخطير فى "كليرمونت" بشمال إيطاليا حتى اندفع

"دهيمار" أسقف بودى ليجثو أمام قدم البابا

" إدريان" راجيا أن يكون له شرف المساهمة فى الحرب المقدسة ضد المسلمين)[3]

وهذا العداء مستمر عبر التاريخ للإسلام وأهله، ولكنه يتغير ويتشكل بحسب الواقع، وهم فى الغرب لا ينسون التاريخ، ولا ينسون عداوتهم لنا ولكننا ننسى !!.

المرحلة الرابعة: الحملة الفرنسية على مصر 1798 م:

وتستمر الحرب حتى يومنا هذا ضد الإسلام، وفى أكثر من مكان فى العالم، ولكنى سأقتصر هنا على دراسة أثر الحملة الفرنسية على مصر المسلمة، بلد الأزهر الشريف، لأن هذه الحملة باعتراف كثير من المؤرخين والكتاب، لم ينته أثرها حتى الآن، ولأنها التزمت خطا معينا لتدمير الأخلاق، بعد فشل الحملات السابقة فى تدمير قوة المسلمين، وأثر الحملة الفرنسية فى تدمير أخلاق الشعب المصرى، ظل باقيا حتى الآن.

---

[1] د. محمد الشيخ: محاضرات فى الحروب الصليبية ص 12

[2] د. محمد الشيخ: محاضرات فى الحروب الصليبية ص 15

[3] المرجع السابق ص 42

وتركت هذه الحملة كثيرا من التلاميذ، الذين يقومون مكانها، ويطورون منهجها، بعد أن لوثتهم بالمعاصى وفتحت عليهم أبواب الرذائل ليصبحوا بعد ذلك حربا على الإسلام والمسلمين وتكوين جيش من العملاء، والتلاميذ، ينطلق إلى كل العالم العربى والإسلامى من قاعدته فى مصر بلد الأزهر الشريف، وجاءت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة 1798 م،

ومصر وقتها تحت الخلافة العثمانية ومازال الدعاة فيها - رجال الأزهر الشريف-لهم القيادة، والريادة، والمجتمع يحكمه التوجيه الدينى فى أغلب اتجاهاته، ولكن هذه الحملة بخلاف كل الحملات الصليبية السابقة، لم يكن هدفها هو تدمير الجيش، أو قوات البوليس، أو المؤسسات المدنية، فقط، ولكنها اتجهت بتخطيط غريب إلى تدمير الأخلاق. وسيكون من الواضح فى الصفحات التالية أن الحملة الفرنسية حين ضاق بها الشعب المصرى، وضاق عليها البر والبحر، وانسحبت عائدة برجالها إلى فرنسا كانت الحملة مع ذلك قد حققت معظم أهدافها، وتركت لنا جرحا داميا فى أخلاقنا حتى الآن.

ومن الواضح أن هذا الجرح الذى منينا به هو تدمير أخلاق المجتمع المصرى، ووضع أساس الفساد فى مصر والشرق العربى، تحت دعوى التحضر والتمدن، والأساس فى نجاح هذا المخطط أنهم خلفوا وراءهم تلاميذ مخلصين، بعد أن ورطوهم، ونصبوا لهم شباك الرذيلة، ودربوهم عليها، وبهذا انفرط عقد المجتمع، وقام دعاة الرذيلة ومن سلك مسلكهم بمحاولات كثيرة لتدمير شخصية رجل الدين فى نفوس الشعب المصرى المسلم، بكل الوسائل والأساليب والسخرية منه، ومن شريعته، وكان هذا هو مولد مجموعة من البشر فى مصر ليس لهم هم ولا هدف إلا محاربة الدين والسخرية من رجاله.

واستطاعت هذه المجموعة السيطرة على أكثر الأجهزة حساسية فى الدولة، ألا وهو جهاز الإعلام، ولطالما توجه الدعاة باللوم إلى الحكومات المتعاقبة فى مصر على فساد أجهزة الإعلام، ولكن المسألة ظلت أكبر من ذلك بكثير، لأن تلاميذ الحملة الفرنسية تضخموا بشكل سرطانى فى المجتمع المصرى، وهم فى معظمهم ينتسبون إلى ما يسمى بالوسط الفنى، والأوساط التى تدور فى فلك هذا الوسط، كبعض رجال الأعمال وغيرهم.

والواضح أن هذا الوسط أو مجموعة التلاميذ، كانوا فى بعض الأحيان يشكلون عبئا على الحكومة نفسها[1].

وليس من المفيد لرجال الدعوة الدخول مع الحكومة فى أى بلد مسلم وخاصة مصر فى مواجهة، من أجل تطهير أجهزة الإعلام من الفساد، ولكن الأكثر فائدة للدعوة

---

[1] انظر أهرام 5 / 4 / 1985 م ص 10 – قصة الفنانة التى أهانت ضابط البوليس أمام فندق شيراتون، بل إنها أهانت نظام الحكم بأكمله، وكيف كانت هناك محاولات من وزارة الداخلية للعفو عنها، ولولا تدخل الصحف فى ذلك الوقت لماتت القضية. ترى هل يحدث هذا مع أحد الدعاة لو تعرض لنظام الحكم ؟

ورجالها هو مواجهة تلاميذ الحملة الفرنسية أنفسهم بالكشف عن أصولهم، وفضح أساليبهم، وتعريتهم من أقنعتهم أمام الناس، وتوضيح أن ماجرى ويجرى فى أجهزة الإعلام – من تمجيد للرذيلة والسخرية من الدين الإسلامى وعلمائه – المقصود به هو محاربة الإسلام، ويستطيع الباحث أن يؤكد أن محاربة الفساد من أجهزة الإعلام لكى تنجح لابد أن تتم بعيدا عن السلطة، وعن خلق نزاع لا طائل من ورائه مع النظام الحاكم، بل يجب الاستعانة بالنظام الحاكم نفسه فى مواجهة هذا الفساد، لأن مواجهة ٱلإسلاميين للسلطة تعتبر من أفضل الأسلحة التى يستعملها تلاميذ الحملة المسيطرون على أجهوة الإعلام ضد الدعاة والإسلاميين من جميع الاتجاهات، وبذلك تضاف قوة الدولة إلى رصيد تلاميذ الحملة الفرنسية، وتخصم من رصيد

الدعاة، وعملية استعداد السلطة على الدعاة عملية قديمة متكررة، لا تحتاج إلى شرح جديد.

وبعد هذه اللمحة الموجزة، يكون من المفيد البحث المتأنى للوصول إلى جذور التى كونت هذه الجماعة الخطيرة، التى أطلق عليها: تلاميذ الحملة الفرنسية، وهم الذين حملوا لواء العداء للإسلام، والكيد له، عن كاهل أساتذنهم الفرنسيين، ولابد من الوقوف كثيرا عند نقطة البداية، ولكى يتم هذا لابد من نقل وقائع هذا التاريخ – دخول الحملة الفرنسية إلى مصر – من شهود عيان هذه الفترة سجلوا بأمانة وتجرد ماحدث فيها، من بداية تكوين كوادر الفساد فى مصر والشرق العربى الإسلامى تبعا لذلك.

ومن الأمور التى تحير الباحث إعراض كثير من المؤرخين عن ذكر خطة الحملة الفرنسية لضرب الأخلاق الإسلامية فى مصر، رغم أن المؤرخين القدامى وقفوا عندها كثيرا وشرحوا بعض فصول هذه المأساة، ومن السهل بمكان لأى مؤرخ معاصر أن ينقل عنهم، إذا أراد، ولكن المشكلة أن بغض المؤرخين يعتبرون من تلاميذ التلاميذ !!

ويكشف الدكتور عمر عبد العزيز القناع عن تجاهل كثير من المؤرخين لجانب الفساد الذى صاحب الحملة الفرنسية، رغم وجود هذع الوقائع فى مذكرات كل من شيخ المؤرخين "عبد الرحمن الجبرتى"، والمعلم "نقولا الترك"ويقول عن ذلك – د. عمر عبد العزيز – (ولم يقف « الجبرتى »و « نقولا الترك » عن موضوع الجهاد الدينى والروح الإسلامية، بل تعرضا لمشكلة أخرى هامة ظهرت إبان الاحتلال الفرنسى لمصر، وهى مشكلة التحرر النسائى.)[1]

التحرر النسائى:

[1] د. عمر عبد العزيز: تابع مصر الحديث ص 94

هذا هو السلاح المدمر الذى استعمله الفرنسيون للقضاء على الفضيلة فى المجتمع المصرى ومن ثم إضعاف الإسلام فى قلوب الناس، وإجهاض كل محاولة للدعاة، بهدف الحفاظ على قيم الإسلام الأصلية.

ولم يستطع الفرنسيون فى البداية استخدام النساء المصريات فى خطتهم اللعينة فاستقدموا زوجاتهم وعشيقاتهم إلى مصر، حتى وصل عددهم إلى 300 ثلثمائة امرأة (وقد عاشت تلك الزوجات والعشيقات فى مصر حياة متحررة من قيود مجتمع شرقى إسلامى محافظ، ولكى يشبعن ماكانت تهفو إليه نفوسهن من كل ما هو جديد وطريف)[1].

ومسألة إشباع الرغبات ليست هى المقصودة، ولكن هناك خطة يجب أن تنفذ، وذلك بنقل الفساد إلى داخل البيوت المصرية، (ومنها تبرج النساء، وخروج أغلبهن عن الحشمة والحياء، وهو أنه لما حضر الفرنسيون إلى مصر ومع البعض منهم نساؤهم، كانوا يمشون فى الشوارع، وهن حاسرات الوجوه، لابسات الفساتين والمناديل الحرير الملونة، ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميرى والمزركشات المصيوفة، ويركبن الخيول، والحمير، ويسوقونها سوقا عنيفا مع الضحك والقهقهة، ومداعبة المكارية معهم، وحرافيش العامة)[2].

وبهذه الطريقة يتم إفساد الشعوب عادة بإثارة غرائزها، وسيتضح فيما بعد أن هذا السلوك كان النواة لإفساد ذوق الشعب المصرى المسلم، وتكوين خلايا للفساد فى داخله، ومن المؤكد أنه سينضم لموكب الإباحية الكثيرون والكثيرات، لأنها بلد بلا حكومة تدافع عن الأخلاق فيها فى ذلك الوقت، وأمرها فى أيدى الغزاة، وهم بالطبع يريدون وضع أساس الفساد فى مصر، وفى الشرق كله، لأن مصر بأزهرها الشريف كانت دائما هى الحصن الحصين.

وطبعا بعد موكب الفرنسيات المتقدم، والذى كان بمثابة المثال للمصريات، وعلى أثره انضم لموكب الفجور أقرب عناصر الدولة ميلا للتحلل، (والعنصر الثانى من النساء المتحررات فى مصر كان يتمثل فى النساء الشركسيات واليونانيات، والأرمنيات، ومن إليهن، وقد كن زوجات، أو مستولدات، أو من الجوارى اللائى للأمراء أو المماليك، والكشاف

جىء بهن إلى مصر، وأقمن فى قصور كانت غاية فى الروعة والبهاء، وعشن حياة مترفة ناعمة باذخة، وارتدين أرقى أنواع الملابس الحريرية المستوردة، من مصانع « ليون » والملابس الصوفية وغيرها، وقد قتل عدد كبير من أزواجهن، أو أسيادهن، فى المعارك التى خاضوها ببسالة ضد الفرنسيين، وانطلقت السيدات إلى حياة التحرر، بعد

---

[1] الجبرتى: عجائب الاثار جـ 3 ص 161، من العلوم أن المؤرخين عبد الرحمن الجبرتى، والمعلم نقولا الترك لم يتقيدا فى كتاباتهما بقواعد اللغة العربية، من نحو أو إملاء أو صياغة، ولقد التزمت النقل الحرفى عنهما للأمانة

[2] محمد فؤاد شكرى وعبد الله فؤاد: مينو وخروج الفرنسيين من مصر ص 572

أن كن يقضين أحلى سنوات االعمر خلف المشربيات، لا يراهن أحد سوى الأغوات الطواشية، الذين يقومون على خدمتهن، وقد عاشت تلك السيدات بعد زواجهن من الفرنسيين حياة أوربية مترفة منعمة، وخرجن سافرات فى صحبة أزواجهن من الفرنسيين، وكن يذهبن معهم إلى منتدى الجيش الفرنسى المسمى « تيفولى » فى ميدان الأزبكية، وإلى غيره من أماكن اللهو والتسلية)[1].

والملاحظ إلى الآن أن العناصر المتقدمة من النساء المتحررات كن من الأجانب اللائى شكلن النواة الأولى للفساد فى مصر، والعنصر التالى أيضا من الأجانب وهو العنصر الثالث (وشكل الإماء الجوارى السود عنصرا ثالثا متحررآ إلى أبعد حدود التحرر، فى مدينة القاهرة، وكن أيضا يعشن فى قصور الأمراء المماليك، والكشاف وانطلقن من إسار الرق، وكن أوفر عددآ وأكثر جرأة، فى تطوير أسلوب حياتهن، وقدم الفرنسيون لهم الملابس الأوربية، فارتدينها، وقدموا لهن الخيول فركبنها، وكن يغادرن منازلهن فى أى وقت، ويطفن بشوارع القاهرة، سافرات الوججوه، تبدو عليهن الأناقة، فى زينتهن، ومشيتهن، وحركاتهن)[2].

ويجمل المعلم «نقولا الترك »تفاصيل هذه المؤامرة الخبيثة – وهى زرع الفساد فى مصر – ويبين أن الفرنسيين كانوا يبذلون أقصى وأقسى الجهود، لإفساد أكبر عدد ممكن من نساء المسلمين، فى أقل وقت ممكن، وكانت مساكن الفرنسيين تعتبر مصادر لتصدير الفساد، وذلك بحشد أكبر عدد من النساء المسلمات وغيرهن، وإقامة الحفلات لهن.

ويقول « نقولا الترك »: (وكانت بيوتهن مشحونة ببنات الإسلام، ونسائهم، لاسيما الجوارى البيض، اللائى كن فى بيوت الغز المماليك، وأما الجوارى السود فكانوا بزيادة، وكانوا يلبسوهن كسم بلاد الإفراج، ويركبوهن الخيل، ويدرن فى المدينة مكشوفين

الوجوه جهارا، فكانت حرية مطلقة، لجنس النساء، والبنات، وخرجت النساء من بيوتهن خروجا عظيما، لكون أن الجنس الفرنساوى له مداخلة وموانسة ومسايرة لجنس النساء، بنوع آخر، على باقى الجنوس الموجودة فى العالم بأسره)[3].

والواقع أن كل كلمة ل "نقولا الترك" يندى لها جبين كل مصرى حر، والغريب حقا أن تاريخ الحملة الفرنسية الذى يدرس فى كل مراحل التعليم فى مصر، وفى معظم الدول العربية، ليس به أدنى إشارة إلى هذا الخطر العظيم، وعندما يتحدث المؤرخون عن نتائج الحملة الفرنسية، تراهم يركزون مثلا على اكتشاف حجر رشيد الذى قام به «

---

[1] د. عمر عبد العزيز: تاريخ مصر الحديث، نقلا عن كرستوفر هيراالد – بونابرت فى مصر، ترجمة فؤاد أندراوس ص 224

[2] المرجع السابق ص 574

[3] مذكرات نقولا الترك ص 60، ط. المطبعة المصرية

شمبليون »[1]، وبعض الأمور التافهة الأخرى، التى يسمونها نتائج ولم يقل قائل منهم أن أهم نتائج الحملة الفرنسية كان زرع الفساد فى مصر، ومنها ينتقل إلى كل البلاد العربية، وتكوين جماعات تعمل لصالح فرنسا الصليبية، وضد الإسلام، والأزهر الشريف فى مصر

ولكن لماذا أغفل المؤرخون ذكر هذا الأمر الخطير؟

والإجابة: أنهم ربما اعتمدوا على مراجع تاريخية ليس بها إشارة للوضع الاجتماعى فى مصر إبان الحملة الفرنسية ولكن المحير فى هذا الأمر أن المرجعين الأساسين: عجائب الآثار، ومذكرات نقولا الترك، يركزان على ظروف وأساليب ووسائل الفرنسيين، فى تدمير أخلاق الشعب المصرى بهذه الطريقة الجهنمية بعيدة المدى.

ومن ناحية أخرى يمكن تفسير إهمال المؤرخين المحدثين لهذا الجانب الخطير بأنهم أنفسهم ينتمون إلى مجموعة تلاميذ الحملة الفرنسية فى مصر، ومن أصحاب الثقافة الغربية، وهذه الطائفة من المؤرخين ترى أن الفساد الذى حل بالمصريين على يد الحملة الفرنسية من سفور وفجور، ورقص وتعر، يرونه من أجل النعم التى أسدتها الحملة الفرنسية لمصر.ولنستمع إلى «الجبراتى » وهو يصف مزيدا من تفاصيل هذه الجريمة، وهى جريمة

تحويل الشعب المصرى إلى شعب من السكارى، والعاهرات، فيقول: (وأما الجوارى السود فإنهن لما علمن رغبة القوم فى تعلق الأنثى، ذهبن إليه أفواجا، فرادى وأزواجا فنطن الحيطان، وتسلقن الجدران، ودلوهم على مخبئات أسيادهن، وخبايا أموالهم ومتاعهم وغير ذلك.)[2]

ويستطرد « الجبرتى » فيتحدث عن زواج الفرنسيين من المصريات، ولكنه كمؤرخ يقظ يذكر ما خلف هذا الزواج من فجور وطعن الإسلام، ويعد هذا الزواج استكمالا لخطة القضاء على الإسلام فيقول: (ولما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر، وحاربت الفرنسيس بولاق وفتكوا فى أهلها، وغنموا أموالها، وأخذوا مااستحسنوه من النساء، والبنات، صرن مأسورات عندهم، فزيوهن بزى نسائهم، وأجروهن على طريقتهن فى كامل الأحوال، فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية، وتداخل مع هؤلاء المأسورات غيرهن من النساء الفواجر، ولما حل بأهل البلاد من الذل، والهوان، وسلب الأموال، واجتماع الخيرات فى حوز الفرنسيس، ومن والاهم، وشدة رغبتهم فى النساء، وخضوعهم لهن، وموافقة مرادهن، وعدم مخالفة هواهن، ولو شتمته أو ضربته بتاسومتها، فطرحن

---

[1] شمبليون: هو العالم الفرنسى الذى اكتشف حجر رشيد، وحل الرموز الهيلوغرافية من عليه، وبدأت بعد ذلك معرفة لغة قدماء المصريين. انظر تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص 29 د. أحمد عزت عبد الكريم، ط. وزارة التربية والتعليم

[2] عجائب الآثار جـ 3 ص 162. عبد الرحمن الجبرتى

الحشمة والوقار، والمبالاة والاعتبار، واستلمن نظراؤهن، واختلسن عقولهن، لميل النفوس إلى الشهوات، وخصوصا عقول القاصرات)[1].

هذه خطة محكمة لضرب الأسلام من الداخل، وترك تلاميذ مدربين يقومون بتنفيذ خطة الصليبيين، وذلك بعد رحيل الحملة الفرنسية عن مصر، ومن النص السابق تكون عناصر الخطة واضحة، فبعد معركة بولاق، أخذ الفرنسيون بعض النساء الجميلات، وهذا الأخذ بهذا الشكل مقصود، لأن الجمال عند بعض النساء يقترن عادة بالغرور، وهذا الوضع لا يجعل المرأة الجميلة تستقر على وضع ثابت، ولذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم، وهو ينهى عن زواج المرأة لمجرد جمالها: «ولا تتزوجوهن لجمالهن فعسى جمالهن أن يرديهن»[2].

وعلى كل حال فقد تم اختيار النساء، والبنات الجميلات، بعد معركة بولاق، وبدأت عملية صياغتهن بطريقة جديدة، وذلك بتغيير الزى، وتغيير السلوك،

و« الجبرتى » يعبر عن هذا تعبير المدرك للأمور، ولذلك يصف المصريات وهن فى حوزة الفرنسيس بقوله: (فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية)، ولكن ترى هل يكفى لتنفيذ الخطة ما فى أيدى الفرنسيين من نساء، جميلات، أم أن الهدف هو تعميم الفساد، وخلق أكبر عدد ممكن من تلاميذ الحملة، ومعتنقى أفكارها التحررية؟ فكان لابد من تحريض النساء بعد عملية الصياغة الجديدة، على جلب المزيد من النساء، اللائى لديهن رغبة فى الفجور، ولذلك يقول « الجبرتى »: (واستملن نظراءهن، واختلسن عقولهن)، ويقول: (وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر).

وهكذا تم هذا التجمع من رغبات والتحرر، وبدأن فى العمل وفق الخطة الفرنسية، لتدمير كيان المجتمع المصرى المسلم، والواضح أن «الجبرتى» كان فى أقصى درجات اليقظة، وهو يصف جمال النساء الفواجر كما أسماهن فيقول عنهن: (فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار).

وهذه الأعداد المتزايدة من النساء الفواجر، أين ذهبن بعد رحيل الحملة الفرنسية؟ هذا هو السؤال الأكثر أهمية فى هذا المجال، والإجابة ليست على مستوى السؤال لأنها فى غاية البساطة أنهن بقين فى مصر، ولم يخرجن مع الحملة الفرنسية.

ولا شك أن موجة الانحلال التى سادت المجتمع المصرى، أثناء الحملة الفرنسية ظلت باقية حتى الآن، إذ أن هؤلاء النساء، وبالأسر التى كونوها وعشن فيها، بعد رحيل أفراد الحملة، وبالعادات والتقاليد الإباحية، بهذا كله أصبحن كالسوس ينخر فى عظام المجتمع

---

[1] المرجع السابق جـ 3 ص 162

[2] الحديث رواه ابن ماجه فى سننه جـ 1 ص 597 ورقمه 1859، وفيه الإفريقى عبد الله بن زياد بن أنعم، ضعيف. ورواه ابن حبان فى صحيحه بإسناد آخر وصححه

من الداخل، وبما أنهن أصبحن يتقن فن إعطاء المتعة كما تعلمن من أسيادهن الفرنسيين، فقد أصبح لهن نفوذ وتأثير على كثير ممن يتولون زمام الأمور فى البلاد، وحاولن وإلى الآن ربط المجتمع المصرى بالثقافة الفرنسية، والغربية عموماً، وهذا ييسر لهن حياة المتعة والمجون والعربدة، لهن ولذرياتهن بعد ذلك، وهذا ما يفسر كثرة البعثات التى تلت خروج الفرنسيين من مصر، إلى فرنسا وغيرها من البلاد الغربية الصليبية، والتى عاد أصحابها يحملون سخطاً لا حد له على تقاليد المجتمع المصرى المسلم، وكان هذا نجاحاً لم تحققه أى حملة صليبية على بلاد الإسلام قبل ذلك، لأنه تدمير للسلوك، والأخلاق الإسلامية فى مصر بلد الأزهر الشريف، وقلب العالم العربى الإسلامى.

وما سبق من تصوير لهذه المؤامرة، نقل عن عبد الرحمن الجبرتى كرجل مسلم،

ولتوثيق هذا النقل نكمل الصورة بشهادة أخرى من رجل آخر على غير الإسلام.

يقول المعلم نقولا الترك: (خرجت النساء خروجاً شنيعاً مع الفرنساوية، وبقيت مدينة مصر مثل باريس فى شرب الخمر والمسكرات، والأشياء التى لا ترضى رب السموات)[1].

ونستطيع بعد ما تقدم أن نجزم بأن الحرب التى تدور الآن فى أجهزة الإعلام، لها أساس تاريخى، وأن المحاربين الجدد الذين يقفون فى وجه الدعوة الإسلامية، هم امتداد للمحاربين القدماء، وربما كانوا من أبنائهم، لقد توارثوا الدفاع عن الرذيلة، وحمايتها ومحاربة الإسلام، والأزهر الشريف، والدعاة، وما زالوا يسيرون فى هذا الاتجاه، **"أتواصوا به بل هم قوم طاغون "**[2].

وهذه الفكرة السابقة لها مايؤيدها عند مؤرخ حديث إذ يقول: (ومن ناحية أخرى فقد مهد الاحتلال الفرنسى لمصر الطريق، لحدوث تغييرات بدلت شكل المجتمع المصرى من خلال القرن التاسع عشر، وأثرت فى الثقافة المصرية والتى برغم التقلبات السياسية المختلفة مانزال نلحظها حتى الوقت الحاضر)[3]. ولاستمرار هذا الخط نجد أن أحد الصحافيين مازال يطالب إلى الآن بترجمة كتاب « وصف مصر » ويقول: (وسوف تجيب هذه الوثائق بدورها عن أسئلة كثيرة تكشف التاريخ مصر خلال فترة كان ومازال لها تأثيرها الواضح فى حياتنا الاجتماعية والثقافية)[4].

ويتتابع غزو الثقافة الفرنسية للمجتمع المصرى فى أيام محمد على، وقد أعجب الأخير بهذه الثقافة بدافع الضغط الذى تولد من تفاعل تلاميذ الحملة الفرنسية مع رجال القصر،

---

[1] مذكرات نقولا الترك ص 31 ط، المطبعة المصرية

[2] الذاريات: 53

[3] د. عمر عبد العزيز: تاريخ مصر الحديث ص 180، ط. دار المعرفة الجامعية

[4] عادل البلك، مجلة أكتوبر، العدد رقم 513، ص 52 بتاريخ 24 / 8 / 1986 م

والذى يؤكد ذلك أن محمد على باشا كان أمياً لا يميز بين الثقافة الفرنسية وغيرها من الثقافات، ولكن اتجاه البعثات وقتها إلى فرنسا كان نتيجة لضغط تلاميذ الحملة الموجودين فى مصر بعد رحيلها.

ولكن لماذا انصب انتقام تلاميذ الحملة الفرنسية على الإسلام، والأزهر الشريف بالذات؟! لابد أن لهذا خلفية، وهى أن مهمة الحملة كانت القضاء على الإسلام كأى

حملة صليبية، أضف إلى ذلك موقف الأزهر الشريف من هذه الحملة

موقف الأزهر الشريف من الحملة الفرنسية:

مع بداية القرن الحالى اتضح أن تلاميذ الحملة الفرنسية يعملون جاهدين لسحق القيم الدينية، وذلك عن طريق السخرية من الشريعة الإسلامية، ومن علماء الأزهر بصفة عامة، والدعاة منهم بصفة خاصة، وأصبحت هذه الفكرة هى نقطة الارتكاز التى يدور حولها كل إنتاج أجهزة الإعلام.

وبالبحث التاريخى عن هذه العداوة للأزهر، اتضح أن الأزهر الشريف الآن مطالب بدفع ضريبة وقوفه فى وجه الحملة الفرنسية، ودفع دية " كليبر"[1]

وأمثاله، كذلك بدفع ثمن وقوفه بجانب الشريعة الإسلامية، والمحافظة على قيم الإسلام، فى مصر والشرق العربى الإسلامى، كافة، والبحث هنا يدور حول موقف الأزهر الشريف من الحملة الفرنسية.

وعن موقف الأزهر من الحملة يقول أحد المؤرخين: (تملكت « نابليون بونابرت » رغبة قوية فى الانتقام من الجامع الأزهر، ورجاله، ومن يلوذ بهم، فأصدر أوامره فى 23 / 10 / 1798 م، بتحطيم بعض أعمدة الجامع الأزهر أثناء الليل، فى محاولة منه لهدمه، وقد دفع « بونابرت » إلى اتخاذ مثل هذا الموقف، دفعه ذلك الدور القيادى البارز الذى كان يضطلع به الأزهر فى الحياة السياسية والدينية، إذ كشفت هذه الثورة « لنابليون » مدى قدرة الأزهريين على تحريك الجماهير، ثورياً، ودينياً، إلا أننا نلاحظ أن الأزهر الشريف لم يتم هدمه، ونرجح أن نابليون راجع نفسه بعد أن هدأت هواجسه قليلا)[2]

وعلى عكس ما يروجه تلاميذ الحملة الفرنسية من اختلاق أسباب كثيرة لمجىء الحملة الفرنسية إلى مصر، فإن الذين عاشوا هذه الفترة من تاريخ مصر، أدركوا

---

[1] انظر: تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص 26، د. أحمد عزت عبد الكريم، وكليبر: قائد فرنسى، قتله سليمان الحلبى السورى أحد طلاب الأزهر عام 1800 م

[2] د. عمر عبد العزيز: تاريخ مصر الحديث ص 98، 99

أن ضرب الإسلام كان هو المقصود بهذه الحملة، وقد سبقت الأدلة على ذلك فى الصفحات السابقة، حينما أظهر البحث عناية الفرنسيين بالنساء، وتغيير عاداتهن، وتعويدهن الخروج على قيم الإسلام، وطرح الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار، .وإليك تلخيص لموقف الأزهر الشريف من الحملة وموقف الحملة من الأزهر

ويستطيع (الباحث أن يستخلص من روايتى « الجبرتى » و « نقولا الترك » ثلاثة . :اتجاهات حددت موقف سكان القاهرة من الثورة على الحملة الفرنسية

1-أن الدعوة إلى الاشتراك فى الثورة كانت مقصورة على المؤمنين الموحدين بالله.

2-أن الجامع الأزهر كان مكاناً لحشد التجمعات الإسلامية، تتلقى فيه الأوامر، والأسلحة والذخائر، من قادة الثورة.

3-أن الحرب التى خاضها أهل القاهرة المسلمون كانت حرب جهاد دينى استهدفت الانتصار لدين الإسلام)[1].وهؤلاء هم سكان القاهرة، قاموا الفرنسيين، لأنهم فهموا أن هدف الفرنسيين هو القضاء على الإسلام فى مصر، بلد الأزهر الشريف، وليس الهدف هو فتح طريق التجارة إلى الشرق، أو قطعه أو دراسة أحوال مصر، كما يزعم المؤرخون المحدثون.

ولقد ظل هذا الهدف وهو القضاء على الإسلام سارياً حتى بعد رحيل الحملة الفرنسية، وجاء القرن التاسع عشر ليشهد حركة تبشير ضخمة، كنتيجة طبيعية لنماء بذور التى زرعتها الحملة قبل خروجها.

:التبشير فى مصر بعد الحملة الفرنسية

ولقد وصل البحث مع الحملة الفرنسية إلى بداية القرن اللتاسع عشر، حيث رحلت الحملة الفرنسية عن مصر وتركت خلفها أخلص تلاميذ، الذين قطعوا شوطاً كبيراً فى الرذيلة، وأصبح من الصعب جدا عليهم العودة لقيم الإسلام الفاضلة، وبدأوا يعلنون الحرب على الإسلام، وقيمه، وعلى الأزهر الشريف، والدعاة من :علمائه، ومن منظور نفسى يرجع هذا لسببين

الأول: أنهم استمرأوا المعصية أو عشقوها، لأنهم تدربوا عليها، ولأنها تلبى .عندهم حاجة النفس العاجلة

الثانى: أنه من المعروف نفسياً وتاريخياً، أن الإنسان إذا وقع فى خطيئة، ولم يتب يصبح من أمنياته أن يوقع غيره فيها، لأنه بذلك يثبت لنفسه أنه ليس الوحيد

---

[1] المرجع السابق ص 93

الذى يخطىء، ومن المشابه لهذا فى القرآن الكريم قصة إبليس اللعين، ومعصيته ومحاولته تحريض آدم وزوجته ليحذوا حذوه، فى معصية الله سبحانه وتعالى.
ولذلك نشط تلاميذ الحملة الفرنسية فى مصر، فى محاولة غمس المجتمع المصرى كله فى الرذيلة، وأصبح العمل بالنسبة لهم رزقآ وسعيآ، وهذا ما يفسر ما يحدث فى دور اللهو وفى أجهزة الإعلام فى البلاد الإسلامية ضد الإسلام، وفى مصر هنا ضد الإسلام، والأزهر الشريف، وعلى كل حال، فمع بداية القرن التاسع عشر وبعد رحيل الحملة الفرنسية، بدأ التلاميذ فى تهيئة المجتمع للانتقال إلى دين جديد، بعد أن شاعت الرذيلة وظنوا أن الوقت قد حان.
ويصور القسيس" زويمر" النشاط التبشيرى فى مصر فى بداية القرن التاسع عشر ويقول: (هذا الفصل من الكتاب يتضمن ملخص أعمال المبشرين البروتستانت فى مصر، والوسائل التى يتذرعون بها، والنتيجة التى توصلوا إليها وأهم معاهد التبشير فى مصر، هو الذى أسسته جمعية اتحاد مبشرى أمريكا الشمالية سنة 1854، وكان المبشرون قد وضعوا نصب أعينهم تبشير المسلم، واليهودى، والنصرانى اسما وقد استطاعوا أن يختلطوا بالمسلمين بواسطة مؤلفاتهم ومدارسهم، فنشروا منذ 35 عاما كتاب" شهادة القرآن" ووزعوا بعض النسخ من كتاب الكندى، وكتاب ميزان الحق، المطبوعين فى إنجلترا، ووضعوا فى الأيام الأخيرة كتاب الهداية، وهى فى أربعة أجزاء، وقد ألف فى الرد على الذين طعنوا فى النصرانية، والمحاضرات العامة التى ينظمها المبشرون مرتين كل أسبوع، للموازنة والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ويحضرها عدد عظيم من المسلمين، ويسمح لهم بأن يتكلموا، وفى مدارس المبشرين فى القطر المصرى 3000 طالب مسلم، وخمس هؤلاء من البنات المسلمات، وكانت نتيجة هذه المجهودات منذ بداية التبشير إلى الآن أن تنصر 150 مسلماً.
وفى سنة 1882 م تأسس فى مصر معهد علمى للتبشير تابع لجمعية تبشير الكنيسة، وله أربعة فروع، الأول: قسم طبى، والثانى: مدرسة للصبيان، والثالث: مدرسة للبنات، والرابع: لنشر الإنجبيل، وينشر مبشرو هذا المعهد مجلة أسبوعية، وكراسات، ولهم مكتبة خاصة بهم)[1]. وهذه هجمة صليبية أخرى، جاءت على نسق الهجمات السابقة ولكن بأسلوب مختلف، ويلاحظ أن هذه الهجمة التبشرية تأتى من عدة دول أوربية إلى مصر، بعد أن فتحت فرنسا هذا القطر المسلم، وغرست فيه نبات الرذيلة، والواضح أنها محكمة تتطور مع الزمن بصورة حثيثة.
والحملة الثانية للتبشير قامت بها جمعية شمال إفريقيا، وهذه الجمعية (أسست معهداً فى مصر سنة 1892م، وأهم وظائفها تنصير المسلمين، ولهذه الجمعية

---

[1] محب الدين الخطيب ومساعد اليافى: كتاب الغارة على العالم الإسلامى ص 30، ط المطبعة السلفية بمصر

ثلاثة وكلاء، واحد فى الإسكندرية، واثنان فى شبين الكوم، وأعمال هذا المعهد قاصرة على فتح المدارس لتعليم الإنجبيل بوجه خاص، وأن تزور المبشرات منازل المسلمين، ويجتمعن بسيداتهم، وأن يوزعن المؤلفات والكتب التبشرية على المسلمين، وأن يلقين محاضرات دينية لدرس الإنجبيل فى أيام الأسبوع، وأن تقام اصلاة)[1]. خط الصليبيين واحد، فكما حاول الفرنسيون أثناء الحملة استخدام النساء لعدة أهداف، يأتى المبشرون بعدهم بأقل قليلا من مائة عام، ويستخدمون النساء فى زيارة بيوت المسلمات، وتوزيع الكتب، والمنشورات، ودخول الأوربيات إلى بيوت المسلمين، ليس الهدف منه نقل المسلمين إلى النصرانية فحسب، وإنما يضاف إلى ذلك نقل العادات والتقاليد الأوربية، للقضاى على القيم الإسلامية، وكما قال القسيس « زويمر » فى مؤتمر القدس: (إذا لم نستطع أن نخرج المسلمين من إسلامهم إلى المسيحية فعلينا أن نخرجهم من إسلامهم أولا)[2] ويستمر الغزو التبشيرى، (وفى سنة 1898 م تأسست الجمعية العامة لتنصير مصر، وغايتها تنصير المسلمين إيضا، ولها معاهد فى الدلتا، والسويس، وتدير مدارس للصبيان، والبنات، وتبث فيهم مبادىء النصرانية، ولها خزائن كتب تحوى كتبآ عربية ذات علاقة بالإسلام)[3].

هذه النظرة السريعة على نشاط التبشير فى مصر، ليس الغرض منها الحصر، وإنما الغرض منها إلقاء ضوء معين على استمرار الخط الصليبى فى محاولة القضاء على الإسلام، وسينتقل البحث إلى دراسة نتائج ما تقدم من خلال ظهورها فى أجهزة الإعلام المصرية كسياسة منظمة ومبرمجة وهادفة.

الإعلام المصرى وأثر الصليبية فيه

فى بداية القرن العشرين بات واضحا أن أسلوب التبشير لم يحقق الآمال المعقودة عليه، خلال القرن التاسع عشر، ولذلك نشط الغرب الصليبى، وقام بشن حملة رهيبة ضد الشريعة الإسلامية، والأزهر الشريف، ورجال الدعوة، مستعينا فى ذلك بأعوانه فى داخل مصر، من تلاميذ الحملة الفرنسية، وقد أخذت هذه الحملة اتجاهات عديدة، كان أبرزها وأخطرها فى أجهزة الإعلام، وكان الإلحاح فى هذه الأجهزة يدور حول فكرة واحدة، هى قتل هيبة الداعية فى نفوس المسلمين، فإذا لم يعد للداعية المسلم هيبة، لم تعد له كلمة مسموعة فى توجيه المجتمع، وإذا تم الوصول إلى هذا الهدف، فإن الداعية نفسه سينسحب من مركز التوجيه، حيث يدرك أن وجوده لم يعد ذا فائدة، وهذا حلم طالما عمل تلاميذ الحملة على تحقيقه، وسيتضح فى الصفحات التالية الجهود المتوالية التى بذلوها لكى يصلوا إلى هذا

---

[1] الغارة على العالم الإسلامى ص 30.
[2] المرجع السابق ص 30.
[3] المرجع السابق ص 31

الهدف، وفى الحقيقة فإنهم قد حققوا بالفعل مراحل كبيرة من هذا الحلم القديم، وشاهد ذلك انتشار موجات الفساد فى المجتمع، وعزوف كثير من العلماء عن العمل بالدعوة، وعدم رغبة الطلاب الأزهريين فى الالتحاق بأقسام الدعوة، أو كليات الدعوة الإسلامية، وتكاسل العاملين بالفعل فى حقل الدعوة الإسلامية عن أداء رسالتهم، والقيام بواجبهم نحو ربهم ودينهم ووطنهم.

ومن المفيد هنا ذكر بعض النماذج التى تبين مناهج السخرية من الداعية المسلم والتركيز على نماذج معينة له سببان:

الأول: أن دراسة بعض النماذج تغنى عن الكل، لأن المهم هو توضيح منهج السخرية من الداعية المسلم وإحراجه بين جمهور المسلمين وغير المسلمين.

الثانى: اختيار نماذج تعتبر كدستور عند تلاميذ الحملة الفرنسية، وإلى الآن والأفكار التى جاءت فى هذه النماذج تترد بصورة أو أخرى فى أجهزة الإعلام، وسيتم إثبات ذلك أثناء هذه الدراسة بتطبيق النماذج وإظهار وحدة الأفكار فيها وأول هذه النماذج من المسرح:

1-المسرح

مسرحية الشيخ متلوف:

هذه المسرحية منقولة عن مسرحية ((طرطوف))، للكاتب الفرنسى ((موليير))،

وقد ألفها خصيصا للسخرية من رجال الدين فى المجتمع الغربى فى العصور الوسطى وماتلاها، متمشيا مع موجة التحرر من الدين التى كانت سائدة فى أوربا وقتها، وفساد رجال الدين فى أوربا غنى عن البيان، وهو فى مجمله يرجع إلى العقيدة الهلامية التى صنعها لهم بعض الرجال وأطلقوا عليها المسيحية، وهى من نسج خيالهم، ومن الظلم الواضح نقل الصفات التى تحلى بها رجال الدين فى الغرب فى هذا الوقت إلى رجال الدعوة الإسلامية الشرفاء لأن الاختلاف واضح بين الطرفين.

وعن ثورة ((مارتن لوثر)) على انحراف الكنيسة يقول الدكتور محمد البهى: (قام مارتين لوثر كنج – 1438: 1546 – وكافح تعاليم الشيطان – كما سماها – وهى تعاليم البابوية والكنيسة الكاثوليكية، فحارب صكوك الغفران، ونظر إليها على أنها وسائل للرق، والعبودية، وألقى الأضواء على عقيدة التثليث)[1].

كان هذا هو شكل الصراع داخل الكنيسة نفسها، وما فعلته الكنيسة بالناس كان سبباً فى سخرية الأدباء والمفكرين من رجال الدين، ولذلك ألف ((موليير)) روايته: ((طرطوف))

[1] د. محمد البهى: الفكر الإسلامى الحديث ص 280، ط مكتبة وهبة.

للسخرية من رجال الدين فى الغرب، ولكن المحير للعقول أنها نقلت إلى اللغة العربية، على نفقة وزارة المعارف العمومية، ووزعت على الطلاب فى كل أرجاء مصر، فى مختلف المراحل، ثم مثلت على المسرح، تحت اسم «الشيخ متلوف »، ومبلغ اهتمام الباحث بهذه المسرحية، أن الأفكار التى جاءت فيها عن شخصية الداعية المضحكة أصبحت دستوراً لأجهزة الإعلام لبث سمومها ضد الدعاة، وكثير من المسرحيات التى ألفها كتاب مصريون، جاءت بعد ذلك على هذا النهج، مثل مسرحية: « بحبها شوية »، « حلمك ياشيخ علام»[1] وغيرها من التمثيليات الإذاعية مثل: « الشيخ لعبوط »[2] وغيرها كثير.

فكرة رواية طرطوف – الشيخ متلوف:

تدور فكرة[3] الرواية حول قيام أحد النبلاء الفرنسيين بالعطف على أحد رجال

الدين، واصطحابه إلى بيته، حين شكا له ظروفه الصعبة، وأن الناس اعتدوا عليه، وتركوه بلا مأوى ولا مال، ولم يكتف هذا النبيل بأخذه إلى بيته بل وتفانى فى

خدمته، وبالغ فى إكرامه، وشيئا فشيئا يصبح « طرطوف » – رجل الدين – هو رجل البيت الأول، وهو الآمر الناهى بالصلاحيات التى خولها له صاحب المنزل، وكان من صفاته أنه يكثر من تناول الطعام والشراب، ويتصنع التقوى والزهد فى الحياة، وكل اهتمامه منصب على متابعة النساء فى المنزل، خاصة ربة البيت، ويحبه صاحب البيت، ويصمم على أن يزوجه ابنته إكراماً له، ويتظاهر « طرطوف » بالقبول، لكن قلبه كان معلقا بالزوجة، من غير أن يعلم أحد، لأن البنت كانت تحب إنسانا آخر فقد تدخلت الأم لدى « طرطوف » ترجوه أن يرفض زواج البنت، حتى يتاح لها الزواج بمن تحب، وكانت المفاجأة أن « طرطوف » وافق على ترك البنت تتزوج بمن تحب، وذلك فى مقابل أن تمكنه الأم من نفسها ليفعل معها الفاحشة، كلما طاب له ذلك، ومن خلال الحوار بين « طرطوف » والأم، تظهر فى نفس طرطوف عناصر الشر، والفسوق، والفجور، بل والسخرية من الدين نفسه، على لسان رجل الدين طرطوف، وكل هذه الصفات الحقيرة أراد «موليير » أن يلصقها برجل الدين، ولقد أراد الذين مصروا هذه الرواية باسم الشيخ / متلوف، أن يفعلوا نفس الشىء، وهذه الرواية تعتبر أسوأ عمل أدبى

---

[1] أنيس منصور: مسرحية بهذا الاسم.

[2] محمد السعدنى: تمثيلية إذاعية أذيعت بإذاعة صوت العرب.

[3] رواية طرطوف: تأليف الكاتب الفرنسى((موليير)): ترجمها إلى العربية الأستاذ / أحمد الصاوى محمد سنة 1933 م لحساب وزارة المعارف العمومية، ط دار الطباعة الأهلية.

ألف فى العصر الحديث، للهجوم على رجال الدين، وعلماء الدين، وكل الروايات التى جاءت بعد هذه الرواية وألفت للسخرية من رجال الدين تعتبر عالة على رواية طرطوف فى الخط الدرامى والأفكار.

والخطير فى هذا الأمر أن تلاميذ الحملة الفرنسية عندما أرادوا القضاء على شخصية الداعية المسلم، حاولوا ذلك بسلاح فرنسى، هو رواية طرطوف، وهذا يؤيد الترابط العضوى والفكرى الذى سبقت الإشارة إليه.

وأسوأ ما فى الأمر أن الجمهور المصرى المسلم الذى شاهد الرواية على المسرح، أو قرأها فى الرواية المطبوعة، هذا الجمهور ليست لديه الثقافة التى يفرق بها بين الداعية المسلم وبين رجل الدين فى الغرب المسيحى الصليبيى.

ومن أجل القضاء على شخصية الداعية المسلم ومسخها، أحدثت هذه الرواية ضجة كبيرة، وصاحب عرضها ونشرها حملة دعائية كبيرة، لم تتوفر لعمل أدبى قبلها أو بعدها، وأصبح كل مشاهد أو قارىء لهذه الرواية، يخرج منها بعد أن يتولد لديه حقد كبير على رجال الدين، وعلمائه، فى كل مكان فى العالم، وهذا هو الهدف من وراء عرض هذه الرواية، ومن المفيد توضيح ذلك باختيار مواقف معينة من الرواية ركز عليها المؤلف، وأبرز من خلالها صفات سيئة للدعاة، وعند التعرض لمناقشة الصحافة المصرية، وموقفها من الداعية سيتضح أن أفكار مسرحية الشيخ «متلوف»، قد أصبحت فيما بعد دستور الثقافة فى مصر، وللناقش مواقف أخرى من المسرحية.

الموقف الأول:

يدور فى المنزل نقاش حول طاعة طرطوف، وأنها واجبة، فيقول ابن صاحب المنزل: (ماذا؟ أأتحمل أنا واغلا منافقا، يأتى فيغتصب هنا سلطانا مستبدا)[1].

واضح أن رجل الدين هنا: منافق، واغل، مستبد، مغتصب لحق الغير.

الموقف الثانى:

نقاش بين صاحب المنزل وأخيه، يقول فيه أخوه، عن رجل الدين « طرطوف »:

(هذه الخلائق التى تحدوها المطامع، تجعل التقوى كأنها حرفة، وبضاعة، وترغب فى شراء الجاه، والرتب، بكل أساليب النفاق، وهؤلاء الذين نراهم ذوو غيرة خارقة للعبادة،

---

[1] طرطوف ص 4.

يجرون فى طريق القداسة إلى الثروة والغنى، أولئك الذين يسألون فى كل يوم عن الحكام فى حرقة، وضراعة، يعظون أهل البلاط بالخلوة والصلاة، ويعرفون كيف يلائمون بين غيرتهم ورذيلتهم، ومن طبعهم الغضب وشيكآ، والحقد، وليس لهم زمام يقبضون عليه، وإذا أرادوا أن يمحقوا أحدآ لا يتورعون عن تغطية صنيعهم بالزلفى إلى المساء، فهم فى سخطهم أشد خطرآ لأنهم يعتدون علينا عددا نحترمها إجلالا لها، وتلك الحماسة التى يحمدها لهم الناس، تهدف إلى قتلنا بسلاح نقدسه)[1].

وفى هذه الفقرة صب « موليير » جام غضبه على رجال الدين، من خلال كلمات شقيق صاحب المنزل، وأغلب الصفات السيئة لرجل الدين فى هذه الفقرة صفات عامة لا يحتملها الخط الدرامى للرواية، مثل: (أنهم يعظون أهل البلاط بالخلوة، والصلاة، ويعرفون كيف يلائمون بين غيرتهم على الدين ورذيلتهم) وضمير الجمع هنا فى الفاعل يؤكد أن الهجوم منصب عرى رجال الدين وليس المقصود «طرطوف » وحده، إذ أنه لو أراد التحدث عن شخص معين، لجعل الضمير مفردآ، وذلك إذا كان القصد علاج حالة مرضية معينة، ولكن المؤلف هنا استطاع أن يصل إلى هدف **الموقف الثالث:**

بطل الرواية «طرطوف » رجل الدين يراود صاحبة المنزل عن نفسها، وحين تلفت نظره إلى أنه رجل تقى، وقلبه معلق بالسماء، يجبيبها: (هيهات للحب الذى يعلقنا بالجمال الأبدى أن يخمد فينا الحب الدنيوى، وما أسهل ما تسحر جوارحنا، بجميل

صنع البارى، الذى تتجلى آياته، فيمن كان على مثالك، إن تقواى لا تنقص من رجولتى، وعندما يرى المرء محاسنك السماوية، يعلق القلب منه ولا يعقل)(1).

من أقرب طريق.

الموقف الرابع:

« طرطوف » مازال يحاول مع المرأة، وهى تحاول أن تختبر إيمانه بالله وتسمع زوجها المتخفى تحت المنضدة فتقول له: (قل لى بربك كيف السبيل إلى قبول ماتريد دون أن تخفى فعلتنا على السماء، التى تلهج دائما بذكرها؟!) فيجيبها بطريقة تدل على أنه شيطان وليس إنسانا، وأنه ليس فى قلبه ذرة من إيمان، فيقول لها: (حقا إن السماء تحظر بعض اللذات، ولكن يمكن التوفيق بيننا وبينها، وهناك علم نخفف به من وثائق ضمائرنا على وفق الحاجات الممنوعة، ونصلح شر العمل باسم حسن النية، وأنا بهذه

---

[1] طرطوف ص 61.

الأسرار نعلمك الآيات ياسيدتى، وليس عليك إلا تسلمى زمامك لى، فأشبعى لوعتى ولا تجزعى، فإنى بكل شىء زعيم، وأحمل الضر عنك)[1].

من هذا الموقف يتضح أن طرطوف لم يعد فاجراً فحسب، بل إنه قد أصبح كافراً، زندقيا، ووضع رجل الدين فى صورة الفاجر، الفاسق، فهذا حلم طالما راود أصحاب الخطايا فى كل مكان فى الأرض، لأن رجل الدين لديه شعاع الإيمان الذى يخرج به كل صاحب خطيئة، وهومثال الطهر والنقاء ومثال الإنسان الفاضل، ولذلك كان حلم المجرمين فى زمان هو وضع أكبر كمية من الوحل على ثياب رجل الدين البيضاء، النظيفة، حتى يصبح الجميع فى الوحل سواء، وهذه قضية نفسية لها ما يؤيديها تاريخياً، وهذا الفصل من الرسالة يكشف هذه الناحية، لأننا لو افترضنا أن رجال الدين فى الغرب الصليبى قد ارتكبوا بعض المخالفات، وقد حدث هذا، فما ذنب رجال الأزهر، علماء ادعوة الإسلامية الأطهار، الذين وقفوا عبر التاريخ فى وجه الظلم، وضحوا بأموالهم، وأنفسهم، فى سبيل الله، كانت بيوتهم ملاذا لكل جائع محروم، وكانوا دائما يخاصمون الحكام من أجل الدفاع عن المظلومين، ومن ناحية أخرى فطبيعة الدين الإسلامى لا تتيح لرجل الدين أن يفعل مايشاء، بل إنه محكوم بمناهج غاية فى الدقة، والصرامة بعكس المسيحية التى أثر غياب المنهاج الكامل فيها، على تصرفات رجال الدين وسلوكهم.

الموقف الخامس:

بعد أن ينكشف أمر « طرطوف » وخداعه، يضع «موليير » على لسان صاحب المنزل كلمات لا يخفى على أحد المقصود من ورائها، فيقول: (إلى هذا الحد يختفى فى طيات التقوى، قلب خادع، ونفس شريرة، وأنا الذى أويته من تشريد وفاقة، حسبى مارأيت، لقد أزهدنى فى الصلحاء، وسأنظر إليهم من الآن مستنكراً، وسأكون حيالهم شراً من الشيطان)[2].

فى هذا الموقف شىء غريب جدا، إذ أن المتحدث يقسم على أنه لن يحارب طرطوف الفاسق فقط، بل إنه سيكون حيال الصلحاء جميعا، شرا من الشيطان.

واضح أن المسألة ليست مسألة « طرطوف » كما يحكى « موليير »، ولا مسألة الشيخ « متلوف » كما أراد تلاميذ الحملة الفرنسية.

تحديد الصفات:

---

[1]. طرطوف ص 89.

[2] طرطوف ص 96.

يجب تحديد الصفات التى جاءت فى رواية الشيخ متلوف، أو طرطوف لأن ذلك سيساعد على الكشف عنها فى إنتاج أجهزة الإعلام، وهذه الصفات هى:

1-أن طرطوف – الشيخ متلوف – نصاب.

2-ناكر الجميل.

3-فاسق وزنديق.

4-مشغول طول الوقت بالأكل والجنس.

5-سافل.

6-حقير.

7-وغد.

8-يسخر من الدين.

9-يستخدم الدين لصالحه.

10-يحارب الناس بسلاح الدين المقدس، ولا يخاف منه.

11-لص خائن للأمانة وناكر للجميل.

وبعد أن اتصف الداعية بهذه الصفات كما جاءت فى مسرحية، « طرطوف » – الشيخ متلوف – يدور فى الذهن سؤال، ماذا بقى للداعية بعد ذلك من صفات يقف بها واعظاً ويحترمه عليها الناس؟

الواقع أن الداعية فى هذه الرواية قد اتصف بصفات يمثلها الشيطان نفسه، وواضح أن المطلوب بمثل هذه الأعمال الفنية، هوان الداعية فى دعوته، وأن ينفر الناس من الداعية، ومبادئه، نعم هذا مقصدهم، وقد حدث.

ولإنقاذ هذا الموقف، مطلوب من الدعاة الآن، ومن الأزهر الشريف، ومن الحكومة المصرية، وكل حكومات المسلمين، فى كل البلدان، من كل صاحب ضمير فى جهاز الإعلام، مطلوب أن يقف الجميع صفاً واحداً لوقف هذه الحملة المسعورة ضد الدعاة، فى أجهزة الإعلام، حتى يعود للداعية وقاره، ونوره الذى يمشى به بين الناس.

ولكى أبين خطورة الأمر، سأسوق هنا أمثلة تبين أن أفكار رواية الشيخ متلوف، من كثرة تكرارها فى أجهزة الإعلام، أصبحت كالمسلمات على ألسنة العامة، والخاصة

ونعوتآ بارزة لرجال الأزهر الشرفاء، ومن هذه الصفات ماجاء على لسان الرئيس « جمال عبد الناصر » فى خطاب له فى محفل عام: (الشيخ من دول يأكل الأكلة، ويفتى الفتوه)[1]. ويقول « السادات » فى خطاب أول سبتمبر / 1981 عن الشيخ الداعية « أحمد المحلاوى »: (أهو مرمى فى السجن ذى الكلب). والغريب آن كلمات الرئيس « عبد الناصر » شبيهة إلى حد بعيد بكلمات الخادمة « دورين »، فى رواية الشيخ متلوف، وكلام « السادات » ليس بعيدا عن هذا. وهذا وإن كان لا يعد موقفا عقائديا من الرئيسين إلا يعد استجابة لما تردد كثيرا فى أجهزة الإعلام.

2-الإذاعة[2]:

تستطيع الإذاعة بموجاتها المتعددة، وبرامجها المتنوعة، ووصولها لكل مكان فى البلد الذى تبث فيه، وبعض البلاد المجاورة، تستطيع الإذاعة بهذه الصفات أن تفعل الأعاجيب، وأن تجعل من أحط الناس شأنا بطلا قوميا مغوارا، وأن تجعل من أكرم

الناس، وأكثرهم عفة، وشرفا، إنسانا حقيرا.

ومن أكثر الأمثلة دلالة على ذلك، أن الإذاعة هى التى دفعت بالملايين للخروج إلى الطرقات، يطالبون ببقاء أحد الحكام[3] فى الحكم، رغم أنه بتصرفاته الهوجاء جلب على البلاد هزيمة تعتبر من أكبر الهزائم التى منيت بها أمة فى العصر الحديث، وكان المنطق يختم أن تقوم هذه الجماهير نفسها بالثورة، والتمرد، لإسقاط هذا الحاكم المتهور، الذى أضاع على وطنه وأمته أجزاء شاسعة من الأرض، وعشرات الآلاف من الشباب المسلم الذين يعتبرون ثروة الوطن ومستقبله، وأعطى فرصة لليهود أن يقولوا: إنهم .هزموا المسلمين، وأن جيش إسرائيل لا يقهر

ومن الواضح (أن أبناءنا المخدوعين، دفعوا من لحومهم، ودمائهم، ثمنا فادحا لمسالك .قادة فقدوا الدين والشرف، وجعلوا اليهود يقولون فى تبجح، إن جيشهم لا يقهر)[4]

وهاهى الإذاعة تفعل ما تشاء بعقول الناس، وما سبق كان مثالا من ملايين الأمثلة التى .تدفع الإعلام بشبه لا حصر له

---

[1] ذكر هذه الحكاية الشيخ / حامد أبو النصر المرشد العام للإخوان المسلمين فى جريدة الأحرار العدد 470 فى 1 / 12 / 1986 ص 5.

[2] المقصود بالإذاعة هنا المسموعة والمرئية.

[3] هو الرئيس جمال عبد الناصر بعد هزيمة عام 1967 وأعادته الجماهير بتأثير الإعلام بعد أن تنحى

[4] الشيخ / محمد الغزالى: هموم داعية ص 120، ط. دار الحرمين للنشر

والمتابع للإذاعة يرى أنها منذ بدأت تبث برامجها فى الثلاثنيات من هذا القرن، وإلى الآن وأغلب الذين يتحكمون فيها ويديرون شئونها من العلمانيين، تلاميذ الحملة الفرنسية، وهؤلاء عن طريق الإذاعة استطاعوا أن يبثوا سمومهم عن طريق البرامج، والأعمال الفنية التى تدور حول إشعال الغريزة الجنسية والدعوة إلى الخروج على القيم الدينية، على اعتبار أنها قيم متخلفة، والسخرية من الأزهر الشريف، والدعاة، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم.

وفى معظم التمثيليات ظهر الداعية فى صورة الرجل النصاب[1] المحترف، وإذا كانت الإذاعة تصل إلى كل مكان، وأكثر الناس فقرا فى مصر يملك جهازا للراديو، وجهازا للتلفزيون، فى بعض الأحيان فتكون بذلك محنة الداعية أكبر من الاستخفاف الذى يفت فى عضده، ويؤثر فى سلوكه، ويعطله عن السير فى طريقه كقائد روحى لهذه الجماهير، وكيف يقود الناس من يكون فى أحسن الظروف محل استخفافهم؟!

ونعرض هنا لنموذج واحد من الآف النماذج، التى تذاع على الناس من خلال أجهزة الإعلام، والتى تدعو إلى نسف القيم الدينية، وعدم الاهتمام بالذين يقفون خلفها، ولا يخفى أن الذين يقفون خلف القيم الدينية هم الدعاة.

وخطورة هذا النموذج الذى نعرض له تتلخص فى الآتى:

1-أن هذا النص لمؤلف ذاع صيته فى ذلك الوقت، وبه مواقف معروفة من السخرية من الدعاة، والشريعة الإسلامية، ولحن هذا النص ملحن أطلق عليه شيخ الملحنين، أما المطربة التى غنته فقد أطلق عليها سيدة الغناء العربى.

2-أنه أذيع مباشرة بعد الفترة التى انتشرت فيها أفكار مسرحية الشيخ متلوف، وبعد توزيع الرواية الأساسية – طرطوف – على الطلاب فى كل مراحل التعليم.

3-يناقش النص مجموعة من الأحكام الشرعية، ويستبدل بها أحكاماً أخرى من أحكام أهل الهوى والغرام، ويطالب المحبين بفعل ما يريدون من فنون الهوى، وما يشتهون من الأمور الجنسية، وعدم الاهتمام بأى رقيب، أو رقابة المجتمع، ولا يخفى أن الرقيب المعنى هو الداعية، الحريص على انتشار الأخلاق الإسلامية، الشرعية، فى المجتمع المسلم.

---

[1] لمعرفة الخطة الموضوعة فى أجهزة الإعلام للسخرية من الداعية ودعوته، تجب المقارنة بين صفات الداعية فى كل التمثيليات الإذاعية والتليفزيونية وبين صفات رجل الدين فى مسرحية((طرطوف)) – الشيخ متلوف – لأن الشيخ متلوف هو دستور الإعلام فى مصر مواجهة الدعاة

وسنختار نماذج من الأحكام الشرعية التى يسخر منها هذا النص الغنائى، ويطالب بإباحتها وهى كالتالى:

أ-غض البصر من الأمور التى تحفظ على المجتمع حياءه، وتحافظ على طهارته ونقائه، وقد أمر الله سبحانه وتعالى كلا من الرجل والمرأة بغض البصر[1].

ب-حرم الله سبحانه وتعالى، المواعدة السرية بين الرجل والمرأة، من غير ارتباط شرعى، حفاظا على أعراض الناس وأنسابهم[2].

جـ- حافظ الإسلام على أعراض الناس، وشرع الله سبحانه وتعالى الحدود الرادعة لصيانتها، وحرم الزنا ونهى عن كل ما يقرب إليه، من نظرة، أو لمسة، أو قبلة[3] وهذه المسائل الشرعية يجب على كل مسلم ومسلمة احترامها، والالتزام

---

[1] النص الغنائى يبيح النظرة ويحض عليها بهذه الصيغة:

سؤال: سؤال:

قل لى ولا تخبيش يا زين إيش تقول العين للعين

جواب:

لما العين تلاقى حبيب تقوله ولا تخشاش رقيب

بعيد وصالك والا قريب ويوم الوعدة نشوفك فين

[2] ولكن النص يبيح المواعدة السرية على النحو التالى

قولى يا عالم بالمكتوب اللى يوافى الوعدة علهش ذنوب !!

جواب:

يوافى الواعدة ولا يخشاه وياما ذنوب يغفرها الله

[3] وربك والله رب قلوب

(2)والنص أيضا يبيح القبلة بالألوف، ويطلب من المستمع عدم الاهتمام بأى لوم من المجتمع، رغم أن القبلة من مقدمات الزنا المباشرة.

سؤال:

قولى ولا تخشاش ملام حلال القبلة والا حرام

جواب:

القبلة إن كانت للملهوف اللى على ورد الخد يطوف

يخدها بدال المرة ألوف ولا يخشا للناس ملام

بها، وهذا النص يضرب بها عرض الحائط، وقد ألف على هيئة سؤال وجواب، وفى بعض أجزائه يأتى السؤال بصيغة الحلال والحرام، وذلك لإيهام العامة أن ما يسمعونه فتاوى شرعية، وواضح من أسلوبه أنه جاء على هيئة المعارضة الأدبية، كما تعارض قصيدة شعرية أخرى، وعلى كل حال فكل معانى هذا النص تدور حول الإباحة الجنسية، وأنها ذنوب يغفرها الله، بشرط سلامة القلب، ولا داعى للاهتمام بالدعاة، ومواعظهم، ورقابتهم، على سلوك المجتمع، لأنهم أناس جامدون

---

(5)حسبت شيخ الدولة تاب جه هو سخمها بهباب

سرق مقالة من كتاب شهير وصاحبه مشتهر

(6)إيه رأيكم يا سمعين فى الشيخ كباب كفتة الأمين

طالع يعرى المسلمين وامال ياريته كان كفر

(7)لازم تحبيبوا المفترى حالا فى مجلس عسكرى

يكلها لما يتهوى وغيره راخر يعتبر

(8)ألزم ما يعمل فيلسوف ويحط لى فروة خروف

وتحت منها جبة صوف قال يعنى عالم معتبر

وهذا النص من تأليف بيرم التونسى، وتلحين زكريا أحمد، وغناء أم كلثوم، والمؤلف بالقطع هو مصدر النص أساسا، المفيد الرجوع إلى بعض ما كتبه المؤلف للوقوف على حقيقة مشاعره تجاه الدعوة الإسلامية، والأزهر الشريف من ديوان الأعمال الكاملة لبيرم التونسى، جـ 3 ص 50، ط الهيئة العامة للكتاب.

والنص التالى يوضح موقف بيرم التونسى من الأزهر الشريف، ورجاله الأطهار وحقده عليهم، ورمى أحد علماء الأزهر بالكفر، واتهام كل العلماء بالرشوة، وبأنهم من أحقر الناس، وقد ألف هذا النص للهجوم على الشيخ((بخيت)) مفتى الديار المصرية، الذى لم يؤيد سعد زغلول فى سفره إلى الخارج لحضور مؤتمر الصلح، بعد الحرب العالمية الأولى سنة 1919 م، وهذه القصيدة جاءت على النحو التالى:

(1)ستين سنة ما عملت بيت واشرب لى كبايتين نبيت

والعن أبو الشيخ كسفريت الكافر الحادى عشر

(2)لابذق فى وشه أولا وانتف له ذقنه ثانيا

واعطى له زره ثالثا حسب قرار المؤتمر

(3)حسب قرار اللى ضبط الشيخ ده لازم يتربط

لا المسلمين ولا القبط يحرموا ربط البقر

(4)قلت لكم الشيخ ينجلد قلتولى اخرج م البلد

قلت انت مالك يا ولد حتنحشر مع الغجر

(9)ياخى اتلهى جاك البلا فى ذقنك المتدلدله

روح اترمى فى مذبلة واكفى على الماجور خبر

(10)يلعن أبوكم كلكم ويدوس فضيلة علمكم

كلاب ما يشبع بطنكم غير الرشاوى يا غجر

وهذه القصيدة من ديوان بيرم التونسى، إعداد محمد محمود بيرم التونسى، ص 67 ط، مكتبة مدبولى، ط. ثانية 1985 م.

هذه القصيدة تبين بوضوح أن النص الذى غنته أم كلثوم، لم يكن من قبيل الغزل البرىء، ولكنه هجوم من محمد بيرم التونسى على القيم الدينية، أما القصيدة الأخيرة فيها رقم 10، فإنه هجوم سافر على الأزهر ورجاله.

وليس من المستغرب أن يحدث خلاف بين عالم من علماء الأزهر، وواحد من الناس، وليس من المستبعد أن يصل هذا الخلاف إلى عداء ولكن الشىء الغريب حقا، هو سب وقذف بيرم التونسى لكل علماء الأزهر بأحط الألفاظ.

وهذا النص يعتبر دليلا على موقف بيرم وأمثاله من الدين وعلمائه، ويساعدنا فى فهم هذه الحملة المسعورة على الدعاة فى أجهزة الإعلام، ولعل تلاميذ الحملة الفرنسية وبيرم واحد منهم ما كانوا يستطيعون ذلك، لولا أن الحملة الفرنسية مهدت لهم بنشرها للفجور فى المجتمع المصرى المسلم ويؤخذ من نشر مثل هذه القصيدة وإعادة طبعها حتى عام 1985 م، يؤخذ من هذا الموقف فى حق الداعية والتسلى بالهجوم عليه فالقصيدة فى الحقيقة تعبر عن جانب من جوانب المناخ السائد ضد الدعاة.

متخلفون يحرمون ما أحل الله لأهل العشق والغرام، وهذه خطوة كبيرة، لضرب الشريعة الإسلامية، والقضاء على أحكامها بعد ضرب الداعية فى مسرحية الشيخ متلوف، وعلى سبيل المثال فليس عند هؤلاء فى القبلة شىء، طالما أنها للملهوف، عند ذلك تباح له بالألوف.

قل لى بربك: أى فتوى تنفع بعد هذه الفتوى الميسرة فى مجتمع إباحى مفتوح على مصراعيه للراذائل؟ وماذا يحدث للمراهق والمراهقة عند سماع هذه الفتوى التى تذاع صباح مساء، وإذا كان المجتمع المصرى الآن فيه الكثير من الدعاة إلا أن خطورة هذا النص فى أنه كان من البدايات.

ومن هنا يصبح الباحث على يقين من أن الإذاعة المصرية تضع العقبات الكثيرة أمام الداعية، فهى لم تكتف بالسخرية منه وتنفير الناس من هيئته ولكنها سخرت من مبادئه أيضا وأصبح نص الأغنية السابقة دستورا للإذاعة، وقد تم العمل بهذه النصائح الفاضحة فى كل التمثيليات التى جاءت بعد ذلك، ولذلك أخذت هذا النص دون غيره للمناقشة.

وقبل أن يغلق باب البحث فى هذا المجال أقول: إن نشاط تلاميذ الحملة الفرنسية لم يقف عند حد السخرية من الداعاة، أو الشريعة الإسلامية فقط، بل وصل الأمر إلى المقدمات: (قدر أحمق الخطى) ومازال هذا المطرب يبكى ويتحسر ويتلوى

كالأفعى، حتى ليخاله الإنسان العادى مظلوما بالفعل، وأن القدر ظلمه بدون مبرر على الإطلاق. وهذه خطورة الأعمال الأدبية فى الإذاعة، حينما تكون ضد الدين، لأنها تهيىء النفوس لقبول الكفر على أنغام الموسيقى، وفى جو خاص، وبذلك تكون الإذاعة قد أدت المهمة التى رسمها لها تلاميذ الحملة الفرنسية ضد الشريعة الإسلامية،ورجال الدعوة الإسلامية، والأزهر الشريف.

3:-السينما

استطاع تلاميذ الحملة الفرنسية أن يستخدموا السينما لتحقيق حلمهم الأكبر وهو هدم القيم الدينية الإسلامية، والسخرية الشديدة من رجال الدعوة الإسلامية خاصة، وعلماء

الإسلام بصفة عامة، ولست هنا فى حاجة للتحدث عن نماذج من أفلام السينما، لأنها تعتمد فى نشر الرذائل على فنون كثيرة آخرها الكلمات، ولأنها كما يعلم الجميع شر لا خير فيه، والمهم هنا أن يناقش الباحث فكرة واحدة وهى استخدام السينما للسخرية من علماء الإسلام، والقيم الدينية، وهل هذه السخرية تتم عفوا، أم أنها تتم بتخطيط ومنذ البداية؟ وإذا ناقش الباحث نشاط السينما من وجهة نظر الدعاة، فإن ذلك معروف للجميع ولا يضيف جديدا، وحبذا لو تمت المناقشة من خلال وجهة نظر العاملين فى حقل السينما.

آراء العاملين فى السينما:

قام أحد الصحافيين من جريدة الشعب بعمل تحقيق صحفى حول السينما والدين، وقام باستطلاع آراء عدد من الذين يعملون فى مختلف المهن الخاصة بحقل السينما، وخرج عن هذا التحقيق بنتيجة معينة وضعها على هيئة عنوان لمقاله، وهى: السخرية من رجال الدين مخطط معاد الإسلام:. وهذه بعض الآراء التى جاءت حول هذا الموضوع

أ-رأى الفنان على الشريف « ممثل »:

(إن السينما المصرية أساءت إلى الإسلام، بأصرارها على تقديم رجل الدين فى صورة « مضحكة »، وجعله نمطا للشخص المنافق، والجشع، وإذا كان البعض قد فعل هذا بحسن نية، فمما لا شك فيه أن الرواد الأوائل وضعوا هذه البذور الخبيثة، وكانت أهدافهم خبيثة، وكانوا بذلك يخططون لعمل ما ضد الإسلام)[1].

نعم هى خطة معروفة، معلومة لمعظم العاملين فى حقل السينما، ولذلك نطق بها هذا الفنان بتلقائية بسيطة، ويجدر بالملاحظة أمران:

---

[1] مقال الأستاذ نبيل محمد رشوان جريدة الشعب، ص 8 بتاريخ 13 / 5 / 1986 م

الأول: أن الصفات التى حددها الفنان على الشريف للسخرية من رجال الدين: منافق، جشع، وصولى، كلها مأخوذة من رواية الشيخ متلوف.

الثانى: بشهادة نفس الفنان، فإن السخرية منصبة على رجال الدين الإسلامى فقط.

ب- رأى الفنان على بدرخان ((مخرج)):

(أكيد السينما أضرت بالدين الإسلامى، فهى تتعامل مع الدين ببلاهة شديدة).

وينسب الطريقة السيئة التى يقدم بها رجل الدين الإسلامى بأنها (ترجع إلى التوجه الدينى الحالى فى المجتمع، فالحكومات تحاول تحجيم دور الدين ورجاله، لأنها تخشاهم وحصروا الدين فى الطقوس، وأبعدوه عن مشاكل المجتمع الحقيقية)[1].

ج- رأى حسين حلمى المهندس "مخرج":

(بالنسبة لتقديم نماذج سيئة لبعض رجال الدين، أنا أرفض هذا تماما، وعلينا أن نقدم فقط النماذج المشرفة الجيدة من رجال الدين، إلا أننى أعتقد أن تقديم النموذج السيىء هو خطوة ومقدمة لإقصاء الدين)[2].

وبعد: هذه الآراء لا تحتاج إلى تعليق، ولقد سقتها هنا لأبين أن هناك خطة واضحة فى السينما المصرية، والعالمية، لضرب الإسلام، ورجال السينما يعرفون هذه الخطة جيدا، وقد تحدثوا عنها، ولقد أصبحت السينما المصرية بما تقدم من أفلام الجنس، والمخدرات، والسخرية من الدين الإسلامى وعلمائه، أصبحت بذلك من أكبر العقبات التى تواجه الداعية المسلم فى مصر، وفى خارج مصر، لأنها بالجنس والمخدرات تفسد عليه جمهوره وبالسخرية منه تقضى على هيبته التى هى من أقوى الأسلحة للداعية، انظر إلى قول النبى صلى الله عليه وسلم: "ونصرت بالرعب مسيرة شهر"[3]. وكثير من الأحاديث التى تؤكد أن هيبة الداعية جزء من دعوته، وإذا خرج الداعية المسلم الأزهرى إلى بلد من البلاد العربية أو الأجنبية، فهناك أفلام السينما المصرية فى انتظاره تفسد عليه حجته فى أن مصر هى بلد الأزهر الشريف، وحصن الإسلام، لأن أفلام السينما المصرية تؤكد أن مصر هى حصن الكثير من الأشياء بجانب الإسلام.

إن الاستعمار الصليبى قبل أن يرحل عن مصر مع الحملة الفرنسية أقام الأساس لتجمع من المصريين – تلاميذ الحملة – يعمل من داخل مصر فى مواجهة الدين الإسلامى، والأزهر الشريف، وإذا جاز أن نطلق على هذا التجمع فى القرن الماضى تلاميذ الحملة

---

[1] المقال السابق.
[2] المقال نفسه
[3] أخرجه البخارى: فتح البارى – مجلد 1، ص 91 باب التيمم، ط دار الشعب

الفرنسية، فإن هذا التجمع يضم فى القرن العشرين الوسط الفنى كله، بما فيه من شواذ، وعلمانيين، ولادينيين، ويضاف إلى هؤلاء أحفاد الفرنسيين فى مصر، وإن سموا بأسماء إسلامية، واعتنقوا الدين الإسلامى بالمحاكاة، وهؤلاء منتشرون فى أماكن كثيرة،

وتربطهم بالوسط الفنى علاقات متميزة، آضف إلى كل هؤلاء، الراغبين فى المتعة الحرام، كبعض رجال الأعمال، وبعض الذين يحتلون مراكز مؤثرة فى الدولة، بمؤسساتها المختلفة.

4:-الصحافة المصرية

أما الصحافة المصرية، فقد كانت ومازالت تعمل ضد الإسلام، وعقول معظم محرريها عقول مستوردة، ويستطيع الباحث أن يجزم بأن منابع الصحافة مازالت فى الخارج وروافد هذه المنابع فى مصر، وهذا حال كثير من البلاد الإسلامية، وصحافتنا من الناحية الفكرية تابعة لجهات عديدة ليس من بينها على الأصح مصر أو الإسلام أو الأزهر الشريف ورجاله الأطهار والدعاة بصفة عامة والمقصود بهم الإسلاميين.

والدليل الواضح على ما سبق أنه فى الفترة التى نشرت فيها جريدة الأهرام للكاتب الفرنسى الثقافة ((توفيق الحكيم)) سلسلة ((حديث مع النفس))، ((حديث مع الله))، وكثيراً من المقالات التى تسخر من الشريعة الإسلامية، وتطالب بعدم النظر إليها مثل مقالات ((فؤاد زكريا))، فى هذه الفترة 1984 – 1985 م، قام الرئيس الفرنسى ((ميتران)) بمنح وسام فرنسى رفيع لرئيس مجلس إدارة الأهرام، وإذا افترض الباحث حسن النية لدى الطرفين فكيف يفهم هذا التزامن بين ما نشر ضد الإسلام والدعوة الإسلامية فى الصحف، وبين منح هذا الوسام، وإذا كان رئيس مؤسسة الأهرام لا يعلم هذا الجانب الخبيث فى منح الوسام وأظنه كذلك، ولكن مسألة التزامن تفسر لنا كثيرا من الأشياء فى قراءة تتابع الأحداث، وعلى سبيل المثال لا الحصر تكون الشجرة التى زرعها نابليون (1798 – 1801 م) فى مصر جاء ميتران عام 1985 ليرويها، وينظر إلى ثمرها وينعها، وهذا ما جاء فى مجلة أكتوبر عن منح الوسام الفرنسى:

(أهدى الرئيس الفرنسى ((فرانسوا ميتران)) وسام الاستحقاق الوطنى بدرجة فارس إلى الأستاذ عبد الله البارى رئيس مؤسسة الأهرام وذلك تقديراً لإسهامه الشخصى فى تنمية العلاقات الفرنسية المصرية ودليلا على المكانة الرفيعة التى يتبوأها برئاسته لأقدم وأعرق صحيفة ومؤسسة صحفية مصرية)[1].

بعد أن قدمت إشارة عابرة لمنابع وروافد الصحافة المصرية أقول: إن جرائم الصحافة فى حق الأزهر الشريف والدعوة الإسلامية ورجالها لا تحصى ولا تعد، وسوف

---

[1] مجلة أكتوبر العدد رقم 437، ص 1 بتاريخ 10 / 3 / 1985 م باب اتجاه الريح

.أختار نموذجين فقط، ربما عبرا عما أريد أن أعبر عنه

النموذج الأول:

قصيدة شعرية بعنوان "المضللون" نشرتها جريدة الجمهورية القاهرية بتاريخ 28 / 7 / 1985 م، أثناء الفترة التى دعى فيها الشيخ حافظ سلامة رئيس جمعية الهداية الإسلامية إلى قيام مسيرة خضراء من مسجد النور بالعباسية إلى قصر القبة، لمقابلة السيد / رئيس الجمهورية ومطالبته بتطبيق الشريعة الإسلامية، ولأن الدولة لا ترغب فى هذه المسيرة قامت وقتها كل أجهزة الإعلام بالهجوم على هذه المسيرة ورفضها، رغم تأييد كثير من علماء الإسلام، وكأن رجال الصحافة أصبحوا أكثر فهما من علماء الإسلام لما يجب أن يكون، و (صرح الشيخ عبد اللطيف حمزة مفتى الجمهورية بأنه يؤيد المسيرة الخضراء التى أعلن عنها الشيخ حافظ سلامة رئيس جمعية الهداية الإسلامية)[1]، وقد اتهمت أجهزة الإعلام – كعادتها فى مثل هذه الأمور – الشيخ حافظ سلامة بأنه على اتصال بليبيا، وأنه يقلد رئيس ليبيا فى المسيرة الخضراء، و (فى مؤتمر صحفى عالمى عقد بمسجد النور يوم الجمعة 21 / 6 / 1985 م أكد الشيخ حافظ سلامة أنه لا صلة بين المسيرة الخضراء التى دعا إليها وبين المسيرة فى ليبيا)[2]، وبقى الموقف بين الشيخ حافظ سلامة وبين الحكومة المصرية فى أخذ ورد، والذى يهم البحث هو إبراز موقف الصحافة المصرية من هذه القضية كنموذج لكل القضايا الأخرى فقد انتقلت الصحافة من تأييدها للحكومة فى رفض المسيرة الخضراء إلى موقف الهجوم على الدعاة أنفسهم هجوما شنيعا، ونشرت جريدة الجمهورية بتاريخ 28 / 7 / 1985 م قصيدة لأحد الشعراء المغمورين، لتعبر بذلك عن حقدها على الدعوة الإسلامية والشريعة الإسلامية، ولتظل الدولة مصر المسلمة تعيش أخلاق الحملة الفرنسية إلى الآن.

وهذه القصيدة تبين إلى أى حد هان الداعية على أمته، وإلى أى حد تتربص الصحافة المصرية بالدعاة الإسلاميين، عنوان القصيدة: المضللون.

نص القصيدة:

1-بين الضجيج وهوجة الغوغاء دس الحقود بنفسه السوداء

2-ومضى يرتب أمره فى خفية يسعى بخبث دونما إبطاء.[3]

3-وكأنه داعى الصلاح أو التقى وكأن فى أيديه برء الداء

---

[1] جريدة النور العدد رقم 170، ص 1 بتاريخ 12 / 6 / 1985 م

[2] جريدة النور عدد رقم 172، ص 1 بتاريخ 26 / 6 / 1985 م

[3] هذه القصيدة نشرت بجريدة الجمهورية القاهرية بتاريخ 28 / 7 / 1985 م، ص 6 لأحد الشعراء واسمه / حزين عمر

4-وكأن موسى قد حباه عصاته ليحول بين الفقر والفقراء

5-ويحول اليم الأجاج عذوبة ويعمر الصحرا بكل نماء

6-وكأن سيدنا المسيح سعى له بالمعجزات الغر ذات مساء

7-أو أن سيدنا النبى المصطفى أورثه حمل الراية العصماء

***

8-لكننى أدركت من سيمائه وجه المسيخ ولفتة الرقطاء

9-ولقد رأيت السم يقطر من فمه كذبا وتلفيقا بغير حياء

10-ومضى يشكك فى الصباح وفى الضحى وبكل إنجاز وكل رجاء

11-ويقول لا حرية فى أرضنا لا عزة ترجى بغير بلاء

12-فتجمعوا وتكتلوا وتظاهروا فى الريف والحارات والأحياء

13-يا قوم هيا خربوا لا تعبأوا أو تتركوا شيئا بغير فناء

14-ولتشعلوا نارا بكل حديقة فتزرعوا النيران فى الأجواء

***

15-قد راح يهتف للشريعة بينما أعضاؤه تتلذ فى الظلماء

16-ورأيته بعد الضجيج بحانة فى شلة من صبية ونساء

17-قد ظل يرقص نشوة من سكره يهتز مثل النخلة الهيفاء

18-ويدور حول الجالسين بكأسه مترنحا فى شيمة بلهاء

19-فبصقت فوق جبينه ولعنته ولعنت كل تصرف الجهلاء**(1)**

ترى هل كان يقصد صاحب القصيدة للشيخ حافظ سلامة بالذات أم أنه كان يقصد غيره من الدعاة، وجميعهم بالنسبة للباحث سواء، ولكن الذى يرجح أنه كان يقصد الشيخ حافظ سلامة لأسباب هى:

أولا: التزامن بين الدعوة للمسيرة الخضراء ونشر القصيدة لأن الدعوة كانت فى شهر يونيو 1985 ونشرت هذه القصيدة فى شهر يوليو 1985.

ثانيا: وردت فى القصيدة بعض الصفات التى ترجح الشيخ حافظ سلامة على غيره مثل قوله إشارة إلى طول الشيخ "يهتز مثل النخلة الهيفاء".

وعموما أيا كان الشخص المقصود، فهذه القصيدة إهانة لكل الدعاة على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم.

وقبل الكلام على مصدر هذه القصيدة يجب ترتيب الصفات التى أطلقت على الداعية فى هذه القصيدة بعد انتزاعها من أبياتها وهى بترتيب الأبيات كالتالى:

1-أنه حقود، ونفسه سوداء.
2-أنه خبيث، يعمل على قلب نظام الحكم، يستعدى النظام على الداعية.
3-فاسد، ويدعى الصلاح والتقوى.
4-يدعى قوة خارقة لإغناء الناس.
5-ويطرد الملح من ماء البحر.
6-معه معجزات المسيح.
7-يدعى حمل الراية المحمدية.
8-له وجه كالمسيخ ويلتفت كالرقطاء.
9-السم يقطر عن فمه لأنه كذاب ملفق.
10-يشكك فى إنجازات الدولة – يستعدى السلطة مرة أخرى.
11-يطالب بالثورة.
12-يطالب بالمظاهرات فى الريف والمدن.
13-يدعو للتخريب والفناء.
14-وإشعال النيران فى كل مكان.
15-يدعو للشريعة ويمارس الدعارة فى الظلام.
16-يتردد على الحانات مع النساء والأولاد.
17-يرقص سكراناً.
18-يدور مترفا.
19-يستحق اللعن والبصاق على وجهه.

ترى هل أطلقت كل هذه الصفات على خائن للوطن، أو متاجر بقوت الشعب، أو أطلقت على أحد الجواسيس، أو جماعة تزعمت قلب نظام الحكم، لم يحدث أن أطلقت

مثل هذه الصفات السيئة على واحد من هؤلاء، فكيف أطلقت على الداعية؟! وهو علم الطهر والكمال فى المجتمع.

إن المسألة لم تعد أن تكون رغبة من أحد الدعاة فى القيام بمسيرة سلمية خضراء لمقابلة رئيس الجمهورية لتطبيق الشريعة، ورفض من الحكومة لدواعى الأمن مثلا، وانتهى الأمر عند هذا الحد، ولم يصدر عن الحكومة نفسها مثل هذا السباب، وهى الجهة المعنية بالأمر، ولم يتهم الداعية النظام الحاكم بالكفر، ولا فعل النظام ذلك، فما الذى حدث للصحافة، لتفعل ما فعلته، ولتنشر ما نشرته؟!! أهو حقدهم القديم على الدعوة

الإسلامية؟!! أهو خوفهم من تطبيق الشريعة الإسلامية؟!! أهم تلاميذ الحملة الفرنسية فى مصر؟.

النموذج الثانى:

ليس غريبا بعد نشر هذه القصيدة أن يتغير حال الصحافيين وينصبون من أنفسهم حكاما على الدعاة، ويميزون بثقافة الملاهى الضحلة بين الداعية الذى يتبرأ منه الدين، لدرجة أن واحدة من الصحافيات قالت لعميد إحدى كليات الأزهر: إن الإسلام منكم براء، ونشر هذه الخبر كما يلى: (قرر مجلس جامعة الأزهر إقامة دعوى قضائية ضد صحافية بإحدى المؤسسات الصحفية الكبرى بعد أن قالت لأحد العمداء بالجامعة بعد مناقشة حادة: الإسلام منكم براء، ومجلس الجامعة يرى أن هذه السلوك يتماشى مع خط التصعيد ضد الأزهر ورجاله والحركة الإسلامية بشكل عام)[1].

هذه هى الصحافة المصرية، وهذا هو منهجها بالنسبة للدعاة: تكيل لهم اللعنات، وتخرجهم من الإسلام وكأنه أصبح حكرا على الصحافيين، وليس لرجال الدعوة الإسلامية نصيب فيه.

ومما يثبت صلة الوسط الفنى المصرى والوسط الثقافى بالغرب الصليبيى، هذا الخبر الذى نشرته جريدة الأهرام القاهرية إذ تقول: (فى سفارة فرنسا بالقاهرة أقيم احتفال لتكريم الكتاب والفنانين المصريين الذين أهدتهم حكومة فرنسا أرفع الأوسمة، فى الثقافة، والفنون، وهم كمال الملاخ، يوسف السيسى، اللذان حصلا على وسام الاستحقاق فى الثقافة والفنون، بينما حصل على وسام فارس كل من د. لويس عوض، أنجى أفلاطون، وأحمد

فؤاد سليم، وقام سفير فرنسا بالقاهرة ود. أحمد هيكل وزير الثقافة ووليم نجيب سفين وزير الهجرة بتقليدهم الأوسمة)[2].

لا شك أن هناك مخططا للعمل ضد الإسلام، كانت بدايته مع قدوم الحملة الفرنسية، وإلى الآن الغرب الصليبى يرعى تلاميذه من حين لآخر، ولأعداء الإسلام خاصية ثابتة، هى تكوين التلاميذ داخل ديار الإسلام وكل عدو للإسلام كان (له تلاميذ إذ لم يرض الأعداء أن يطيلوا الوقوف وحدهم بل عملوا على استمالة عدد ليس بالقليل من أبناء المسلمين وربوهم على أيديهم،... وأخلص التلاميذ لأساتذتهم، وحاولوا أن ينفذوا تعاليمهم بعناية وبذلك تورطوا فى الدفاع عن أمور كلها خروج على الشرع، ولكن للإنصاف نقول: إن بعض هؤلاء التلاميذ يشعر بما يقوم به وأن نجاحه فى دعوته معناه القضاء على

---

[1] جريدة الأحرار، ص 10 بتاريخ 12 / 5 / 1986 م

[2] جريدة الأهرام العدد 36421 بتاريخ 27 / 8 / 1986، ص 18

الأمة.. يشعر بذلك تماما، ويعمل من أجله عمدا ومنهم من هو برىء من سوء النية، ولا يشعر بخطر ما يقوم به، ولكنه لم يتعمق فى معرفة دينه حتى يقيم نهضته عليه، وبذلك اندفع فى الدفاع عما جاء من الغرب دون تبصر، وقدم للغرب خدمة أعظم مما لو كان يشعر بما يقوم به، لأنه مندفع بلا حدود بعقيدة أنه يخدم وطنه)[1].

نعم إن التحدى الحقيقى يأتى من الداخل: أخوة لنا يقومون بما يخطط لهم فى الغرب الصليبي، والهدف دائما ضرب الإسلام والدعوة الإسلامية، ومنذ أن زرع الغرب الصليبى الفساد فى مصر وهو يسقى زرعه ويتعهده، ولقد ظهر فى هذا الفصل من الرسالة كيف فعلت أجهزة الإعلام المصرية بالدعوة الإسلامية ورجالها على أيدى نفر من أبناء مصر، وإليك وثيقة أخرى تبين الترابط بين الغرب الصليبى وتلاميذه فى العالم الإسلامى، وهذه الوثيقة نشرت فى الصحف على هيئة خبر مفاده (انتهى المؤتمر الدولى عن التحديات التى تواجه المرأة، والذى عقد فى مقر الجامعة العربية بالقاهرة فى الفترة من 1 – 3 شهر 9 / 9 / 1986، انتهى نهاية غريبة، ففجأة وفى اليوم الأخير أثارت مجموعة من العضوات موضوع ماهى الجهة التى تولت تمويل المؤتمر، وترددت أسماء عدة جهات أجنبية قامت بتمويل المؤتمر، وشككت بعض العضوات فى اتجاه هذه الجهات وتأثيرها على المناقشات التى دارت، خصوصا فيما يتعلق بالدين والمسائل الدينية، ثم حدثت مشاجرة اضطرت المسئولات عن المؤتمر إلى الانسحاب والإعلان عن فضه قبل إقرار توصياته)[2].

بهذه النماذج السابقة لبعض أجهزة الإعلام والنشاطات الغربية والمريبة ضد الدعوة الإسلامية يصبح الخطر واضحا وضوح الشمس، والمحير فى هذا الأمر أن الأزهر الشريف رغم وقوفه ببسالة فى وجه كل طغيان أو عدوان على الحق طوال تاريخه العتيد خاصة ضد الفرنسيين، والإنجليز، إلا أنه وللحق ليس له موقف محدد وواضح ضد أجهزة الإعلام المصرية، وما فيها من عداء للدين الإسلامى وسخرية من علمائه، ولو اتخذ الأزهر الشريف موقفا حاسما ضد هذا الطوفان من الرذائل الإعلامية لما وصل الحال لما هو عليه الآن، وكل ما كتب أو قيل من قبل الأزهر الشريف كان عبارة عن الرفض لقضايا عامة تخلو من التفصيل والمناقشة، ولكنها تدور حول رفض الإعلام العلمانى والفساد فى أجهزة الإعلام، وخلو الإعلام من القيم الدينية، وما إلى ذلك، وهذه التصنيفات لا تفيد القضية فى شىء، ويتعين على الأزهر الشريف أن يقوم الآن بدوره كاملا فى مواجهة هذا الإعلام الصليبى بكل صرامة، لأن الوقت لم يعد يسمح بمثل هذا التسامح والتغاضى عن هذه الأمور بحجة أنها أعمال تافهة لا تستحق الاهتمام.

---

[1] د. بركات عبد الفتاح دويدار: الحركة الفكرية ضد الإسلام، ص 79، ط. دار التراث للطبع والنشر

[2] مجلة أكتوبر العدد 515 فى 7 / 9 / 1986 م ص 13.

ولقد كان هناك اتجاه فى مجمع البحوث الإسلامية فى مرحلة ما قبل النكسة 1967 م لمراقبة أجهزة الإعلام ورصد ما يخرج منها ضد القيم الدينية، ولكن هذا الاتجاه لم يستمر طويلا، ومع ذلك فهو يصلح كقاعدة للعمل من جديد بفضل ما بذل فيه من جهد، بذله الأستاذ الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل، الذى استطاع عن طريق التقارير الدورية المرفوعة لفضيلة الأمين العام، أن يضع الأسس التى يقوم عليها عمل مراقبة الإعلام بعد ذلك مراقبة شاملة صحيحة، وهذا نموذج لبعض الصحف.

يعلق بفضيلته على توجيهات بعض الصحافيين والمتصدين لحل المشاكل العاطفية للشباب فى الجرائد والمجلات، ويقول عن هذه التوجيهات: (إن كثيرا منها يتجاهل تقاليد مجتمعنا وديننا، ويتهم شبابنا المتطهر المتدين المثقف بضيق الأفق والتعقيد النفسى، والخيالات المرضية. ويشهد لذلك بما جاء فى مجلة حواء الصادرة فى 15 يناير 1966، فالمحررة ترد على صاحبة المشكلة الأولى – وهى فتاة تبدى قلقها على مستقبل إخواتها لما لاحظته عليهم مع الفتيات والنساء – بأن لا تثقل على نفسها، وأن سلوك

إخواتها وإن لم يكن صوابا مائة فى المائة، إلا أنه عادى ومألوف ولا داعى للانزعاج من هذه الأمور وترد على صاحبه المشكلة الثانية – وهى فتاة تشكو من قيود عائلتها المتدينة التى تمنعها من الخلوة بخطيبها – فتندد بالأذهان المتخلفة التى تظن أن الأخلاق يمكن أن تربى بالسخرة أو العقوبة أو الاعتقال. وترد على صاحب المشكلة الثالثة – وهو يشكو من أن بعض جاراته يحاولن لفت نظره وإغرائه بطرق شتى – فتندد بما فى لاشعوره من خيالات مريضة دفعه إليها تقوقعه)[1]. هذه الملاحظات المفصلة هى النموذج الذى يجب أن يحتذى فى الرد على اللادينية فى أجهزة الإعلام، وفى النهاية نكرر النداء إلى الأزهر الشريف للوقوف بحزم وصرامة فى مواجهة السخرية من قيم الإسلام، والسخرية من علماء الإسلام بشكل عام ومن الدعاة بشكل خاص، لأنهم هم الواجهة الرائعة للأزهر الشريف.

وقبل أن ينتهى هذا الفصل تتحتم الإجابة عن هذا السؤال:

لماذا كانت السخرية من علماء الدين هى السلاح الذى اختاره تلاميذ الحملة الفرنسية لمحاربة الدين الإسلامى؟

والإجابة عن هذا السؤال تتلخص فى أن السخرية من أصحاب الدعوات ومن علماء الدين سلاح مبرز وقاهر، مبرز لدى أهل الباطل فى مواجهة أهل الحق، وقاهر، لأنه تم به القضاء على كثير من الرسالات. وفى الصفحات التالية نماذج قرآنية لسخرية أهل الباطل من أهل الحق وفيها إيضا يظهر قوة سلاح السخرية وفاعليته.

---

[1] د. يحيى هاشم حسن فرغل: مذكرة عن الشباب فى الإعلام، من جملة التقرير رقم(12) بمجمع البحوث الإسلامية

سخرية أهل الباطل من الرسالات السماوية

" فى القرآن الكريم"

ولعل من أبرز الدعوات إلى الله تعالى التى أنهكتها السخرية، دعوة نبى الله نوح عليه السلام فقد ظل يدعو قومه تسعمائه وخمسين عاما، واستعمل قومه ضده سلاح السخرية من البداية، وكانوا يعلمون أبناءهم كيف يسخرون من الرسالة، وقد تأثرت هذه الدعوة العظيمة بهذا السلاح الخبيث، حتى كان حصاد هذه الأعوام الطويلة التى تقرب من الألف إيمان عدد قليل من الناس، وعند أكثر المفسرين تفاؤلا، لم يزد على ثمانين رجلا وامرأة، وجاء تقدير االعدد بنص القرآن بأنه – قليل – يقول الله تعالى:

"وما آمن معه إلا قليل"[1]، وثمة ملاحظة لابد من التركيز عليها وهى أن القرآن الكريم حينما يقص علينا نبأ نوح مع قومه، لم يذكر لنا أنهم استعملوا ضده سلاحا مثل الضرب والحبس، والإخراج والمقاطعة الاقتصادية، وغير ذلك من الأسلحة، ولكن القرآن الكريم يركز على أن السلاح الوحيد الذى استعمل ضد نوح كان السخرية منه ومن الذين اتبعوه، وقد أسلفنا أن هذا السلاح أدى إلى عدم قبول رسالة نبى الله نوح عليه السلام، وجعله يطلب لهم من الله العذاب، وإذا علمنا أن هذه الرسالة من الرسالات الأولى من الله للبشرية، اتضح لنا أن سلاح السخرية سلاح قديم جدا، وفتاك للغاية.

ويصور الله سبحانه لنا طريقة قوم نوح فى السخرية منه، وأن كل فرد أو جماعة كانت تمر بنوح سخرت منه، وكأن السخرية من الداعية أصبحت – لفرط كفرهم – دينهم وديدنهم...، قال تعالى: **"ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون"[2]**، وهذه سخرية مستمرة يصورها القرآن الكريم فى إبداع وإحاطة بقوله: « **وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه** » سخرية دائمة، سخرية قاتلة، والعجيب أنه مع وجود مثل هذه القصة فى القرآن الكريم وأن السخرية فى هذه القصة كانت سببا فى إعراض أكثر الناس عن هذه الرسالة، نجد بعض الدعاة إلى الله لا يهتمون بالسخرية من الداعية أو الدعوة فى أجهزة الإعلام، ويعتبرونها تهريجا لا يضر، وقد ذكر الله تعالى لنا قصة نوح عليه السلام أن السخرية من دعوته كانت فاصلة وقاتلة.

السخرية من الداعية نوح عليه السلام كانت متنوعة، فكانوا يسخرون منه لأنه بشر مثلهم، ولم يؤمن به إلا أرذال المجتمع، وأنه ومن آمن به أهل كذب وخداع، و **" قال**

---

[1] هود: 40.
[2] هود: 38

الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين"[1]

، وكانوا يتهمونه بالضلال، و**"قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين"[2]** وكانوا عندما يجلس إليهم لدعوتهم إلى الله يأتون بأفعال عجيبة تدل على الاستكبار والسخرية منه، كانوا يضعون أصابعهم فى آذانهم كراهة أن يستمعوا له، ويضعون ثيابهم على وجوههم كراهة رؤيته عليه السلام، ولا يخفى ما فى هذه الأفعال الصبيانية من احتقار له وسخرية منه واستكبار عليه، ويشكو نوح عليه السلام لربه سبحانه وتعالى هذه التصرفات الغريبة فيقول: **"وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا"[3]**. وفعلا نجح أسلوب السخرية فى تبديد جهد سيدنا نوح عليه السلام وتأثر دعوته وعندما شعر أنه مهزوم ومغلوب، دعا ربه أنى هزمت، فانتصر أنت: **"فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر"[4]**، وهذا اعتراف واضح بأن السخرية سلاح قاتل فتاك، وأننا فى العصر الحديث يجب أن نقاوم هذا السلاح بكل الوسائل، وأن نهتم بأى إشارة ولو كانت صغيرة للسخرية من الدعاة، وأن لا نترك لأجهزة الإعلام وتلاميذ الحملة الفرنسية الحبل على الغارب بحجة أننا أصحاب حق، وهل كان نوح عليه السلام إلا صاحب حق، ولكنهم استطاعوا الصد عن دعوته بهذا السلاح البسيط القاتل، ولفرط الآلام التى تحملها نوح عليه السلام من استعمال هذا السلاح ضده دعا ربه أن يبيدهم إبادة تامة، حيث لا أمل حتى فى نسلهم وذريتهم، فقد توارثوا لذة السخرية من الداعية ومن دينه، وربما يفسر هذا الموقف ما ينشأ من عداء بين بعض الدعاة والمجتمع بسبب سخرية بعض الطوائف فى المجتمع من الداعية، رغم أنه لا يسألهم على دعوتهم للحق أجرا، بل يرجو لهم بدعوته خيرى الدنيا والآخرة، وهذا الموقف النفسى يفسره قول الحق سبحانه وتعالى حكاية سيدنا نوح عليه السلام: **"رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا"[5]**. إن وصف الداعية بأوصاف لا تليق، والإلحاح على

السخرية منه، كما تفعل أجهزة الإعلام الآن، يسبب الضعف لدعوته بل يؤدى أحيانا إلى القضاء عليها، يقول تعالى: **"كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر. .فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر"[6]**

---

[1] هود: 27
[2] الأعراف: 60
[3] نوح: 7
[4] القمر: 10
[5] نوح: 26، 27
[6] القمر: 9، 10

ولم يكن هذا السلاح مستخدما ضد نبى الله نوح عليه السلام فقط، بل يستطيع الباحث فى القرآن الكريم أن يجد أن سلاح السخرية هو القاسم المشترك فى مقاومة أهل الحق وأهل الباطل.

نبى الله هود عليه السلام:

نفس السلاح استخدم مع نبى الله هود عليه السلام، قال تعالى: **"وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون. قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين"**[1] و **"قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين. إن نقول إلا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون"**[2].

فى هذه الآيات نجد أن قوم هود كانوا يسخرون منه ويتهمونه بالسفاهة والكذب، وأن آلهتهم هى التى أصابته بالسوء فجعلته يهذى كالمجانين، وكان هذا رفضا لدعوته ولكن بأسلوب الهجوم عليه كداعية والسخرية منه ومن قواه العقلية، وقريب من هذه الصفات نسمعه اليوم ضد الدعاة.

نبى الله صالح عليه السلام:

قال تعالى **"وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب"**[3].

هذه دعوة حق وصدق، ونبى الله صالح يريد بها أن يخرجهم من الظلمات إلى النور، ولكنهم يرفضون الإيمان، ويحاربون من يدعوهم إلى الخير، ويسخرون منه ويعتبرونه مجنونا منذ أن دعاهم إلى الإيمان، و **"قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب"**[4]، ولكى يثبت لهم أنه على الحق وأنه ليس مجنونا، يأتيهم بدليل مادى على صدق دعوته، حتى يزيل ما فى نفوسهم

من شك: **"ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب"**[5]. هذا دليل مادى كان يجب احترامه، ولكنهم يسخرون منه أيضا ويذبحون هذه الآية – أى الناقة -: **"فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد**

---

[1] الأعراف: 65، 66
[2] هود: 53، 54.
[3] هود: 61
[4] هود: 62.
[5] هود: 64

غير مكذوب" [1]، وكان شوقهم للكفر جعلهم يقبلون هذا التهديد، ويضحون بحياتهم فى سبيل الاستهزاء بالداعية وبالآية التى جاء بها.

نبى الله شعيب عليه السلام:

قال تعالى: **"وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مل لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط"**[2].

ما أجمل هذه الكلمات وما أعذبها حينما يتكلم بها شعيب عليه السلام وهو يدعو قومه إلى عبادة الله، لأنه الإله الواحد، ويوصيهم بالتخلى عن عادة "التطفيف"، نقصان الكيل والميزان، ويظهر له حبه للخير، وحرصه على مصلحتهم، ومع ذلك تجد أنهم يواجهونه برفض دعوته من البداية، ولكننا نرى من خلال هذه المواجهة أن أسلوب السخرية قد استعمل كسلاح واضح وحاسم فى هذه المعركة، يقول تعالى: **"قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد"**[3]، ثم يصلون إلى ذروة السخرية منه وهو عبثآ يحاول معهم، حين يقولون له: **"قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز"**[4].

وفى هذه الآية يسخرون منه فى ثلاثة مواضع:

الأول: يتهمونه بالعجز عن إفهامهم ما يريد أن يقول، وهذه تهمة تفت فى عضد الداعية، إذ تفقده ثقته فى أسلوبه، ومازالت هذه التهمة توجه إلى الدعاة من كل أجهزة الإعلام، إذ تصور الدعاة على أنهم جهلة، وأن ثقافتهم مأخوذة من الكتب الصفراء القديمة، وأن هذه الكتب تمثل الفكر الرجعى، وأن الداعية عاجز تماما عن شرح دعوته للناس وما أشبه اليوم بالبارحة.

الثانى: يسخرون من ضعفه، ويقولون له إنك من أجل هذا الكلام تستحق الرجم، والذى يمنعنا من ذلك هو رهطك، وحين يعلن فى أى مجتمع أن الداعية يستحق الرجم فإن وضع الداعية يصبح مضطربا حقا، ويصبح عند ذلك هين الشأن على الكبير والصغير، لأن سلاح الداعية الأول هيبته ووقاره، ومثل هذا الكلام يعصف بهما معا فى نظر العامة.

---

[1] هود: 65.
[2] هود: 84
[3] هود: 87
[4] هود: 91

الثالث: السخرية بطريق التهديد، لأن التهديد فى العادة يكون من الأقرى إلى الأضعف، ويقولون له: **"وما أنت علينا بعزيز "**، ويهدونه بأنهم يستطيعون النيل منه فى كل وقت، ومن المشاكل الضخمة التى تعطل الداعية عن دعوته تحت تهديد فئة معينة فى المجتمع، لا تخاف الله سبحانه وتعالى، وهذا ما يفرض وجود حصانة للدعاة، كما لرجال القضاء وغيرهم من الفئات الأخرى، لأن الداعية أخطر شأنا وأبعد أثرا فى حياة أمته المسلمة.

لو تتبعت منهاج سخرية أهل الباطل من أهل الحق فى القرآن الكريم، لتتابعت الأحداث وتكاثرت وخرج هذا البحث عن هدفه، ولذلك سأختم هذه النقطة بذكر سخرية أهل الباطل من النبى الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم.

سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم:

بدأت سخرية أهل مكة من النبى صلى الله عليه وسلم باتهامه بالجنون: **"وقالوا يأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون"[1]**، والاتهام بالجنون هو أشد أنواع السخرية من الداعية، لأنه يصادر على كل ما يقوله، ويحقر من شأنه فى نظر العامة، واتهموه بأنه شاعر، وذلك للسخرية من الكلمات العظيمة التى جاء بها، وفى قولهم إنه شاعر تلميح إلى أنه يستخدم ما يقول، ليحقق كثيرا من الربح، كما كانت عادة الشعراء فى أيامهم: **" أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون"[2]**، والله سبحانه وتعالى يطمئن رسوله صلى الله عليه وسلم بأن اتهام الدعاة بالجنون والشاعرية هى عادة الذين من قبلهم، وهو أسلوب متبع مع كل الدعوات السابقة: **"كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون"[3]**، وسخروا أيضا من فقره، وحالته الاقتصادية: **"وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم"[4]**، وهذا هو حال الأمم مع الدعاة: مقاومة دعوتهم بالسخرية والاستهزاء: **"وكم أرسلنا من نبى فى الأولين. وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزئون"[5]**، وهذا يفسر إلحاح أجهزة الإعلام فى السخرية من الدعاة هذه الأيام، وبالبحث فى القرآن الكريم نجد أن سلاح السخرية سلاح له جذوره التاريخية، الأمر الذى نرجو أن يدفع الدعاة جميعا إلى عدم التهاون فى أى لفظ أو إشارة تمس الدعوة الإسلامية أو الدعاة إلى الله.

لقد أصبح الداعية المسلم بفعل أجهزة الإعلام الصليبية مثارا للسخرية ومجالا للتندر والتفكه فى مجالس السفهاء، ولكن الظاهرة الخطيرة التى تكشف عنها السخرية من الدعاة ظاهرة محزنة حقا لكل داعيه مسلم، لأن ظاهرة السخرية من الدعوة والدعاة

---

[1] الحجر: 6.
[2] الطور: 30
[3] الذاريات:52، 53.
[4] الزخرف: 31
[5] الزخرف: 6، 7.

تقترن دائما بالأوقات التى تضعف فيها هذه الدعوة، ويضعف دعاتها، وهى ظاهرة مفزعة كما أسلفت.

ولعله من المفيد تذييل هذا الفصل بنقل صورة حية لما كان يتعرض له النبى صلى الله عليه وسلم من سخرية فى بداية الدعوة، حينما كان صوت أعداء الدعوة الإسلامية هو الأعلى، ويصور ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: **"إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون. وإذا مروا بهم يتغامزون. وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين. وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون. وما أرسلوا عليهم حافظين"**[1].

رأى الإمام الفخر الرازى فى الآيات السابقة:

يقول: (اعلم أنه سبحانه لما وصف كرامة المؤمنين الأبرار فى الآخره، ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم فى الدنيا فى استهزائهم وضحكهم، ثم بين أن ذلك سينقلب على الكفار فى الآخرة، والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم وفيه مسائل:

الأول: أن المراد من قوله: «**الذين أجرموا**» أكابر المشركين كأبى جهل والوليد ابن المغيرة، والعاص بن وائل السهمى، وكانوا يضحكون من عمار بن ياسر وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المسلمين، ويستهزئون بهم.

الثانى: جاء على عليه السلام فى نفر من المؤمنين، فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم، فقالوا رأينا الأصلع فضحكوا منه، فنزلت هذه الآية قبل أن يصل على إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثانية: أنه تعالى حكى عنهم أربعة أشياء من المعاملات القبيحة:

أولها: قوله: **"إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون"** أى يستهزئون بهم وبدينهم.

ثانيها: قوله: **"وإذا مروا بهم يتغامزون"** أى يتفاعلون من الغمز، وهو الإشارة بالحاجب والجفن ويكون الغمز أيضا بمعنى العيب، وغمزه إذا عابه وما فى فلان غميزة، أى عيب والمعنى أنهم يشيرون إليهم بالأعين استهزاء، ويعيبونهم ويقولون انظروا إلى هؤلاء يتعبون أنفسهم، ويحرمونها لذاتها، ويخاطرون بأنفسهم فى طلب ثواب لا يتيقونه.

ثالثها: قوله: **"وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين"**: معجبين بما هم فيه من الشرك والمعصية والتنعم بالدنيا، أو يتفكهون بذكر المسلمين بالسوء، وقرأ عاصم

---

[1] المطففين: 29 – 33

فى رواية حفص عنه "فكهين" بغير ألف فى هذا الموضع وحده، وفى سائر القرآن "فاكهين" بالألف وقرأ الباقون "فاكهين" بالألف، وقيل: هما لغتان وقيل: "فاكهين": متنعمين مشغولين بما هم من الكفر والتنعيم بالدنيا، "وفكهين" معجبين.

رابعها: قوله: **"وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون"** أى هم على ضلال بتركهم التنعم الحاضر، بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود أم لا"[1].

ويقول الأمام ابن كثير فى تفسير هذه الآيات: (يخبر الله تعالى عن المجرمين أنهم كانوا فى الدنيا يضحكون من المؤمنين، أى يستهزئون بهم ويحتقرونهم، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أى محتقرين لهم: **"وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين"**، أى وإذا انقلب أى رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم فكهين، أى مهما طلبوا وجدوا، ومع هذا ما شكروا الله نعمته عليهم، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحقرونهم ويحسدونهم: **"وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون**، أى لكونهم على غير دينهم)[2].

وأضيف أن هذه الصورة من السخرية والاستهزاء التى تبرزها الآيات ليس المقصود منها مجرد السخرية من المؤمنين، إنما المقصود منها رفع شأن أهل الكفر من خلال سخريتهم من المؤمنين، وقد سبق أن سلاح السخرية من أقوى الأسلحة التى يستعملها خصوم الدعوة إلى الله، للقضاء عليها، وإليك قول فرعون عن موسى نبى الله عليه السلام، وهو فى موقف المفاضلة بينهما: **"أم أنا خير** من **هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين"[3]**. ومن الواضح أن المسألة ليست السخرية بغرض السخرية، إنما السخرية تكون دائما بغرض سحق الدعوة إلى الله، أى سحق أمة، وتدمير دعوة، وإصابة عالم الدين فى مقتل.

الفصل الثالث

أثر الحكم الشرعى والحكم الوضعى على سلوك الداعية

تمهيد:

: عن وحدة النظام الإلهى وضبط الشريعة الإسلامية للمجتمع

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل جميعا لهداية الخلق إلى طريق الحق، وجعل طاعتهم من طاعته سبحانه وتعالى، وجعل نجاح الأمة – أى أمة – متوقفا على طاعتها

---

[1] الفخر الرازى: التفسير الكبير، مجلد 8 ص 358

[2] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ 4 ص 487، ط الحلبى

[3] الزخرف: 52

لرسولها، المبعوث لها، سواء كان هذا النجاح فى أمر الدنيا أو الآخرة، وجاء النبى محمد صلى الله عليه وسلم، إلى هذه الدنيا بالرسالة الخاتمة، التى هيمنت على كل الرسالات السابقة، وجعل الله سبحانه وتعالى طاعة هذا النبى العظيم من طاعته سبحانه وتعالى:**"من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا"**[1]، وجعل الله سبحانه وتعالى حبه الناشىء عن التقدير لجلاله مرهونا باتباع النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: **"قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم"**[2]، وضم طاعته لطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل الاثنين شرطا واحدا للحشر مع الفائزين من عباده يوم القيامة، فقال: **"ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا"**[3]، وجعل حدوده سبحانه وتعالى – الشريعة وأحكامها – هى حدوده صلى **"إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين"**[4]، ووعدهم بالذل فى الدنيا، والآخرة، فقال: **"إن الذين يحادون الله سبحانه ورسوله أولئك فى الأذلين**[5]. وما سبق

من الآيات يظهر بوضوح أن رسل الله جميعها، وخاتمهم صلى الله عليه وسلم، طاعتهم

من طاعة الله، والعداء لهم عداء الله سبحانه وتعالى، وهذه المكانة العظيمة التى تبوأها النبى صلى الله عليه وسلم – كواحد من الرسل – جاءت من اختيار المولى سبحانه وتعالى له، ليكون رسولا مبلغا ما كلف به، لهداية خلق الله سبحانه وتعالى، وأنزل إليه القرآن الكريم ليكون دستور الأمة من بعده، وعمله مع القرآن كيف يفهم القرآن وكيف يحكم به، فقال تعالى: **"إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما"**[6]،

والرسل جميعا لم يبعثهم الله لهو ولا لعبا، بل بعثهم لهداية الناس وطلب طاعتهم التامة على وجه الحتم والحزم، فقال تعالى: **"وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله"**[7] وهذه الطاعة من الأمة للرسول لابد أن تكون ظاهرا وباطنا، قلبا وقالبا، وهذه الطاعة بهذه الصفات هى شرط الإيمان قال تعالى: **"فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما"**[8]، هذا من ناحية

---

[1] النساء: 80.
[2] آل عمران: 31
[3] النساء: 69
[4] المجادلة: 5
[5] المجادلة: 20
[6] النساء: 105
[7] النساء: 47
[8] النساء: 65

الإيمان، ومن ناحية الطاعة فى الدنيا والرضا بقيادته والتسليم له، فإن هذا هو أساس نجاح الأمة، وإذا وجدت مجموعة من الناس قلا ملأ قلبها النفاق، وبيتت عدم الطاعة، فإن خروج هذه الطائفة مع المؤمنين يسبب لهم الخيال، والاضطراب: **"لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين"[1]**))(4)

ونخلص مما سبق إلى أن طاعة الأمة كاملة للداعية شرط فى نجاحها، وانسجامها وتقدمها، وازدهارها.

وسنة الله فى خلقه أن جعل الموت قانونا يطبق على الجميع، بما فيهم الأنبياء والرسل فقال تعالى: **"وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين"[2]**،وبعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم، بقيت الدعوة الإسلامية ببقاء القرآن الكريم، والحديث الشريف، وقيام أصحابه البررة بواجب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، لأنهم فهموا أن النبى صلى الله عليه وسلم، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وأصبح من الواجب عليهم أن يحملوا

مشاعل النور والهداية، التى تركها فى أيديهم منيرة مشرقة، وعلموا أن الأمة الإسلامية لن تحصل على الخير إلا بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل أرجاء العالم، تمشيا مع قوله تعالى: **"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون"[3]**.

وإذا كان أكثر أهل الكتاب فاسقين، وغير مؤهلين لحمل أمانة الدعوة، فإن الواجب فى حمل راية الدعوة إلى الله انحصر فى الأمة الإسلامية، وجعلها خير أمة أخرجت للناس.

والمجتمع المسلم فى أى بلد إسلامى الآن مكلف باتباع الداعية اتباعا كاملا، لما كان المجتمع يتبع الداعية اتباعا كاملا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا خالف المجتمع – أى مجتمع – هذا النظام السابق من الطاعة الكاملة، فإن هذه المخالفة تؤثر على سلوك الداعية المسلم، وعلى نفسيته، لأنه لا يستطيع أن يدعو الناس إلى منهاج آخر، وهو داع فماذا يصنع؟

---

[1] التوبة: 47

[2] آل عمران: 144

[3] آل عمران: 110.

إن رغبة الداعية فى الخير وحرصه على سعادة الناس تجعله يبذل أقصى جهده أثناء الحكم بشريعة الله، ليأتى الناس بكل مايقربهم من ربهم سبحانه وتعالى، وهذا يجعله قوى العزيمة، قوى الشخصية، وقوى الإيمان بتحقيق هدفه الكبير، وهو وضع الخلق على طريق الحق سبحانه وتعالى.

وإذا كان المجتمع يسير على نظام غير نظام الله، والداعية ملتزم بنظام ربه، حدث بين الطرفين التنافر، والتناحر، والتناقض، وانعكس على سلوك الداعية ونفسيته.

هذا من ناحية الداعية والأمة، ومن ناحية أخرى يضطرب نظام المجتمع نفسه، لأن ترك الشريعة بعد عن نظام الله، فيحدث التنافر بين المجتمع والنظام العام للكون كله، لأن الكون يسير بدقة متناهية حسب النظام الإلهى، قال تعالى: **"والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون"**[1]، نعم وكل فى فلك يسبحون، والسؤال: ما الذى يحدث لو أن الشمس لم تحبر لمستقر لها؟ أليس الدمار لكل العالم هو النتيجة البديهية لذلك.

وعلى هذا النسق يسير المجتمع بالشريعة الإسلامية، فإذا طبقت كاملة كانت السعادة وكان الانسجام فى المجتمع، وكانت الغلبة للمسلمين، وإذا لم تطبقكان البؤس والشقاء، وخراب البيوت والنفوس، وفقد الأمل والأمان، وإحساس الإنسان بالقنوط، وإن تعجب فاعجب للمسلمين حينما يأملون فى نصر الله وهم لا يلتزمون بنظامه، وإذا كان هذا لا يحدث بين الدول بعضها البعض، وبين الأفراد بعضهم البعض، فكيف يحدث هذا بين الأمة وخالقها، إلا إذا كان هذا استدراجا والعياذ بالله.

لا أريد أن أستطرد فى موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية، لأن هذا الفصل خاص بزاوية واحدة من الموضوع، وهى أثر تطبيق الشريعة الإسلامية وعدمه على سلوك الداعية، ولابد من التأكيد على أن الداعية هو أول إنسان يعانى من عدم تطبيق الشريعة الإسلامية، لأنها عمله، وعبادته، وعلمه، والأمة المسلمة هى حقل الداعية، وإذا لم تلتزم الأمة بشريعة الله، ففى أى أرض يزرع الداعية رزعه؟

إن الكون وحده واحدة أساسها قانون الله فى كل شىء، ولا نستطيع أن نفصل فيه جزء عن جزء، والشريعة الإسلامية هى قلب الكون، والدعاة هم المضخة التى تضخ الدماء من هذا القلب، (ولما كانت الدعوة الإسلامية دعوة عامة شملت الروح والبدن، والمادة، والمعنى، والحكم والمجتمع، بل كل ما له علاقة بخلافة الأرض، وتعميرها، كان

---

[1] يس: 38 – 40

مسجدها وهو شعارها عاما وشاملا لكل الأرض ولابد أن يتدخل بتوجيهه فى معترك الحياة، وكل مجالات الحياة وهذا حقا شيء طبيعى ومناسب لطبيعة الإسلام، الذى شهد الله بكماله وصلاحيته للمجتمع وسعادة الأمة به دون غيره[1]، قال تعالى: **"ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخره من الخاسرين"[2]**

والمجتمع المسلم حين يلتزم بالقانون الوضعى فإنه يضيع على نفسه فرصة عظيمة، تتجلى فى غياب الداعية القدوة، (والشعوب لا تحقق أهدافها إلا خلف الأبطال المخلصين الذين يمتزج فيهم جانب البطولة بجانب القداسة، أو الذين تجتمع فيهم معانى البطولة

ومواقف التضحية فى نطاق العقيدة، لئلا تحتاج إلى استعارة أبطال آخرين، لا يمثلون خط الرسالة فى أساليبنا التربوية التى تعتمد فى بعض مجالاتها على أسماء الأبطال، مواقف البطولات، ليجتمع للأمة عنصر القدوة إلى جانب عنصر الفكر)[3].

نعم لقد كان من الممكن فى الرسالات السابقة – لخصوصيتها بأقوام معينين – أن يتم الخروج على شريعة الله فى مكان ما بعيدا عن أرض الرسالة – الخاصة بغيرهم – لكن الإسلام جاء عاما شاملا، ولذلك كانت مخالفته فيها خطورة على العالم أجمع، وأسفا وحزنا ينعكس على نفسية دعاته المسلمين، (لقد جاء الإسلام حاويا آخر إطار فكرى يستطيع أن يتحرك الإنسان من خلاله فى مختلف المجالات والشئون، وبالتالى فقد افترض فى الإسلام نسخه لما كان قبله من أطر أخرى، سواء منها ماكان سماويا أو كان بشريا، لكن الأمر مع الأسف لم يكن بهذه السهولة)[4].

ومازال بعض الدعاة المخلصين يحاولون بجهودهم الذاتية جعل الإطار الإسلامى هو الإطار الذى يحكم العالم أجمع، ومازال خصوم فى الداخل والخارج يناضلون لإثبات أن الإسلام لا يصلح كإطار فكرى عام، ويتباهون بالحضارة الحديثة، ويجعلون تخلف الشعوب الإسلامية شاهدا على عدم صلاحية الإطار الإسلامى، ويفهمون الشعوب الإسلامية أن التقدم والرخاء مرهون بالقانون الوضعى، الذى جاء مع المستعمر فى فترات مظلمة فى التاريخ، وهذا ظلم بين الحضارة الإسلامية، (لقد استطاع المسلمون أن يصنعوا حضارة عظيمة، واستطاعت التربية الإسلامية أن تفى بحاجة الحضارة الإسلامية، وأهمية هذه النقطة هى إمكان الحكم على التربية الإسلامية. إن الحضارة الإسلامية لم تكن حضارة أخروية، ولا كانت حضارة أديرة، وتكابا وخوانق، وإن كانت قد اتسعت لها ضمن ماتسعت له من منظمات وإنما كانت حضارة حيوش، وفتوح،

---

[1] د. سعيد إسماعيل على: معاهد التربية الإسلامية ص 203، دار الفكر العربى 1986 م.

[2] آل عمران: 85

[3] محمد حسين فضل الله: خطوات على طريق الإسلام ص 418، ط دار التعارف، بيروت 1979 م

[4] د. سعيد إسماعيل على: معاهد التربية الإسلامية

ومستشفيات، ومدارس، ومكتبات، ودور حكمة، وكانت حضارة فنون وصناعات، وكانت حضارة قوافل وسفن، وتجارة، وطرق برية وبحرية وبريد منتظم وكانت حضارة أدب وعلم، وتأليف، وكانت حضارة روح ومادة)[1].

إننا لا نريد أن ندعى للحضارة الإسلامية التى صنعها الإسلام أن أصحابها وصلوا

إلى القمر أو صنعوا الأجهزة الألكترونية، ولكننا نريد أن نقرر بحق ثلاثة أمور على جانب كبير من الأهمية:

الأولى: أنها كانت أعظم حضارة عرفتها الإنسانية إلى عصرها.

الثانى: أنها كانت خطوة أساسية على طريق الحضارة الحديثة، لولا احتواؤها لأحسن مافى الحضارات السابقة، مضافا إليها فتوحها الحضارية الإسلامية الخالصة، ماقامت الحضارة الحديثة بكل فتوحها المذهلة.

الثالث: أن فيها من الخصائص مالو أفاد منها المسلمون لاستطاعوا أن يقيموا لهم حضارة جديدة حديثة، ونكاد نزعم أنه من غير الإفادة لم يكن للمسلمين فى يوم من الأيام حضارة إسلامية مثلما كان لهم سابقا [2].

والحضارة العلمانية لا تشبع الروح وليس لها أى علاقة بها، وإن أنهكت الجسد تخمة، ويعانى منها الداعية هو والمفكر والمثقف أشد المعاناة، لأن المجتمع كله يسير فى طريق يعلم الداعية أن نهايته الحتمية الخسران المبين فى الدنيا والآخرة، (وفى الحضارات العلمانية يعانى الفكر والمثقف بصفة عامة الكثير من التمزق والتشتت، وعدم التوحد والانسجام مع الخارج، جماعة، وأمة، وعالما، ولا يجد التوازن الفعال بين قدراته العقلية الفذة وخوائه الروحى المجدب، أما فى الحضارة الإسلامية فإن حياة العلماء الشخصية كانت تتميز بالتوازن والتوحد والانسجام، ولهذه التجربة الذاتية الخاصة أثرها الكبير الحاسم على طبيعة المنجزات الحضارية نوعا وكما، ولا يبدو هذا الأثر إلا مع الزمن الطويل)[3].

وقد رأينا فى هذه الكلمات السابقة اضطراب الطبقة المثقفة فى المجتمع عندما يكون علمانيا، يحكم بغير شريعة الله سبحانه وتعالى، وكيف تكون هذه الصفوة مع الحكم الشرعى، حيث كانت تتميز شخصية العالم المفكر المثقف بالانسجام والتوحد، الذى يؤثر فيما بعد على المنجزات الحضارية فى المجتمع الإسلامى، والشريعة الإسلامية هى هذه

---

[1] أبوالفتوح رضوان: الفكر التربوى فى التراث العربى ص 6

[2] المرجع السابق ص 106

[3] د. عماد الدين خليل: تهافت العلمانية ص 121، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان

الروح الشاملة، التى تسرى فى تكوين الفرد، ثم المجتمع، ثم الكون، ثم تربط الجميع بالخلق سبحانه وتعالى، برباط يفيد الجميع لا شك فى ذلك، والله غنى من الكون وعن

الناس، وهم ليسوا فى غنى عن الله سبحانه وتعالى

إن مفهوم الدين الإيجابى فى الإسلام، أنه يبدأ بأعماق الإنسان ويتدرج حتى يشمل الكون كله، ويتغلغل فى حنايا الوجود الإنسانى الفردى والجماعى، ويصعد بالإنسان فى طريق عملى موصول، يبدأ بالإقرار المطلق بوحدانية الله، وينتهى بالثورة التى لا ترحم ضد الطواغيت، الذين أشركوا أنفسهم بخالق الكون سبحانه وتعالى.

ومفهوم الدين الإيجابى فى الإسلام (ينطلق أيضا من الإيمان بصدور النواميس الإلهية الكونية جميعا عن إرادة الله الواحد، وينتهى بعد حركة مليئة بالحيوة والنشاط والتضحية بالدخول إلى صميم فطرة الكون، والتوافق الرائع مع نواميسه الكبرى، إن الدين فى الإسلام غير منفصل عن الحياة، أو الوجود، أو الطبيعة، أو القيم الإنسانية، إنه قيمة القيم، وليس قيمة واحدة، إنه إطار الالتزامات وليس التزامنا جانبيا، إنه منهج الله للإنسان فى الأرض، فردا وجماعة، وليس مساحة فحسب تمثل جانبا ضئيلا أو واسعا من مناهج العبيد، ومن ثم فهو لا يتحقق بأن يوجد فى دائرة مغلقة، أو مساحة مضروب حولها ألف جدار، بل فى أن يحطم هذه الجدران الزائفة التى اصطنعها الطواغيت، وأقرها عبيدهم، وينطلق كما أراد له الله ورسوله، لكى يشمل الدائرة الأكبر التى تضم فى إطارها الشامل المفتوح الكون والحياة، والعالم والإنسان)[1].

هذا هو الإسلام بشموله الأساسى، الذى لا يستطيع أى مجتمع إنسانى أن ينهض إلا به، وبه كاملا، وليس بجزء منه كما تفعل بعض الدول الإسلامية الآن بحصر الشريعة الإسلامية فى دائرة قانون الأحوال الشخصية مثلا.

اضطراب المجتمع بسبب البعد عن الشريعة الإسلامية:

ويتضح هذا من الرجوع إلى قوله تعالى: ((**بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج**))(2)، يقول الإمام ((ابن كثير)) فى تفسير هذه الآية: (وهذا حال من خرج عن الحق، مهما قال بعد ذلك فهو باطل، والمريج المختلف المضطرب المتلبس المنكر خلافه، كقوله تعالى: **"إنكم لفى قول مختلف. يؤفك عنه من أفك"**[2].

ويرى الإمام ابن كثير من خلال تفسيره لهذه الآية، خاصة لفظة "ميرج"، أنهم لما كذبوا بالحق أوقعوا أنفسهم فى حالة غاية فى الغرابة أساسها الاضطراب والتلبس،

---

[1] عماد الدين محمد خليل: تهافت العلمانية ص 100، 101

[2] تفسير ابن كثير: مجلد 4 ص 222، والآيات من سورة الذاريات: 8، 9

والاختلاف، وهى حالة لا تسمح بوضوح الرؤية، وأى قول يصدر عنهم فى هذه اللجاجة فهو من قبيل الباطل.

ونرى أن السبب مختلف عما ذهب إليه الإمام ابن كثير، لأنه رحمة الله نظر إلى الأعراض على أنها أمراض، وتكلم فيها على هذا الأساس.

ولكن الواقع يحتم أن سبب الخلاف والاختلاف، والتلبس والاضطراب، ليس البعد عن الحق فقط، ولكنه التعامل مع الباطل كبديل للحق، لأنه لا يتصور أن تتم حالة بعد عن الحق، بدون إحلال الباطل مكان الحق، وهو ماتميل إليه النفس ويؤيده قول الحق سبحانه وتعالى: **"فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون"[1]**، ولذلك ترى أن كل دولة من دول العالم الإسلامى لما تركت الشريعة الإسلامية لم تقف عند ذلك، ولكنها أحلت محلها القوانين الأوربية المختلفة، واضطراب المجتمع الإسلامى فى أى دولة هذا الاضطراب العجيب، ليس بسبب ترك الشريعة الإسلامية فقط، وإنما السبب الحقيقى كامن فى التعامل مع القوانين الوضيعة، ويتضح هذا الأمر بمثال هو لو أن مريضا ذهب إلى طبيب حاذق، وشكى له مرضه ووصف له الطبيب الدواء المناسب وذهب المريض إلى بيته، فإن هذا المريض لن تخرج عن ثلاثة أمور:

الأول: أن يترك الدواء استهتارا به، أوشكا فيه، وفى هذه الحالة سيبقى على مرضه الذى ذهب للطبيب من أجل شفائه.

الثانى: أن يأخذ الدواء وسوف يشفى بإذن الله لأنه الدواء المناسب.

الثالث: أن يترك دواء الطبيب الحاذق ويستبدل به دواء من إنسان جاهل بالطب والدواء جميعا، وعندئذ فإن دواء هذا الجاهل لن يشفى له مرضه، بل سيضيف إليه كثيرا من الأمراض وربما دمر صحته فى النهاية.

إن دول العالم الإسلامى اليوم تنقسم إلى ثلاثة أقسام بالنسبة لتعاملها مع الشريعة الإسلامية:

القسم الأول: دول تحاول تطبيق الشريعة الإسلامية كاملة

القسم الثانى: دول تطبق بعضا من الشريعة الإسلامية وتترك البعض الآخر

القسم الثالث: دول تركت الشريعة الإسلامية واستبدلت بها قوانين أخرى، هذه الحالة هى ذروة البعد عن الحق

---

[1] يونس: 32

والإمام ابن كثير يقف فى تفسيره للآية عند القسم الثانى، ونميل إلى أن الآية تخص القسم الثالث، لأن ترك الحق شىء واستبدال غيره به شىء آخر، والدول الإسلامية لو تركت فقط لكان من السهل على الدعاة أن يعودوا بهذه الدول إلى ساحته، ولكن الذى صعب مهمة الدعاة أن الباطل القادم مكان الحق لم يأت وحده كظل شيطان يمشى على الأرض، ولكنه جاء فى عقول وقلوب كثير من الناس، وقد رمزت إلى معظمهم فى الفصل السابق بأنهم تلاميذ الحملة الفرنسية، بصورة أعم وأوضح فهم تلاميذ الصليبيين فى كل زمان ومكان.

ومن هنا أصبح للباطل فلاسفة وأناس يرتزقون من شيوعه، وانتشاره كقانون للبلاد التى تعمل به، ومن الواضح أن مهمة الداعية فى هذه الحالة لم تعد هى الدعوة إلى حق غائب – كما حدث فى بعض فترات الحكم الإسلامى-، وإنما أصبحت مهمة الداعية مزدوجة لأنه يجب أن يدعو إلى الحق الغائب، وفى الوقت نفسه باطلا موجودا له انصار وأعوان وفلاسفة، ومن يقرأ كتاب الشيخ على عبد الرازق[1] عن الخلافة والحكم ومقالات فؤاد زكريا[2] فى الأهرام، وغيرهما كثير يدرك ثقل مهمة الدعاة وتأثير الحكم الوضعى عليهم.

ونعود للقرآن الكريم ونأخذ منه آية واحدة تبين لنا حالة الفرد والجماعة حين يتبعون الهوى، وكيف يدخلون بذلك فى صراع مع الحق وكل ذلك يصوره القرآن الكريم فى قول الحق سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: **"ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا"**[3]. يقول الإمام الزمخشرى عند تفسيره لجزئية:

("**وكان أمره فرطا**" متقدما للحق والصواب نابذآ له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل)[4].

وهذه آية أخرى من كتاب الله تعالى، يظهر من خلالها أن أى مجتمع إسلامى ليس أمامه خيار فى اختيار الشريعة الإسلامية كطريق مستقيم، ومناهج للحياة، وأن المجتمع الإسلامى لو ترك طريق الله المستقيم، واتبع طرقا أخرى فإنها لن تلبى حاجاته فى نظام مستقر، والأكثر خطورة فى اتباع الطرق المختلفة أنه كلما سار فى طريق غير الله فإنه بنفس المسافة يبتعد عن طريق الله، سبحانه وتعالى.

يقول تعالى: **"وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون"**[5].

---

[1] الشيخ على عبد الرازق: الإسلام وأصول الحكم

[2] فؤاد زكريا: سلسلة مقالات عن صلاحية الشريعة للتطبيق، نشرت فى الأهرام بالتتابع 1986 م

[3] الكهف: 28

[4] الزمخشرى: تفسير الكشاف، مجلد 2 ص 482 ط دار الفكر – بيروت – لبنان

[5] الأنعام: 153

يقول الإمام أبو السعود فى تفسير هذه الآية: (إشارة إلى ماذكر فى الآيتين من الأمر والنهى قاله مقاتل، وقيل: إلى ماذكر فى السورة فإنها بأسرها فى إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة. وقرىء صراطى بفتح الياء، ومعنى إضافته إلى ضميره عليه الصلاة والسلام، انتسابه إليه عليه الصلاة والسلام، من حيث السلوك لا من حيث الوضع، كما فى صراط الله، والمراد بيان أن ما فضل من الأوامر والنواهى غير مختصة بالمتلو عليهم، بل متعلقة به عليه الصلاة والسلام أيضا، وأنه صلى الله عليه وسلم مستمر على العمل بها، ومراعاتها، وقوله تعالى: **"مستقيما"** حال مؤكدة ومحل **"أن"** مع مافى خبرها الجر محذوف لام العلة، أى ولأن هذا صراطى مستقيما أى ملكى **"فاتبعوه"**، كقوله تعالى: **"وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا"**، وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه الصلاة والسلام، لا بكونه صراط الله تعالى مع أنه نفسه كذلك، من حيث إن سلوكه عليه الصلاة والسلام فيه داع للبشر إلى الاتباع، إذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل. وقرىء بكسر الهمزة على الاستئناف، وقرىء أن هذا مخففة من أن اسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف، **"ولا تتبعوا السبل"** أى الأديان المختلفة أو طرق البدع والضلالات، **"فتفرق بكم"** بحذف إحدى التائين والباء للتعدية، أى فتصرفكم حسب تفرقها **"عن سبيله"** أى عن سبيل الله الذى لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الإسلام الذى ذكر بعض أحكامه، وقيل هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان، وفيه تنبيه على أنه صراطه صلى الله عليه وسلم عين صراط الله.)[1]

هذا هو رأى الإمام أبى السعود فى تفسيره السبل، فهو يعتبرها البدع والضلالات، وهذا الكلام من الإمام أبى السعود كلام طيب جدا، إذا أسند إلى زمانه أيام كانت الدولة الإسلامية تحكم بالشرع الإسلامى، فكان وقتها الخروج عن سبيل الله عبارة عن اتباع بعض البدع والضلالات، ولكن الحال قد تغير الآن، وأصبح الخروج فى سبيل الله اتباع السبل هو ترك شرع الله، والحكم بشرع غيره، وإذا نظرنا إلى دول العالم الإسلامى فسنجد أن كل دولة قد اتبعت سبيلا خاصا بها من السبل الكثيرة، فمنها من يحكم بالقانون الفرنسى، ومنها من يتبع فى حكمه القانون الإنجليزى، والإيطالى أو غير ذلك من قوانين البشر، وهذه السبل الكثيرة هى التى فرقتهم وأبعدتهم عن طريق الله الواحد المستقيم، وعندما يتبع أفراد المجتمع المسلم سبلاً متفرقة غير سبيل الله، فإنهم يقعون فى الاضطراب والاختلاف والبعد عن طريق الله سبحانه وتعالى، وهذه الحالة من أهم الحالات التى تنعكس آثارها السيئة والضارة على نفسية الداعية، وسلوكه، داخل المجتمع مضطرب بهذا الشكل الخطير، لأن الداعية تلميذ النبى صلى الله عليه وسلم، الذى كان ينفطر قلبه حزنا على بعد مجتمعه عن طريق الله سبحانه وتعالى، ووصل به الحال فى بعض الظروف أن كان هذا الألم من عصيان الناس يكاد يذهب بحياة النبى صلى الله عليه

---

[1] تفسير أبى السعود بتصرف مجلد 2 ص 305، دار الفكر، بيروت، لبنان

وسلم وقد وصف القرآن الكريم هذا الموقف فى قول الحق سبحانه وتعالى: **"لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين"**[1]، فإذا كان الداعية سيصل بحبه للخير لحالة كتلك التى وصل إليها النبى صلى الله عليه وسلم، فلا شك أنه سيصاب بحالة من الحزن الشديد، والانقباض، لبعد مجتمعه عن شرع الله سبحانه وتعالى.

وقد ذكر الإمام الرازى فى تفسير قوله تعالى:**"وأن هذا صراطى مستقيما"** ما نصه: (أنه تعالى لما بين فى الآيتين المتقدمتين ما وصى به، أجمل فى آخره إجمالا لا يقتضى دخول ماتقدم فيه ودخول سائر الشريعة فيه، فدخل فيه كل ما بينه الرسول من دين الإسلام وهو المنهج القويم، والصراط المستقيم، فاتبعوا جملته وتفصيله، ولا تعدلوا عنه فتقعوا فى الضلالات، وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم، أنه خط خطا ثم قال: **"**هذه سبل على كل منها**"**

"شيطان يدعو إلى إليه"[2]، ثم تلا هذه الآية)[3]. هذه طرق كثيرة وكل طريق عليه شيطان يدعو إليه، وله أعوان فى ذلك، وهو ما سبق شرحه، لأن مشكلة الداعية فى الحكم الوضعى أنه يدعو إلى العودة إلى طريق الله، وفى نفس الوقت عليه أن يقاوم فلاسفة الحكم الوضعى وهم كثير، ولكى يظهر الفرق بين الحكم الشرعى والحكم الموضعى بالنسبة لسلوك الداعية، سوف يتجه البحث إلى اختيار نماذج تبين النشاط الفكرى والتوجيهى داخل المجتمع أثناء الحكم الشرعى، والوضعى على السواء.

سلوك الداعية وغيرهم من المسلمين أثناء تطبيق الحكم الشرعى

سوف نعرض هنا لبعض النماذج، التى تبين أثر الحكم الشرعى على الداعية، وأن الداعية أثناء الحكم الشرعى تكون له الكلمة المؤثرة، والهيبة والوقار، ويكون ملء السمع والبصر بالنسبة للمجتمع المسلم، تهفو إليه النفوس، وتحترمه العقول، ويملأ حبه كل الصدور، وسوف نعرض هنا لبعض النماذج مع الحفاظ على الوعاء الومنى الأحداث، ولذلك ستكون البداية بنموذج ليس طرفاه حاكما وداعية، ولكن – للحق – طرفاه اثنان من المسلمين، الأول فى موقع الحاكم، والثانى واحد من الرعية، الأول هو الخليفة العادل عمر ابن الخطاب رضوان الله عليه، والثانى هو الصحابى الجليل سلمان الفارسى رضى الله عنه وأرضاه، وهذه القصة إن دلت على شىء فإنها تدل على قوة إيمان الصحابة، وسيادة الحكم الشرعى، وسلطانه على النفوس، وإليك القصة:

النموذج الأول:

---

[1] الشعراء: 3.

[2] رواه ابن ماجه ص 6 من المقدمة، باب اتباع النبى صلى الله عليه وسلم، مجلد 1، ط دار الفكر.

[3] تفسير الفخر الرازى: مجلد 8 ص 4، والآية من سورة الأنعام: 153

(كان من جملة غنائم المسلمين أبراد يمانية، فقام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قام يقسم هذه الغنائم بالعدل، وقد أصابه منها برد، كما أصاب عبد الله بن عمر مثل ذلك كأى رجل من المسلمين، ولما كان سيدنا عمر بن خطاب بحاجة إلى ثوب وهو الرجل الطويل فى الجسم، فقد تبرع له عبد الله ابنه ببرده ليصنع منها ثوبا يكفيه، ثم وقف يخطب الناس وعليه هذا الثوب، فقال – بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم -: أيها الناس اسمعوا وأطيعوا. فوقف له سلمان الفارسى رضى الله عنه ليحاسبه، وقال له: لا سمع لك علينا ولا طاعة. فقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ولم؟ فقال له سيدنا سلمان: من أين لك هذا الثوب وقد نالك برد واحد وأنت رجل طوال؟ فقال له سيدنا عمر بن الخطاب: لا تعجل، ونادى: يا عبد الله، فلم يجيبه أحد، فنادى: يا عبد الله بن عمر، فقال عبد الله: لبيك وسعديك يا أمير المؤمنين، فقال: ناشدتك الله، البرد الذى أتزرت به أهو بردك؟ فقال عبد الله: اللهم نعم

فقال سلمان الفارسى: الآن مر نسمع ونطع)[1]

:وقبل أن أترك هذه القصة لابد من التركيز على أمور منها

1-أرى فى القصة السابقة أن الحاكم الأعلى للدولة مع التسليم له بالسمع والطاعة، إلا أنه بالنسبة للنواحى المالية فإنه يحاسب كأى إنسان آخر، وهو نفسه حريص على هذا بلا غضب ولا انفعال، ولو حدث هذا فى أيامنا الحاضرة لتحول السائل إلى مجرم خطير، وألقيت عليه التهم من كل صوب.

2-أذا افترضنا أن سلمان الفارسى فى هذه القصة قد مارس دور الداعية، فما أعظم هذا الدور، وما أجمل هذه المكانة، التى جعلت منه العين الساهرة على شرع الله، وساعده على ذلك أمير المؤمنين – بكل دقة – بهذه الشريعة التى تمسك بها سلمان الفارسى رضى الله عنه.

3- إن مثل هذه المواقف كانت تحرك همم الدعاة للاستزادة من العلم بالفروع والأصول للشريعة الإسلامية، لكى يتم لهم بذلك المحافظة عليها، وعلى هذا أقول: إن الحكم الشرعى يثرى علم الداعية، وثقافته، ويجعله فى شوق وفى حركة دائبة إلى الاستزادة من كل العلوم، مع الالتزام بالشريعة التى يمثلها قولا وفعلا.

النموذج الثانى:

---

[1] ابن الجوزى: صفة الصفوة جـ 1 ص 535، ط دار الوعى، حلب، سوريا 1969 م، وانظر فى ذلك – الشيخ/ سيد قطب: العدالة الاجتماعية ص 172، وعبد العزيز البدرى: بين العلماء والحكام فى الإسلام ص 72

(وقف أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان بعد أن قطع بعض الأعطيات المالية عن أفراد المسلمين، فقال: اسمعوا وأطيعوا، فقام إليه أبو مسلم الخولانى ليحاسبه عن هذا التصرف الخاطىء، فقال: لا سمع ولا طاعة يا معاوية.

فقال معاوية: ولم يا أبا مسلم؟

فقال أبو مسلم: كيف تمنع العطاء؟ وهو ليس من كدك، ولا كد أبيك ولا كد أمك؟

فغضب معاوية، ونزل عن المنبر، وقال للحاضرين: مكانكم، وغاب ساعة عن أعينهم ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال: أما إن أبا مسلم كلمنى بكلام أغضبنى، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من نار وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحد فليغتسل"وإنى دخلت فاغتسلت، وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدى، ولا من كد أبى، ولا من كد أمى، فهملوا إلى عطائكم)[1].

وواضح أيضا من هذه القصة أن الداعية فى النظام القائم على الحكم الشرعى كان له القول الفصل، ورأينا الاستجابة الفورية من الحاكم، وهذه الاستجابة خضوع لسلطان الشرع الإسلامى، ولعلك علمت الآن أى سلطان كان للداعية أو لأى فرد من المسلمين فى هذا المجتمع المسلم.

إن كثيرين ممن حضروا هذه الحادثة، قد تشوقوا بالقطع إلى صعود هذه القصة التى يقف عليها أبو مسلم الخولانى، وما أعظمها من قمة شرع، وقمة علم، وقمة تقوى، وهى السبب الأقوى، وإذا كان هذا موقف الداعية مع الحاكم الأعلى للبلاد الإسلامية، فما بالك بموقفه مع عامة المسلمين؟ وكان العصاة يخافون من مواجهته، وكان الأمراء يتمنون رضاه، وكان كل مسلم يحلم ويتمنى أن ينال ابنه فى المستقبل هذه المكانة، ومن هنا طأطأت كل الرءوس فى مجلس الدعاة، وأرغمت كل الأنوف المتعالية أمام عزتهم، التى اكتسبوها من عز الفتوى، والنصيحة بالشرع فى مجتمع يلتزم بالشريعة الإسلامية منهجا وحياة، ولو حدثت هذه القصة فى مجتمع يحكم بالنظام الوضعى لنال من يتصدى للدعوة أشد أنواع العذاب والنكال، وحتى بعد موته يبقى مذموما[2] ألسنة السفلة، الذين يتاجرون بدينهم وشرفهم، من فلاسفة النظام الوضعى.

بعد هذا لابد من التركيز على أن الداعية لا يقوم بدوره على الوجه الأكمل، ويصبح ذا دور حقيقى فى المجتمع، إلا إذا هذا المجتمع نفسه محكوما بشريعة الله سبحانه وتعالى،

---

[1] الإمام الغزالى: كتاب إحياء علوم الدين جـ 5 ص 70.

[2] قريب من هذا حدث للشهيد سيد قطب، عليه سحائب الرحمة والرضوان.

لأن الناس جبلوا على هيبة من يملك القانون، والداعية يملك القانون فى النظام الشرعى، ولا يملك غير إيمانه بالله وصبره على المحن فى غيره من النظم.

النموذج الثالث:

(روى عبد الله بن هياج بن سعيد قال:

أتت امرأة يوما إلى شريك بن عبد الله، قاضى الكوفة، وهو فى مجلس الحكم، فقالت: أنا بالله ثم القاضى.

قال: من ظلمك؟

قالت: الأمير موسى بن عيسى ابن عم أمير المؤمنين، كان لى بستان على الشاطىء الفرات، فيه نخل ورثته عن أبى، وقاسمت إخوتى وبنيت بينى وبينهم حائطا، وجعلت فيه رجلا فارسيا يحفظ النخل ويقوم به، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع إخوتى، وساومنى ورغبنى فلم أبعه، فلما كانت هذه الليلة بعث خمسمائة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط، وأصبحت لا أعرف من نخلى شيئا، واختلط بنخل إخوتى.

فقال القاضى شريك لحاجبه: يا غلام احضر ورقة، ثم ختمها بخاتمه.

وقال لها: امض إلى بابه بالختم حتى يحضر معك، وجاءت المرأة بالورقة المختومة حتى طرقت باب الأمير، فأخذها الحاجب منها ودخل بها على الأمير موسى بن عيسى، وقال له: أعدى القاضى عليك وهذا ختمه.

فقال الأمير: ادع لى صاحب الشرطة فدعا به فقال له: امض إلى شريك وقل له: يا سبحان الله، ما رأيت أعجب من أمرك، امرأة ادعت دعوتى لم تصح، أعديتها على.

فقال: صاحب الشرطة: إن رأى الأمير أن يعفينى من ذلك.

فقال الأمير: امض ويلك.

فخرج صاحب الشرطة وقال لغلمانه: اذهبوا وأدخلوا إلى حبس القاضى بساطا وفراشا وما تدعو الحاجة إليه فى السجن، ثم مضى إلى القاضى شريك، فلما وقف بين يديه أدى الرسالة.

فقال القاضى لغلام المجلس: خذ بيده فضعه فى السجن.

فقال صاحب الشرطة: والله قد علمت أنك تحبسنى فقدمت ما أحتاج إليه فى السجن.

وبلغ الأمير موسى بن عيسى الخبر فأرسل الحاجب وقال له: قل له: رسول أدى الرسالة، فأى شىء عليه؟!

فقال القاضى شريك: اذهبوا به إلى رفيقه فى السجن.

فلما صلى الأمير العصر، بعث إلى إسحاق بن الصباح، وإلى جماعة من وجوه الكوفة ومن أصدقاء القاضى شريك، وقال لهم: امضوا إلى القاضى وبلغوه السلام وأعلموه

أنه استخف بى، وأنى لست كالعامة، فمضوا إليه وهو جالس فى مسجده بعد صلاة العصر، فنقلوا إليه الرسالة، فلما انقضى كلامهم قال: ما لى أراكم جئتمونى فى غثرة من الناس فكلمتمونى، ثم التفت حوله ونادى من هاهنا من فتيان الحى، فأجابه جماعة من الفتيان، فقال لهم: ليأخذ كل واحد منكم بيدى رجل من هؤلاء، فيذهب به إلى السجن، ثم وجه الكلام إلى وجوه الكوفة وهم يسحبون.

فقال لهم: ما أنتم إلا فتنة، وجزاؤكم الحبس.

فقالوا: أجاد أنت؟!!

قال: حقا، حتى لا تعودوا برسالة ظالم، فحبسهم جميعا.

وعلم الأمير موسى بن عيسى فركب فى الليل إلى باب السجن وفتح الباب وأخرجهم جميعا، فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء، جاءه السجان فأخبره، فدعا شريك بالمقطر فختمه وتوجه بع إلى منزله، وقال لغلامه: الحق بثقلى إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم، ولكنهم أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا فيه الإعزاز إذا تقلدناه لهم.

ومضى نحو قنطرة الكوفة فى الطريق إلى بغداد، وبلغ الخبر موسى بن عيسى فركب فى موكبه ولحقه، وجعل يناشده الله ويقول: يا أبا عبد الله، تثبت انظر إخوانك تحبسهم: دع أعوانى.

فقال شريك: نعم لأنهم مشوا لك فى أمر لم يجز لهم المشى فيه، ولست ببارح أو يردوا جميعا إلى السجن، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين المهدى فأستعفيه مما قلدنى.

فأمر موسى بن عيسى بردهم جميعا إلى السجن، وهو واقف مكانه، حتى جاءه السجان فقال: قد رجعوا جميعآ إلى السجن، فقال شريك لأعوانه: خذوا بلجام دابة الأمير إلى مجلس الحكم، فمروا بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس فى مجلس القضاء، وجاءت المرأة المتظلمة.

فقال شريك: هذا خصمك قد حضلا

فقال موسى بن عيسى وهو إلى جانب المرأة المتظلمة بين يديه: قبل كل أمر أنا قد حضرت، أولئك يخرجون من السجن.

فقال الماضى: أما الآن فنعم، أخرجوهم من السجن، وقال للأمير: ماتقول فيما تدعيه هذه المرأة.

فقال موسى: صدقت.

فقال القاضى شريك: ترد ما أخذت منها وتبنى حائطا سريعا كما كان.

قال الأمير: أفعل ذلك كله، واتجه شريك القاضى نحو المرأة وقال: أبقى لك عليه دعوى؟

قالت: بيت الرجل الفارسى ومتاعه.

قال الأمير: ويرد ذلك كله.

قال القاضى للمرأة: أبقى لك عليه دعوى؟

قالت المرأة: لا.. وجزاك الله خيرا وبارك فيك.

وأمر شريك المرأة بالانصراف، فانصرفت، فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه فى مجلسه.

وقال: السلام عليك أيها الأمير، أتأمر بشيء؟

قال موسى بن عيسى: أى شيء آخر وضحك.

فقال القاضى شريك: ذلك الفعل حق الشرع، وهذا القول حق الأدب، فقام الأمير وانصرف إلى منزله وهو يقول: من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه)[1].

لقد أطلت فى سرد هذا النموذج لما يحويه من علامات وواضحة، لشكل المجتمع حين يحكم بشرع الله سبحانه وتعالى، وتتلخص هذه العلامات فى النقاط التالية:

1-إن عالم الدين – وهو قاض – فى هذا النموذج استطاع أن يرغم الحاكم على قبول حكمه، والنزول عليه، ونظرللقضية المعروضة من زاوية الحق فقط، ولم ينظر إليها من زاوية المدعى أو المدعى عليه.

2-تقوم الشرطة فى الحكم الشرعى بدور المحافظ على حدود الله سبحانه وتعالى، وقد رأينا كيف أن صاحب الشرطة جهز لنفسه السجن، لأنه علم أنه يجامل على حساب الشرع، وأن القاضى لن يرحمه.

---

[1] وكيع: محمد بن خلف حيان متوفى سنة 306 هجرية "كتاب أخبار القضاة" جـ 3 ص 170، ط دار عالم الكتب، بيروت، لبنان

3- الشرطة فى الحكم الشرعى تساعد العلماء وتنزل على حكمهم، وفى الحكم الوضعى تستخدم لإرهاب العلماء الدعاة، والتنكيل بهم، إذا دعت ظروف الحكم القائم إلى ذلك

4-إذا لم يستطع الداعية أن يرفع الظلم عن المظلوم، فإنه يعتذر عن منصبه فورآ، ويترك المكان غير اسف على وظيفته.

5-ينزل الحاكم على حكم الشرع على اعتبار أن الحكم الله، وأن الحاكم نفسه فى نظام الحكم الشرعى يعتبر موظفا، يؤدى عملا، ولا فرق بينه وبين كل المسلمين.

6-النقطة الأخيرة والمهمة هى تأثير الحكم الشرعى على سلوك الداعية، فيبدو الداعية فى هذا النموذج قوى الشخصية، قوى الحجة، يستمد قوته من إيمانه بالله، ومن قوة الشرع الذى يدافع عنه، وهذا هو أهم آثار الحكم الشرعى على سلوك الداعية.

النموذج الرابع:

هذا النموذج متأخر بعض الشىء فى الزمن عن النماذج السابقة، ومع هذا فأهميته تأتى من هذه النقطة بالذات، فقد جاء هذا النموذج والأمور فى الدولة الإسلامية مضطربة غاية الاضطراب، و الأعداء يحيطون بها من كل جانب، وهى تمر بحالة شديدة الهزال، من كثرة المؤامرات عليها فى الداخل والخارج، ومع ذلك بقيت للدعاة هيبتهم، وللعلماء مكانتهم، التى تعلو على مكانة الحاكم مهما كان له من سلطان أو جبروت.

(وهذا هو عز الدين بن عبد السلام يقوم قومته الكبرى، على أمراء المملكة بالديار المصرية، وهم الذين طغوا فى البلاد، وبغوا على أهلها، وكانوا يسمون بالمماليك، وصمم على أن يبيعهم، وينفق ثمنهم فى مصالح المسلمين، وكان على رأسهم نائب السلطنة نفسه، وذلك بحجة أن الملك الصالح أيوب قد اشتراهم من بيت المال.

ولجأ الأمراء إلى الملك يشكون ما آل إليه أمرهم من الهوان، بعد أن أفتى ابن عبد السلام بأنه لا يصح مبايعتهم، ولا معاملتهم، ولا مناكحتهم، لأنهم أرقاء، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين.

وبعث الملك إلى الشيخ يستدعيه، فلم يلب الشيخ دعوته، وجرى بينهما خلاف شديد، فغضب ابن عبد السلام، وحمل حوائجه وأهله، وخرج من القاهرة قاصدا الشام، ومن ثم ثارت ثائرة المسلمين، فخرجوا خلفه جميعا يطلبونه، وبان الخطر للملك، فذهب إليه ونزل عند رأيه، واسترضاه وطيب قلبه.

ومن ناحية أخرى انزعج نائب السلطان لأمر بيعه فى سوق الرقيق، وكان لا يزال صاحب السلطة العليا بعد الملك، فعظمت ثورته وهو يقول: كيف ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا نحن ملوك الأرض؟ والله لأضربنه بسيفى هذا.

وركب بنفسه فى جماعته من المماليك، وجاء إلى منزل الشيخ، والسيف مسلول فى يده، فطرق الباب، فخرج ولد الشيخ ورأى من نائب السلطنة ما رأى، وعاد إلى أبيه ليخبره، فقال الشيخ يا ولدى أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله.

وخرج عز الدين بن عبد السلام فى هيبته وإيمانه، كأنه القدر قد نزل على نائب السلطنة، وأمراء المماليك من خلفه، فجمدت عروقهم، وسقطت السيوف من أيديهم، وبكى النائب وسأل الشيخ وقال: يا سيدى خير، أى شىء تعمل فقال الشيخ: أنادى عليكم وأبيعكم، فقال النائب: ففيم تصرف ثمننا؟ قال: فى مصالح المسلمين، فقال النائب: فمن يقبض؟ فقال الشيخ: أنا، وتم للشيخ ما أراد، فباعهم وقبض ثمنهم، وأنفقه فى وجوه الخير)[1].

وثمت ملاحظات على النموذج الأخير قبل أن نختم هذا الموضوع، وهو أثر الحكم الشرعى على سلوك الدعاة، وغيرهم من المسلمين.

الملاحظة الأولى:

أن الداعية كان يحكم ويوجه المجتمع بدون قوة مادية، كما هو معروف فى مسائل القيادة فى هذا الزمن الذى نعيشه الآن، وعندما كان يعجز فى تنفيذ حكم معين رآه صالحا، كان يحمل متاعه وينصرف، ومع ذلك كان مجرد تهديده بالخروج من البلد الذى يعيش فيه، كفيل بقلب النظام وتغيير الأحوال، وكانت قوة الداعية مستمدة من قوة الشريعة الإسلامية.

الملاحظة الثانية:

أن جمهور المسلمين كان يقف خلف الداعية كالسد المنيع، ولذلك نقول: إن قوة الداعية فى هذا النموذج كانت تخرج من ثلاثة منابع:

الأول: قوة الإيمان بالله.

الثانى: سيادة الشريعة الإسلامية فى الدولة المسلمة.

الثالث: احترام الجماهير للداعية وحبهم له.

ومن الحقائق الواضحة فى أيامنا هذه، أن فشل الدعوة فى الداخل والخارج ليس راجعا لعنت بعض الأنظمة فى الدول الإسلامية، وكسل الدعاة فقط، ولكنه يرجع أساسا إلى الجمهور المتخاذل، والذى من كثرة ما حيك حوله من مؤامرات، والضربات التى تعرض لها فى دينه وجعلته يرضى بالقليل، وينصرف إلى

---

[1] عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى 727 – 771، طبقات الشافعية جـ 8 ص 216، ط الحلبى، والعز بن عبد السلام ولد سنة 578 هـ وتوفى 660 هجرية. وانظر بائع الملوك لمحمد حسن عبد الله ص 99: 107، ط مكتبة وهبة 1962، والعز بن عبد السلام للدكتور / عبد الله الوهيبى ص 63، المكتبة السلفية 1979

تحصيل معاشه، وتلبية حاجاته، يجرى خلفه شهواته، ونزواته، وهذا أثر مهم للحكم الوضعى السائد.

ومحاولة تنشيط الدعوة وإعادة الشريعة الإسلامية إلى الحكم لا تأتى عمليا بالصدام مع السلطة فى كل بلد مسلم، وإنما الأهم من ذلك إيقاظ هذه الجماهير – المسلمة والمستسلمة – من سباتها العميق، وقفل صنابير الرذيلة فى أجهزة الإعلام وغيرها، لأن الذين وقفوا خلف العز بن عبد السلام، والقاضى شريك بن عبد الله لو كانوا على قيد الحياة وطلب منهم الوقوف خلف أى داعية صادق، لنصرة الحق لما ترددوا فى ذلك لحظة واحدة، لأن العبرة بالإيمان الذى يملأ القلوب، ويشرح الصدور فهل نجد مثلهم الآن؟

الملاحظة الثلاثة:

وهى خاصة بكل النماذج السابقة، فالدعاة فيها باعوا أنفسهم لله، وكانوا يتمتعون بجرأة فى الحق، ويقين لا نهاية له، وهذه الفدائية كانت جزءا من سلوكهم أثناء الحكم الشرعى، وهذا من آثاره عليهم، أما فى الحكم الوضعى فإن المادة والحياة المترفة تلقى ظلالها على سلوك بعض الدعاة، وتجعل الدنيا عزيزة عليهم حلوة فى قلوبهم وأعينهم، ومن الصعب فى هذا الموقف النفسى أن تباع الدنيا بالآخره، كما حدث قبل ذلك، ولذلك انتصر الداعية هناك، وانتكس هنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

أثر الحكم الوضعى على الدعاة

من مآسى الوضعى أنه لا يقف فى إفساده للحياة عند حد تطبيق القانون فقط، بل إن الفساد فى الحكم الوضعى يشمل الحياة كلها، وإذا كانت الشريعة الإسلامية هى عقل الأمة الحاكم، فإن الأمة التى تعيش من غير الشريعة الإسلامية لا شك أنها أمة تعيش بلا عقل، ونستطيع أن نحدد كيف تعيش الأمة بلا عقل، إن مصيرها سيكون هو التخبط فى كل شىء.

وعندما يشتد فساد الحكم الوضعى فى أى مجتمع إسلامى، فإن ذلك يجلب الشقاق والتنافر بين عناصر المجتمع القائم، فالحكم الوضعى له أنصاره ومحبوه، والذين يعتبرون أن التمسك به هو مسألة حياة أو موت، وعلى الطرف الآخر نجد أن الدعاة

المتخصصين يحاولون العودة بالمجتمع إلى حكم الشريعة الإسلامية، وهناك نقطة لابد من إزالة الغموض من حولها، فبالنظرة الفاحصة لكل المجتمعات الإسلامية التى تطبق القانون الوضعى، يتضح أن الصراع فى هذه المجتمعات يدور بين شيئين أساسيين:

1- السلطة الحاكمة فى هذا البلد المسلم

2- الدعاة المخلصون الذين باعوا أنفسهم لله سبحانه وتعالى

وهذا التقسيم عادة هو الذى يسبب الصدام بين السلطة الحاكمة والدعاة، كما حدث للإخوان المسلمين فى مصر بعد قيام الثورة، وما حدث ويحدث للإخوان المسلمين فى سوريا، وما يحدث من صدام بين الجماعات الإسلامية ومعظم الحكومات فى الدول الإسلامية الآن

والحقيقة أن جعل السلطة الحاكمة فى أى بلد إسلامى هى الطرف الأساسى فى رفض تطبيق الشريعة الإسلامية، هو خطأ قاتل للنهضة الإسلامية ولابد من تصحيح هذا الخطأ

وجعل الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى هم الطرف الثانى فى الصراع، لا يقل فداحة عن الخطأ السابق

ولكى يتضح الأمر لابد من إضافة عنصرين هامين لهذا الصراع:

الأول: تلاميذ الصليبين أو بتعبير أوسع وأدق اللادنيين فى كل مكان

الثانى: بعض الجماعات الإسلامية الناشئة (السرية) التى تدعو لتطبيق الشريعة الإسلامية وقد يئست من نشاط الدعاة المتخصصين فى هذا المجال، ومعظم هذه الجماعات ينقصها العلم والخبرة والصبر، وإن كان لا ينقصها الإيمان، ومن أخطر عيوب هذه الجماعات أنها كما تبث الحقد بين الجماهير على السلطة الحاكمة، فإنها وبنفس القدر تبث هذا الحقد على الدعاة المتخصصين من رجال الأزهر الشريف، حيث إنهم يعتقدون لعوامل نفسية – خاصة بمعظم زعمائهم – أنهم الأولى والأجدر بالدعوة إلى الله تعالى، وهذه مشكلة أخرى فى غاية الخطورة تؤثر على سلوك الداعية، وحركته، لأنه إن رفض هذه الجماعات – ولابد له أن يرفضها – فقد رفض بذلك شباب الإسلام وقوته، وهم على غير بصيرة فى معظم الأحيان، إلا أن فى ضياعها خسارة كبيرة للأمة الإسلامية، لأننا بعد هؤلاء لن نجد إلا شبابا لا يهتم كثيرا بأمر الدين، وهيمنته على المجتمع.

هذا من ناحية الرفض، أى رفض الجماعات الإسلامية كدعاة، وإذا وافق الداعية على سلوك هذه الجماعات وأعلن موافقته على سلوكهم، فإنه بذلك يرضى عمن لا يرضون

عنه، ويصبح بذلك أضحوكة فى نظر الجماهير، فكيف يؤيد أناسا لا يرضون عن سلوكه، ويجعلون من أنفسهم حكاماً على سلوكه وتصرفاته، وهذه معادلة صعبة ولا أمل أن تحل فى الوقت الحاضر.

هل فى الدعاة عيب يستحق هذا الخصام؟ الحقيقة أن العيب يأتى من عوامل اجتماعية ونفسية لدى زعامات بعض هذه الجماعات

:إذا عناصر الصراع فى الحكم الوضعى أربعة فى كل بلد إسلامى

أ- النظام الحاكم

ب- كل العناصر التى تؤيد الحكم الوضعى، كرجال الصحافة، والوسط الفنى، وغيرهم .ممن ينتفون من سيادة العلمانية فى المجتمع

جـ- الدعاة المتخصصون

د- الدعاة غير المتخصصين من بعض الجماعات الإسلامية

وإذا كان النظام الحاكم ومن يسير فى فلكه، بينهما اتفاق كامل فى كل شىء فإن الطرفين الأخيرين ليس بينهما اتفاق كامل وهذا ما يسبب الحزن الشديد لكل قلب غيور على الإسلام

والنقطة التى أتمنى الكشف عنها، هى أن السلطة الحاكمة بالقانون الوضعى والدعاة المتخصصين، غالبا ما يقع عليهما تبعة تصرفات الطرفين الثانى والرابع، فمثلا قد يهاجم الإسلام صحافى قد امتلأ بالحقد على الشريعة الإسلامية، أو يحمل مواريث ثقافية معينة، فتثور ثائرة الدعاة على السلطة الحاكمة، على اعتبار أنها مسئولة.. نعم مسئولة عن شىء لا تتمناه فى معظم الأحيان، وهذا الصحافى قد تصرف بمحض حقده على الإسلام وظنه أنه يتقرب بهذا العمل ضد الإسلام إلى المواقع الهامة فى مؤسسته، المهم أن مثل هذه الأعمال تؤدى إلى سوء ظن بين الطرفين وتقع تبعة المواجهة على الدعاة، وهم عادة يزرعون الشهد ويجنون الحنظل، وهذا قدرهم

وعلى الناحية الأخرى الدعاة المتخصصون، ورغم أنهم أكثر الناس كراهية للفتنة لأنهم يعلمون أن (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها)، إلا أن تبعة أى تصرف ضد السلطة تقع عليهم فى الغالب الأعم، فمثلا قد يحدث أن تثار قضية فى المجتمع يكون خلف إثارتها من يعملون سرا، ويتناولها أحد الدعاة بحسن نية، ويكون جزاؤه الاعتقال، وفى أحسن الأحوال قد يمنع من النشاط الذى يمارسه لدعوة الخلق إلى طريق الحق سبحانه وتعالى، ومرة أخرى يجنى الدعاة ثمار الخصومة المتزايدة بين السلطة الحاكمة والجماعات الإسلامية، ويقع العقاب على الدعاة كنتيجة لأخطاء العناصر أحيانا، ونتيجة لأخطاء بعض الجماعات الإسلامية فى معظم الأحيان، وهذه الحالة لها تأثير غاية فى الخطورة

على سلوك الدعاة، لأن هذا الضغط على الدعاة صنفهم بحسب قوة تحملهم، وصبرهم على مكابدة الشدائد، وهذه الظروف القاهرة جعلت الدعاة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهم الذين رضوا من الغنيمة بالإياب، وفصرت هممهم عن المواجهة، واعتبروا أن تربية الأبناء، والتمتع ببعض الملذات المباحة وبعض وسائل الرفاهية التى سمحت بها الظروف، اعتبروا ذلك هدفا يرجى ويعيش الداعية من أجله.

القسم الثانى: وبعض الدعاة انكب على البحث العلمى ليخرجوا الأف الأدلة على أمر من الأمور الواضحة، الذى لا يحتاج إلى دليل، وكأنهم يعيشون فى بيزنطة[1] بعد الميلاد، عملهم هو التفكير المجرد ونشاطهم الكلام البليغ.

القسم الثالث: ومن فضل الله على الدعوة الإسلامية، أن هيأ لها كثيرا من الرجال العظام، الذين يحملون لواء الدعوة الإسلامية بصدق وإخلاص لا يتأثرون كثيرا بالعوامل الاجتماعية والنفسية، دستورهم القرآن الكريم وسلوكهم هو السير على طريق النبى صلى الله عليه وسلم، لا يبخلون بجهد ولا مال، فى سبيل رفع شأن الدعوة الإسلامية، ومن فضل الله تعالى أنهم كثير، وخاصة من رجال الأزهر الشريف، وحين يعود الجتمع إلى شريعة الله سبحانه وتعالى، فستجد هؤلاء هم الشموس التى تشرق على الأمة كل صباح، وسيعلم الذين نكثوا على أنفسهم.

وسوف أقدم هنا نماذج مما يحدث للدعاة، ومن الدعاة أثناء الحكم الوضعى، لكى تكون كأدلة على ما سبق، توضح معناه، وتفصح عن فحواه

سوء الفهم القائم بين السلطة والدعاة:

وهذه قصة الخطيب مسجد من مساجد الدرجة الأولى بالعاصمة - القاهرة - سلمت إليه خطبة رسمية، من الجهات العليا[2]، وأمر بإلقائها، لأن رئيس الجمهورية السابق – جمال عبد الناصر – قادم هو ورجال حاشيته، وكبار رجال الدولة، ليصلوا الجمعة فى المسجد المذكور، وامتثل الخطيب الأمر، وبدأ يقرأ ما كتب له، وكانت الخطبة مذاعة فى المسجد المذكور، وامتثل الخطيب الأمر، وبدأ يقرأ ما كتب له، وكانت الخطبة مذاعة على الهواء مباشرة، وخطر للخطيب حديث شريف مناسب للمقام، لم يذكر فى نص الخطبة المقدمة،

---

[1] بيزنطة هى عاصمة الدولة البيزنطية وتقع فى الشمال الغربى لأسيا الصغرى(الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ص 88) وتقع على شاطىء البسفور وهى جزء من القسطنطينية الحديثة، وكانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، وفيها كانت مجادلات جدية ودموية عن طبيعة المسيحيين بين أصحاب الطبيعة الواحدة والأرثوذكس.(المعلم بطرس البستانى: دائرة المعارف مجلد 5 ص 76، ط دار المعرفة، بيروت).

[2] لاحظ هنا أن المخابرات هى التى أعدت هذه الخطبة للخطيب الذى قضى عمره فى البحث العلمى، وهذه واحدة من مساوى الحكم الوضعى

فقرأ من الذاكرة، وهنا قطع الإرسال، ولما عاد الخطيب إلى النص المقبول فى زعمهم، عاد الإرسال، وبعد أن قضيت الصلاة، قام جمال عبد الناصر، وحيا الخطيب وانصرف، وجلس بجوار الخطيب شابان واستبقياه حتى هدأ الجو، فاصطحباه إلى الخارج، ووجد عربة فى انتظاره، فركبا فيها، واستأذناه أن يركب معهما، فركب وهو لا يدرى سببا لهذه الحفاوة، ولكنه فوجىء بنفسه داخل المعتقل، وظل ثلاثة أشهر دون أن توجه له تهمة أو يحقق معه رجل من رجال للنيابة، وفى صبيحة يوم من الأيام استدعى للركوب مرة أخرى، ولكن إلى المحكمة هذه المرة، وسمع فى المحكمة قرار الاتهام، الذى دبرته له المخابرات العامة، وهو: أن هذا الشيخ اختلس صندوق النذور

التابع للمسجد، وحصل منه على الأف الجنيهات، وبعد جلسة قصيرة، صدر الحكم :كالتالى

1-عزل الرجل من منصبه

2-تجريده من مؤهلاته العلمية3-مصادرة أمواله ومنها أربعة الأف كتاب جمعهم من قوته

4-تعيينه مؤذناً بزاوية مهجورة[1]

فى هذه الحادثة تظهر بوضوح الحالة النفسية لنظام الحكم الوضعى تجاه الدعاة، والتوتر والقسوة الذى يتسم بهما فى تعامله مع الدعاة، ونجد أن هذا الداعية المظلوم قد طرد من عمله وشرد وأهين، وذلك بسبب إضافته إلى النص المكتوب – من قبل المخابرات – حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن يقصد به شيئا ضد نظام الحكم، وإذا كان الداعية سيلتزم نفسه بالموضوعات التى تكتبها له أجهزة المخابرات فى بعض البلاد الإسلامية، فما هو دور الداعية نفسه؟ إنه بهذا يتحول عن قيادة المجتمع ويترك دوره القيادى فيه، ويصبح كالببغاء، وهذه الحالة تقضى على طموح الدعاة فى الاستزادة من العلم، والانكباب على الحث والدرس، ويتسم سلوكهم بالمهانة والمدارة، ويلجأون إلى الأساليب الرمزية فى الخطابة، وهذه الأساليب لا تناسب عملهم ورسالتهم فى أفهام العامة والخاصة شرع الله سبحانه وتعالى، بأسلوب سهل مباشر، ويتأثر أسلوبهم أيضا بالتكرار، لأن من أراد منهم أن يستمر فى عمله، لجأ إلى موضوعات معينة لا يتعداها إلى غيرها، وهذه الموضوعات ليست كثيرة لتستوعب نشاط الداعية العلمى، ومن هنا يتسم سلوك الداعية بالسلبية، والخوف، والتوتر، والاهتمام بالموضوعات الحياتية، الخاصة به وبأسرته.

---

[1] د. مصطفى المطعنى، الفراغ ص 229

ولم يكتف نظام الحكم الوضعى – أيام عبد الناصر – بإرهاب الدعاة، واعتقالهم ووضعهم فى السجون، وشنقهم فى بعض الأحيان، بل حاول هذا النظام الوضعى بمؤسساته الإعلامية، أن يتسلل إلى أورقة الأزهر الشريف، ويستعمل أسلوب الترغيب والترهيب، ليحصل على فتاوى معينة، تضر فيما تضر الشريعة الإسلامية، وإليك هذه الحادثة التى يرويها الشيخ محمد الغزالى:

يقول فضيلته:

(إن هؤلاء الكتاب كشفوا عن أنفسهم، فاستبان مافى قلوبهم من ضغن هائل على الإسلام، وإصرار شديد على التخلص منه، وكانت مسألة "الشيخ بخيت" هى الحدث الأصغر، الذى أسقط النقاب عن وجوه القوم، فإذا النفاق يتحول إلى كفر صريح، لقد ظنوا أن الفرصة سانحة للطعن فى عبادات الإسلام، بعدما فرغوا من الطعن فى أحكامه، فخرجوا باسم حرية الرأى لإهدار شريعة الصوم، وتنادوا من كل ناحية ليشدوا أزر الرجل الذى منحهم حق الإفطار فى رمضان.

ماهذا الحماس كله؟ لقد أعلنوا أن من حق كل مخلوق أن ينقض أركان الإسلام، وأن يجادل فى البديهيات، وأن يخطىء دون حرج، وأن لا يدع مقررا جاء من عند الله إلا ألقى عليه ظلالا من الريبة، كيف شاء، وذهب أحد الكتاب من "دار أخبار اليوم" إلى شيخ الأزهر، ليستوثق من أن "مفتى الفطر" لن يصاب بأذى، لوح مندوب الدار الحرة، بأن خراقة قرارات الحرمان التى عرفتها القرون الوسطى، لا ينبغى أن تحيا فى هذا العصر.

وانطلقت ألسنة المحررين والمحررات، تتناول الشيخ الأكبر -شيخ الأزهر- بالتقريع والتوبيخ، بل إن بعض الفتيات كتبن فى تسفيهه مقالات منكرة.

وفجأة رجع "الشيخ بخيت" عن رأيه، واعتذر بأن أخطاء وقعت فى كلامه جعلته يبدو شاذا مخالفا لما عرف المسلمون من أحكام الإسلام.

وهنا تجن عصابة الكتابة المدافعة عن حرية الرأى، فقد أفلت الصيد الذى تريد إهانة الإسلام به، فيجب أن تستدير "للشيخ بخيت" كى تصفه بالجبن والمهانة وكى تؤنبه على عودته للحق، وهى التى كانت تتحدث من قبل عن حرية الخطأ، ويكتب الصحافى "إلى أمين": يقول: إن الشيخ بخيت وجد نفسه فجأة فوق قمة الجبل، فلما أحس بالبرد خلع جميع رجال الفكر معاطفهم وأحاطوه بها، ولكن الشيخ كان عاريا من الإيمان بفكرته، فارتعش، وارتعد، واختل توازنه، وهوى إلى السفح، ثم يقول: لقد انتحر الشيخ بخيت ولم

يقتل، ورمى نفسه فى بحر النسيان، بعد أن كان واقفا على شاطىء الخلود، فرحمة الله عليه، إن كان الله يرحم الجبناء والمنتحرين)[1]

فى هذه القصة التى رواها الشيخ محمد الغزالى تجد أن الصحافة كمؤسسة علمانية، تتولى محاربة الدعاة، وإحراجهم، بالنيابة عن نظام الحكم الوضعى، لأن آخر أمل فى معارضة ظلم الحكم الوضعى كان معقودا على الدعاة، لأنهم أهل الحق، وأهل الحق لا يوافقون الحاكم على أى نوع من أنواع الظلم، ولذلك سلط عليهم هذا النظام مؤسساته الكثيرة التى ترتبط به رباطا عضويا، ومصيريا

ولذلك يقول الشيخ محمد الغزالى: (وحملة الأقلام يحدون الركب ليذهبوا به بعيدا بعيدا عن الله)[2]

وسوف نسوق الآن قصة تبين من خلال سطورها، كيف تتصدى أجهزة الإعلام فى النظام الوضعى لكل داعية شريف، وصاحب هذه الحادثة هو الشيخ محمد الغزالى الداعية الكبير، وإلى (عهد قريب كانت بعض[3] الصحف تحرص دائما، أن تسخر من رجل الدين المسلم، برسم كاريكاتورى مضحك، وترمز له "بالشيخ متلوف" وكان الشيخ متلوف مثاراً لضحك القارىء، أو إفطارا صباحيا يقدم له مع إشرافه كل صباح

وعن طريق الكاريكاتير سخر كاتب[4] آخر ينتمى لصحيفة أخرى، والمناسبة هى انعقاد المؤتمر التحضيرى للدستور، والسبب كلام مخلص ألقاه فضيلة الشيخ محمد الغزالى فى ذلك المؤتمر، يدعو فيه إلى إلتزام الدستور المزمع وضعه بتوجيهات الإسلام وهنا تحركت بعض الأقلام الصحفية، وقام بعض رسامى الكاريكاتير للرد على الشيخ الغزالى وتسفيه رأيه، والصورة المظلمة التى لا أنساها أن الشيخ صور وهو يرتدى زيه الدينى يركب حمارا جاعلا وجهه إلى الخلف، ممسكا بذيل الحمار وهو يسير فى اتجاه مضاد ويصيح الشيخ فى مجموعة من الأفراد المشردين، الذين التفوا حوله، والمستهدف من هذه النكتة إضحاك الناس أولا، ثم السخرية من الشيخ الداعية ثانيا، ثم الهجوم على الدين بهذا الأسلوب الرمزى ثالثا، فقد فهم من تلك الصورة أن الذى يدعو إلى الاحتكام بالشريعة- الدنيا تسير إلى الأمام، وهو يسير إلى الخلف)[5]

ولقد رأينا فى هذه القصة، كيف تعرض أحد الدعاة للسخرية القاتلة، لمجرد أنه

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: ظلام من الغرب، ص 196، ط دار الاعتصام
[2] الشيخ محمد الغزالى: ظلام من الغرب، ص 196، ط دار الاعتصام

[3] الصحيفة هى أخبار اليوم، قدمت هذا الرسم سنة 1932 والأعوام التالية
[4] الكاتب هو صلاح جاهين فى جريدة الأهرام 1961 م
[5] د. مصطفى المطعنى: الفراغ ص 164، 165

طالب فى مؤتمر عام بأن يلتزم الدستور بتوجيهات الشريعة الإسلامية، وليس الداعية قوة تنفيذية يرغم بها السلطة على قبول مايريد، وكل نداءاته ورجاءاته تقف عند حد الأمل ورجاء الخير، فهل يعاقب الإنسان لمجرد أنه يأمل الخير؟ وهل يحرم الداعية فى الحكم الوضعى من مجرد الأمل؟ لا شك أن شعورا مثل هذا كفيل بأن يدمر نفسية الداعية، ويؤثر على سلوكه.

وكتاب الحكم الوضعى لا يقفون عند مجرد السخرية من الداعية، بل إنهم يفعلون ذلك لتثبيط همته فى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فالحرب فى الحكم الوضعى تكون ناجحة إذا كانت ضد الدعاة، ومصادرهم وسنرى فى الفقرة التالية، كيف تم الهجوم على القرآن الكريم، وهو قمة مصادر الداعية المسلم، وقام الدكتور / طه حسين بالهجوم على كتاب الله مرة أخرى بعد هجومه عليه فى كتابه "الشعر الجاهلى" وهذه الواقعة يرويها الأستاذ/ أنور الجندى فيقول: "وقدم الدكتور/ عبد الحميد سعيد كراسة لأحد طلبة طه حسين أثبت فيها هذا الطالب ماكان يلقيه عليهم، يقول طه حسين، فى محاضرة له فى كلية الآداب بقصر الزعفران (1927: 1928) أى بعد ضجة الشعر الجاهلى[1] يقول: (لاشك أن الباحث الناقد المفكر الحر الذى لا يفرق فى نقده بين القرآن وبين أى كتاب أخر، يلاحظ أن فى القرآن أسلوبين متعارضين، لا يربط الأول بالثانى صلة ولا علاقة، مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة، وتأثير بيئات متباينة، فمثلا: نرى أن القسم المكى فيه يمتاز بكل ميزات الأوساط المنحطة).

ويقول: (وليس القرآن إلا كتابا عاديا ككل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجرى عليه مايجرى عليها، والعلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر نهائيا عن قداسته، التى تتصورونها، وأن تعتبروه كتابا عاديا، تقولوا فيه كلمتكم، ويجب أن يختص كل واحد منكم بنقد شىء من هذا الكتاب، ويبين مايؤخذ عليه).

ويقول: (وهناك موضوع آخر أريد أن أنبهكم إليه، وهو مسألة هذه الحروف الغريبة غير المفهومة، التى تبتدىء بها السور أمثال- الم- الر- طس- كهعيص- حم- عسق... إلخ، هذه كلمات ربما قصدت بها التعمية، أو التهويل،

[1] د. طه حسين: الشعر الجاهلى، وفيه اعتبر قصة إسماعيل أسطورة

أو إظهار القرآن فى مظهر عميق مخيف، أو هى رموز وضعت للتمييز بين المصاحف، التى كانت موضوعة عند العرب) منقول بالنص عن محضر الجلسة 24 لمجلس النواب المصرى بتاريخ 28 / 3 / 1932 م ص 346 وما بعدها)[1]

إلى هذا الحد يصل ضغط الحكم الوضعى على الدعوة الإسلامية، فتتم السخرية من الدعاة، ومن القرآن الكريم، والحقيقة أن تلاميذ الحملة الفرنسية وطه حسين من أعلامهم، والمستغربين عامة، شيوعييت، وصليبيين، قد استطاعوا من قديم دق أسفين بين نظام الحم الوضعى ورجال الدعوة الإسلامية، وذلك ليس حبا فى النظام لذاته، ولا كرها فى الدعاة لأشخاصهم، وإنما تم ذلك لإزاحة الشريعة الإسلامية عن مكان القيادة والريادة للمجتمع المصرى المسلم، ليسهل لهم بعد ذلك قيادة الركب بعيدا عن الله، كما يقول الشيخ محمد الغزالى.

وفى هذه الأيام التى نعيشها، مازال العمل جاريا على قدم وساق للتصدى للشريعة الإسلامية، وسوف نأخذ بعض النماذج المتفرقة، لنكمل بها الصورة- صورة منع تطبيق الشريعة الإسلامية.

دخل أحد أعلام الدعوة الإسلامية فى مصر والأمة الإسلامية، دخل هذا الداعية انتخابات مجلس الشعب المصرى، فى حزب معارض، على أمل أن يتم له ولبعض الدعاة الذين حذوا حذوه ماأرادوا بتطبيق الشريعة الإسلامية، من خلال مجلس الشعب، وهو المؤسسة الديمقراطية لكل الشعب، وقد وعدت الحكومة بأنها ستستجيب لأى طلب يقدم من خلال مجلس الشعب، ولكن هذا الداعية هاله مارأى من كثرة العقبات التى تقف فى وجه تطبيق الشريعة الإسلامية، وعند نهاية دورة عام 1985م كتب هذا العالم الجليل مقالا نشره فى جريدة الوفد، وجعل عنوانه معبرا عن الحالة النفسية، التى لمسها فضيلته داخل المجلس فى مواجهة الشريعة الإسلامية وجاء العنوان كالتالى: "إنهم كرهوا ماأنزل الله"

وهناك نص المقال، يقول فضيلته: (يبدو أن رئيش المجلس أراد أن يجامل وأن يثبت أنه ملكى فكشف نفسه، وأوقع الملك فى حرج شديد، ورئيس المجلس ضد فكرة التصديق على مشروعات قوانين الشريعة الإسلامية، التى انتهى المجلس السابق من إنجازها،

ولأنه لا يستطيع أن يعلن ذلك صراحة، فقد خرج علينا وعلى الناس بفكرة جديدة، هى تنقية القوانين القديمة مما يخالف الشريعة الإسلامية، مع أن شيخ الأزهر منذ حوالى

شهر فقط أخبرنى بأن تم بالفعل هو تنقية القوانين، وأن ما يتردد اليوم عن التنقية ماهو إلا كلام أريد به تضييع الوقت دون مبرر..)

---

[1] الأستاذ أنور الجندى: محاكمة فكر طه حسين ص 154، 155، ط دار الاعتصام

ويقول فضيلته: (وقد خطط رئيس المجلس لهذا الموضوع، وورع الأدوار توزيعا، طن أنه سيؤدى إلى نجاح هذه المسرحية، التى سقطت قبل انتهاء العرض، خاصة بعد أن رأينا أحد نواب الحزب الوطنى، وهو يجمع توقيعات الأعضاء بإغلاق باب المناقشة، وذلك قبل بدء المناقشة بساعتين كاملتين)

ثم يقول: (عزيزى رئيس مجلس الموقر، خبرنى بربك ماذا كان سيحدث لو استمرت المناقشة فى هذا الموضوع الخطير الكبير يومين، أو ثلاثة، أو حتى أسبوعا كاملا؟! إننا نناقش خطايا لرئيس الجمهورية، أو بيانا للحكومة، مايقرب من شهر كامل، مع تأكدنا أن مايقال فى المجلس ماهو إلا كلام فى كلام).

ثم يقول فضيلته: (ومع ذلك يا سيادة رئيس المجلس، تغلق باب المناقشة أمام أكبر موضوعين، ينتظرهما العالم كله، وتتحدث عنهما الصحافة فى الداخل والخارج، منذ مدة طويلة، وتصدم بذلك مشاعر الجماهير المؤمنة، التى كانت تنتظر فى شوق ماستسفر عنه المناقشات من قرارات، وما سيعرضه الأعضاء من آراء، وأساليب لتطبيق الشريعة الإسلامية، تصدمهم يا دكتورنا العزيز، ولا تسمح حتى للمتخصصين الذين عاشوا من أجل هذه القضية، ودخلوا مجلس الشعب من أجلها، وأفنوا حياتهم العلمية والعملية من أجل الدفاع عنها بأن يدلوا بآرائهم، ويعرضوا وجهات نظرهم، وتكشف النية التى دبرت لوقف تطبيق الشريعة الإسلامية فى بلادنا، لقد صدمت مشاعر الناس، وملأت قلوب العشرات من أعضاء المجلس من كل الأحزاب غضبا منك، لأنك أغلقت باب الأمل، الذى كانوا يتوقعونه، كذلك أحرجتهم مع أهاليهم ومواطنيهم)[1].

بهذه الكلمات المخلصة المشبعة بالحزن والأسف، يصور فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الغفار عزيز ما يجرى فى مجلس الشعب المصرى لمواجهة تطبيق الشريعة الإسلامية، وما يوضع فى طريقها من عقبات، وهذا الداعية الكبير لم يدخل مجلس الشعب طمعا فى دنيا يصيبها، لكنه دخل هذا المجلس والأمل يحدوه فى أن يتمكن مع الشرفاء فى هذا المجتمع المصرى المسلم، وها هى النتيجة، يقوم رئيس المجلس بجمع التوقيعات لقفل باب المناقشة، ولا يسمح حتى للدعاة بشرح وجهات نظرهم، وأداء رسالتهم التى دخلوا هذا المجلس من أجلها.

ومنذ ذلك الوقت وإلى الآن والصراع لا ينتهى بين العلمانيين والدعاة وعلماء الدين الإسلامى على صفحات الجرائد، وفى أجهزة الإعلام، وفى كل الأماكن التى تتاح فيها المناقشة.

---

[1] بعض أجزاء من مقال لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الغفار عزيز، نشر بجريدة الوفد بتاريخ 9 / 5 / 1985 م ص 4 بعنوان: "أنهم كرهوا ما أنزل الله"

وهذا نموذج لهذا الصراع، وهو كتاب الدكتور فرج فودة "قبل السقوط"، ومعنى هذا العنوان أى قبل سقوط الأمة المصرية فى قبضة الجماعات الإسلامية، وقبل سقوط الوطن تحت حكم الشريعة الإسلامية، ويحذر الجميع من هذا السقوط

هنا يقوم الشيخ صلاح أبو إسماعيل بالتصدى بالمنافشة الموضوعية للمؤلف وللكاتب، وهذه المناقشة تعطى صورة عما يجرى على الساحة من قبل العلمانيين، يقول الشيخ/ صلاح أبوإسماعيل: (ثم واجهته فى ندوة مفتوحة، فى نادى هيئة التدريس بجامعة القاهرة، وهى ندوة مسجلة، وقلت على مسمع منه، وعلى مدى بضع ساعات، فى تفنيد كتابة "قبل السقوط"، فما استطاع أن يرد، ولا سيما عندما قلت له: إنك تبيح الأعراض للزناة، فهل تبيح عرضك كما أعراض الناس؟ إن قلت: نعم، فقد لطخت عرضك بعار الخروج من كل ملة، والمروق من كل دين، ولم تعد تصلح لحمل أمانة الكلمة، ومخاطبة الرأى العام، وإن قلت: أبيح أعراض الناس دون عرضى، فتلك أنانية تقذف بك بعيدا عن شرف مخاطبة الناس، فلم يستطع ردا، ولم يحرر جوابا) ويقول فضيلته: بعد أن بين فساد آرائه فى كتاب قبل السقوط:

(إنه علمانى مندفع معاند، يصر برغم كل الجهود التى حفلت بالبراهين، يصر على المكابرة، والعناد، وهو يفرق بين الدين والسياسة، وما أنزل الله وحيه على رسوله صلى الله عليه وسلم، إلا ليحكم بما أراده الله، وصريح القرآن ناطق بذلك، حيث يقول الله تعالى:

"إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما"[1]. وإذا ألزم الله رسوله صلى الله عليه وسلم، أن يحكم بين الناس بالشريعة الإسلامية، فهل لمخلوق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يهجر القرآن ويتخذ شريعة الإسلام هزوا، والله تعالى يقول: **"فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما"[2])[3]**.

وبعد مناقشة الشيخ صلاح أبو إسماعيل للدكتور فرج فودة، سوف نلقى نظرة سريعة على بعض الصحف لنرى أى قدر من الحقد يتم صبه فى الصباح كل يوم على الشريعة الإسلامية، واختار العلمانيون طريقا خبيثا لمهاجمة الشريعة الإسلامية، وتخويف الناس منها، وذلك بمهاجمة الجماعات الإسلامية، وسوف أضع الفقرات التالية تباعا، ثم أعلق عليها بعد ذلك، لكى تعطى بتتابعها صورة واضحة بوضع الدعوة الإسلامية الحرج فى

---

[1] النساء: 105.

[2] النساء: 65

[3] مقال الشيخ صلاح أبو إسماعيل، فى جريدة الأحرار بعنوان((إلى أين يا دكتور فرج فودة)) نشر بتاريخ 7 / 7 / 1986، ص 6

الصحف المصرية وفى مواجهة العلمانيين، لأنهم وسائل الإعلام العلمانى، وطبعا كل هذا الهجوم على الشريعة الإسلامية لم يكن ليتم إلا فى ظل نظام الحكم الوضعى، حيث يتاح لكل علمانى أن يقول مايشاء.

ويتحدث الأستاذ فهمى هويدى فيبدأ حديثه بالتفريق بين الجماعات الإسلامية والعلمانيين فيقول:

(الفرق بين الاثنين أن الأولين شباب مندفع، سلك طريقه على سبيل الخطأ، وأن الآخرين شيوخ مجربون، بعضهم محترفون، اتخذوا مواقعهم عمدا مع سبق الإصرار والترصد

وليس فى الأمر مبالغة، فنحن نستطيع أن نرصد فى خلال العامين الأخيرين على سبيل المثال فريقا من هؤلاء، فرغ جهده، ونذر نفسه للنيل من الشريعة الإسلامية، وتحقير التاريخ الإسلامى ورموزه

وهذه المطبوعات والكتب – تمثل هجوما مكثفا على الشريعة الإسلامية، وعلى التيار الإسلامى كله، متذرعة ببعض الممارسات التى صدرت عن عدد من فضائل وأفراد

هذا التيار، والتى هى محل إنكار وإدانة من الإسلاميين أنفسهم)وبعد ذلك ينقل الأستاذ فهمى هويدى فى ذمته، وسعد بن أبى وقاص لم يكن يقيم الصلاة، وعمر بن عبد العزيز جاهل بالإدارة، وابن تيمية "شيخ الإسلام" لا عقلانى وجاهل، وعدو للفكر الناضج، والغزالى "حجة الإسلام" سبب تأخير العالم العربى)

وينقل الأستاذ فهمى هويدى آراء أقطاب العلمانيين، بعد اجتماع عقوده للتصدى للتيار الإسلامى

(د. فرج فوده: أعتقد أن رموز القيادات الإسلامية تبدو لرجل الشارع مقبولة، إذا قدمت له كرموز دينية، أما إذا وقفت أمام رجل الشارع كرموز سياسية فسوف تكون رموزا مرفوضة

ثم استشهد بمقالات- فؤاد زكريا- أنور فرحات- وكتاب له نفسه- ثم قال: إن هذه الكتابات أثارت الارتباك فى صفوف الداعين إلى تطبيق الشريعة الإسلامية لأنها من منطق سياسى، أما عندما ناقشهم "حسين أمين" من منطلق دينى، انبرت له كل المجالات الدينية بالرد، وحتى هذه اللحظة فى النوع الأول من الحوار "السياسى" صمتوا، بينما فى النوع الثانى" الدينى" كانوا فى ملعبهم وعلى أرضهم- د. فؤاد زكريا: من أهم عناصر الحل: إزالة حاجز الخوف، الذى لا يجعلنا نفصح بوضوح، عن مواقفنا بكاملها، تجاه هذا التيار المتطرف

- د. طاهرعبد الحكيم: هذا ما أردت أن أقوله: أن يكون لنا موقف هجومى، أو مشروع هجومى، ومعناه أن يكون لنا المشروع البديل، لمصر الغد، وللمنطقة العربية).[1]

ويقول د. فؤاد زكريا، فى مقال آخر:

(إن أشد ما يثير العجب فى نفسى أن تشتد الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، بعد تجربة السودان الفاشلة مباشرة، فكيف يمكن أن يصل تجاهل دروس التاريخ إلى هذا الحد...، ومن عناصر هذا الحلم أن أحدا لا يكلف نفسه عناء التساؤل عن الجهة التى

سنقوم بهذا التطبيق وتسهر على حمايته، هل هم رجال الدين؟ عندئذ سنخلق كهنوتا جديدا وبابوية جديدة).[2]

هذه الكتب والمقالات، وهذه الجماعة المنظمة، التى تدعى التنظيم العلمانى هى التى أنشأت سحبا كثيفة من الدخان الأسود على المساحة الواقعة بين النظام الحاكم وبين التيار الإسلامى، وهذه الكتابات هى التى جعلت أشد أنواع التعذيب داخل السجون من نصيب كل من ينتمى إلى جماعة إسلامية، وهذا العذاب فى حادثة معينة أحال الجلادين فى هذه الحادثة إلى المحاكمة[3]، وهذا التعذيب الذى يحدث داخل السجون لكل من ينتمى إلى تيار إسلامى، له أثره السيىء جدا فى نفوس الدعاة، وهم ينقسمون حيال هذا الأثر إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هم الذين يظلون على ثباتهم فى دعوتهم، ولكنهم يحملون فى صدورهم قلوبا قد امتلأت بالحزن والأسى، وهذا- من منظور نفسى- يؤثر على دعوتهم، ويطبع سلوكهم بطابع العنف الحزين أو الحزن العنيف، والأول يؤدى إلى توتر المجتمع، والثانى يؤدى إلى توتر الداعية نفسه، وهذا هو الواقع على القسم الأول من الدعاة

القسم الثانى: وهم الذين هزتهم الأحداث بالعنف، وشعروا أن ممارسة الدعوة إلى الله ستجرهم إلى غياهب السجن، فانسحبوا من المجتمع، وآثروا السلامة، ورضوا من الغنيمة بالإياب، وإذا جذبهم الحنين إلى القسم الثانى: وهم الذين هزتهم الأحداث بالعنف، وشعروا أن ممارسة الدعوة إلى الله ستجرهم إلى غياهب السجن، فانسحبوا من المجتمع، وآثروا السلامة، ورضوا من الغنيمة بالإياب، وإذا جذبهم الحنين إلى إثبات وجودهم العلمى من خلال دوافع نفسية تفرض نفسها أحيانا، فإنهم يهتمون بأمور أكاديمية لا شأن لها بواقع الحياة، وهذا ما يفسر ظهور الدجل فى بعض الأوقات حول مسائل غير منتجة،

---

[1] مقال الأستاذ فهمى هويدى، فى جريدة الأهرام بتاريخ 2 / 9 / 1986، ص 7 العدد رقم 36427

[2] مقال الأستاذ الدكتور فؤاد زكريا فى جريدة الأهرام بتاريخ 23 / 9 / 1985 ص 7، 11

[3] "كان الألم الذى عبر نفسى مساويا للفرح الذى أحسسته وأنا أقرأ قرار النائب العام المستشار محمد الجندى بإحالة 41 ضابطا، 4 مساعدى شرطة للمحاكمة أمام محكمة الجنايات، بتهمة تعذيب المتهمين فى قضية الجهاد".مقال **للأستاذ** أحمد بهجت بعنوان صندوق الدنيا فى جريدة الأهرام العدد 36439 بتاريخ 14 / 9 / **1986** م ص2

مثل العبد الصالح الذى علم موسى فى سورة الكهف، ما هو؟ ما اسمه؟! وإقامة الآف الأدلة على مسألة من المسائل يكفيها دليل واحد، وظهور هذه المسائل مرتبط إلى حد بعيد بالضغط على الدعاة فى بعض فترات الحكم الوضعى.

القسم الثالث: وهم الدعاة المخلصون من أبناء الصحوة الإسلامية، ومن العلماء الذين درسوا فى الأزهر الشريف، وأصبحوا يمثلون تاريخه فى الدعوة إلى الله، والذوذ عن حوض الإسلام، وهم حصن الشريعة الإسلامية الصامد، هؤلاء يدعون إلى الله على بصيرة، ويعلنون رأيهم فى كل مكان، لا يحزنهم فزع، ولا يهولهم نصب، موجودون فى كل مكان، من بلاد الإسلام، ومنهم من أساتذة الأزهر من تشرق بهم جنباته، ويعرفهم طلابه، المخلصون منهم أمل الإسلام، ورضى الرحمن على هذه الأمة.

اضطهاد النظام الوضعى للدعاة:

برغم أن الدعاة المتخصصين لا يحبذون تشكيل الجماعات السرية، ويعتبرون العمل السرى لإشاعة الفتنة فتنة، ولكن ما يحدث للإسلاميين داخل السجون يرهبهم، لأنهم يعلمون أن تجار المخدرات والمنحرفين والشواذ، إذا قبض عليهم فى جريمة من الجرائم لا يلقون ما يلقاه الإسلاميون فى السجون، وإذا كان خوف النظام يتركز حول موضوع واحد، هو الخوف من قلب نظام الحكم، فلماذا لا يتم تعذيب كل من يحاول ذلك من كل الطوائف؟! ولماذا يختص الإسلاميون دون غيرهم بأوفر حظ من العذاب؟! طالما أن المسألة هى الحفاظ على نظام الحكم فقط، لقد عانى الدعاة فى كل بلد إسلامى أشد المعاناة من نظام الحكم الوضعى، ولم يقف اضطهاد النظام لهم عندهم، بل تعداهم إلى الدين الإسلامى ذاته، وأصبح الخلط فيه مستهدفا، وهذا الكلام ليس خاصا ببلد معين من بلاد الإسلام، ولكنه فى كل بلد إسلامى يحكم بالنظام الوضعى.

لقد فعل أبناء الإسلام، بالإسلام وعلمائه الأعاجيب، وساموهم سوء عذاب وحققوا للغرب الصليبى ما لم يكن يحلم بتحقيقه طوال ألف وخمسمائة عام، وسوف أنقل هنا تقريرا كاملا، يلقى الضوء على الصراع بين الإسلاميين ونظام الحكم الوضعى، فى مصر أيام حكم الرئيس / عبد الناصر، ثم أعلق عليه بعد الفراغ منه.

نص التقرير:

تقرير اللجنة المؤلفة برياسة السيد "زكريا محيى الدين" رئيس الوزراء فى حينه بشأن القضاء على تفكير الإخوان بناء على أوامر السيد الرئيس بتشكيل لجنة عليا لدراسة واستعراض الوسائل التى استعملت والنتائج التى تم التوصل إليها بخصوص مكافحة جماعة الإخوان المسلمين المنحلة، ولوضع برنامج لأفضل الطرق التى يجب استعمالها فى مكافحة

الإخوان بالمخابرات، والمباحث العامة، لبلوغ هدفين:

أ- غسل مخ الإخوان من أفكارهم

ب- منع عدوى أفكارهم من الانتقال إلى غيرهم

:اجتمعت اللجنة المشكلة من

1- سيادة رئيس مجلس الوزراء

2- السيد/ قائد المخابرات العامة

3- السيد/ قائد المباحث الجنائية العسكرية

4- السيد/ مدير المباحث العامة

5- السيد/ مدير مكتب السيد المشير عبدالحكيم عامر.

وذلك فى مبنى المخابرات العامة بكوبرى القبة، وعقدت عشرة اجتماعات متتالية، وبعد دراسة كل :التقارير والبيانات والإحصائيات السابقة، أمكن تلخيص المعلومات المجتمعة فى الآتى

1-تبين أن تدريس التاريخ الإسلامى فى المدارس للنشء بحالته القديمة يربط السياسة بالدين .فى لاشعور كثير من التلاميذ منذ الصغر، ويتتابع ظهور معتنقى الأفكار الإخوانية

2- صعوبة واستحالة التمييز بين أصحاب الميول والنزاعات الدينية وبين معتنقى الأفكار .الإخوانية، وسهولة وفجائية تجول الفئة الأولى إلى الفئة الثانية بتطرف أكبر

3- غالبية أفراد الإخوان عاش على وهم الطهارة، ولم يمارس الحياة الجماعية الحديثة، ويمكن .اعتبارهم من هذه الناحية "خام"

4- غالبيتهم ذوو طاقة فكرية وقدرة تحمل ومثابرة كبيرة على العمل، وقد أدى ذلك إلى اطراد دائم وملموس فى تفوقهم فى المجالات العلمية والعملية التى يعيشون فيها وفى مستواهم الفكرى والعلمى والاجتماعى بالنسبة لأندادهم، رغم أن جزءا غير بسيط من وقتهم موجه .لنشاطهم الخاص بدعوتهم المشئومة

5-هناك انعاكسات إيجابية سريعة تظهر عند تحرك كل منهم للعمل فى المحيط الذى يقتنع به

6- تداخلهم فى بعض، ودوام اتصالهم الفردى ببعض وتزاورهم والتعارف بين بعضهم البعض يؤدى إلى ثقة كل منهم فى الآخر ثقة كبيرة

7- هناك توافق روحى، وتقارب فكرى وسلوكى يجمع بينهم فى كل مكان حتى ولو لم تكن هناك صلة بينهم

8- رغم كل المحاولات التى بذلت منذ عام 1936 لإفهام العامة والخاصة بأنهم يتسترون وراء الدين لبلوغ أهداف سياسية، إلا أن احتكاكهم الفردى بالشعب يؤدى إلى محو هذه الفكرة عنهم، رغم أنها بقيت بالنسبة لبعض زعمائهم

9- تزعمهم حرب العصابات سنة 1948 والقتال سنة 1951 رسب فى أفكار بعض الناس صورهم كأصحاب بطولات وطنية عملية، وليست دعائية فقط، بالإضافة إلى أن الأطماع الإسرائيلية والاستعمارية والشيوعية فى المنطقة لا تخفى أغراضها فى القضاء عليهم

10- نفورهم من كل من يعادى فكرتهم جعلهم لا يرتبطون بأى سياسة خارجية، سواء كانت عربية أو شيوعية أو استعمارية، وهذا يوحى لمن ينظر فى ماضيهم أنهم ليسوا عملاء

وبناء على ذلك رأت اللجنة أن الأسلوب الجديد فى المكافحة يجب أن يشمل أساسا بندين متداخلين وهما:

أ- محو فكرة ارتباط الدين الإسلامى بالسياسة.

ب- إبادة تدريجبية مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم فعلا من معتنقى الفكرة.

ويمكن تلخيص أسس الأسلوب الواجب استخدامه لبلوغ هذين الهدفين فى الأتى:

أولا: سياسة وقائية عامة:

1- تغيير مناهج تدريس التاريخ الإسلامى والدين فى المدارس، وربطها بالمعتقدات الاشتراكية كأوضاع اجتماعية واقتصادية وليست سياسية، مع إبراز مفاسد الخلافة خاصة زمن العثمانيين، وأن تقدم الغرب السريع إنما كان عقب هزيمة الكنيسة وإقصائها عن السياسة.
2- التحرى الدقيق عن رسائل وكتب ونشرات ومقالات الإخوان المسلمين فى كل مكان ثم مصادرتها وإعدامها.
3- يحرم بتاتا قبول ذوى الإخوان وأقربائهم حت الدرجة الثالثة فى القرابة من الانخراط فى السلك العسكرى أو البوليس أو السياسة مع سرعة عزل الموجودين من هؤلاء الأقرباء من هذه الأماكن أو نقلهم إلى الأماكن الأخرى
فى حالة ثبوت ولائهم

4- مضاعفة الجهود المبذولة فى سياسة العمل الدائم على إفقاد الثقة بينهم وتحطيم وحدتهم بشتى الطرق والوسائل الخاصة، عن طريق إكراه البعض على كتابة تقارير عن

زملائهم بخطهم ثم مواجهة الأخرين بما معها، مع العمل على منع كل من الطرفين من لقاء الآخر أطول فترة ممكنة لتزايد هوة انعدام الثقة بينهم.

5- بعد دراسة عميقة لموضوع المتدينين من غير الإخوان، وهم الذين يمثلون "الاحتياطى" لهم وجد أن هناك حتمية طبيعية عملية لالتقاء الصنفين فى المدى الطويل، ووجد أنه من الأفضل أن يبدأ بتوحيد معاملتهم بمعاملة الإخوان قبل أن يفاجئونا كالعادة باتحادهم معهم علينا.

ومع افتراض احتمال كبير لوجود أبرياء منهم إلا أن التضحية بهم خير من التضحية بالثورة فى يوم ما على أيديهم.

ولصعوبة واستحالة التمييز بين الإخوان والمبتدئين بوجه عام، فلابد من وضع الجميع ضمن فئة واحدة ومراعاة مايلى:

أ- تضييق فرص الظهور والعمل أمام المتدينين عموما فى المجالات العلمية والعملية.

ب-محاسبتهم بشدة وباستمرار على أى لقاء فردى أو زيارة أو اجتماعات تحدث بينهم.

جـ- عزل المتدينين عموما عن أى تنطيم أو اتحاد شعبى أو حكومى أو اجتماعى أو طلابى أو عمالى أو إعلامى.

د- التوقف عن السياسة السابقة أو السماح لأى متدين بالسفر بالخارج للدراسة أو العمل، حيث فشلت هذه السياسة فى تطوير معتقداتهم وسلوكهم، وعدد بسيط جدا منهم هو الذى تجاوب مع الحياة الأوربية فى البلاد التى سافروا إليها. أما غالبيتهم فإن من هبط منهم فى مكان بدأ ينظم فيه الاتصالات والصلوات الجماعية أو المحاضرات لنشر أفكاره.

هـ- التوقف عن سياسة استعمال الشيوعيين فى حربهم للقضاء على الفئتين، حيث ثبت تفوق المتدينين فى هذا المجال، ولذلك يجب أن نعطى الفرص للشيوعيين لحربهم وحرب أفكارهم ومعتقداتهم، مع حرمان المتدينين من الأماكن الإعلامية.

سواء داخل السجون أو المعتقلات أو بالمحاكمات، ثم الإفراج عنهم بحيث يكون الإفراج عنهم على دفعات مع عمل الدعاية اللازمة لكى تنتشر أنباء العفو عنهم ليكون ذلك سلاحا يمكن استعماله ضدهم من جديد فى حالة الرغبة فى إعادة اعتقالهم.

وإذا أحسن تنفيذ هذه المرحلة مع المرحلة السابقة فستكون النتائج كما يلى:

1- يخرج المعفة عنه إلى الحياة، فإن كان طالبا فقد تأخر عن أقرانه، ويمكن أن يفصل من دراسته ويحرم من متابعة تعليمه.
2- إن كان موظفا أو عاملاً فقد تقدم زملاؤه وترقوا وهو قابع مكانه.
3- إن كان تاجرا فقد أفلس تجارته، ويمكن أن يحرم من مزاولة تجارته.

4-إن كان مزارعا فلن يجد أرضا يزرعها، حيث وقعت تحت الحراسة أو صدر قرار استيلاء عليها.

وسوف تشترك الفئات المعفو عنها جميعا فى الأتى:

1- الضعف الجسمانى والصحى والسعى المستمر خلف العلاج والشعور المستمر بالضعف المانع من أية مقاومة.

2- الشعور العميق بالنكبات التى جرتها عليهم دعوة الإخوان وكراهية الفكرة والنقمة عليها.

3- انعدام الثقة كل منهم فى الآخر، وهى نقطة لها أهميتها فى انعزالهم عن المجتمع وانطوائهم على أنفسهم.

4- خروجهم بعائلاتهم من مستوى اجتماعى أعلى إلى مستوى اجتماعى أدنى نتيجة لعوامل الإفقار التى أحاطت بهم.

5- تمرد نسائهم وثورتهم على تقاليدهم، وفى هذا إذلال فكرى و معنوى لكون النساء فى بيوتهن يخالف سلوكهن أفكارهم، ونظرا للضعف الجسمانى والمادى لا يمكنهم الاعتراض.

6- كثرة الديون عليهم نتيجة لتوقف إيراداتهم واستمرار مصروفات عائلاتهم.

النتائج الإيجابية لهذه السياسة هى:

1- الضباط والجنود الذين يقومون بتنفيذ هذه السياسة سواء من الجيش أو البوليس سيعتبرون فئة جديدة ارتبط مصيرها بمصير هذا الحكم القائم، حيث يستشعرون

عقب التنفيذ أنهم (أى الضباط والجنود) فى حاجة إلى نظام الحكم القائم ليحميه من أى عمل انتقامى قد يقوم به الإخوان للثأر.

2- إثارة الرعب فى نفس كل من تسول له نفسه القيام بمعارضة فكرية للحكم القائم.

2- وجود الشعور الدائم بأن المخابرات تشعر بكل صغيرة وكبيرة، وأن المعارضين لن يستتروا، وسيكون مصيرهم أسوأ مصير.

4- محو لفكرة ارتباط السياسة بالدين الإسلامى.

انتهى ويعرض على السيد الرئيس جمال عبد الناصر.

إمضاء
السيد/ رئيس مجلس الوزراء
السيد/ قائد المخابرات
السيد/ قائد المباحث الجنائية العسكرية
السيد/ مدير المباحث العامة
السيد/ شمس بدران

أوافق على اقتراحات اللجنة[1]

جمال عبد الناصر

أى قلوب تلك التى وضعت هذا التقرير؟ وضد من؟ إخوة فى الوطن وفى الدين، وأين كانت هذه العقليات الجبارة فى هزيمة 1967، أيصدق عليهم قول الشاعر العربى: « أسد على وفى الحروب نعامة »، ولكننا لو نحينا الأحزان التى يثيرها مثل هذا التقرير الخطير جانبا، والتفتنا إلى ما فيه لوجدنا أنه حرب على الإسلام والمسلمين دفعة واحدة.

واعتبار أن هذه الإجراءات التى جاءت فى التقرير، مرتبطة بنظام حكم معين هو نظام- جمال عبد الناصر- وضد جماعة معينة هى جماعة الإخوان المسلمين هذا الاعتبار فيه ظلم للحقيقة، لأن هذا التقرير عبارة عن استراتيجية مستمرة ضد الدعاة، ولكنها تخف وتشتد بحسب الأحوال، والفترات التى تتسم بالعدل والحرية والمسامحة، هى فترات قليلة، فى حساب الزمن، وترجع إلى نفسية الحاكم بالذات، وفترات التسامح استثناء، والقاعدة هى استمرار اضطهاد الإسلاميين من قبل الحكم الوضعى فى كل البلاد الإسلامية.

وسأفسح المجال هنا لفضيلة الشيخ صلاح أبو إسماعيل ليصور لنا ما يوجهه الدعاة فى فترة أخرى تلى الفترة السابقة، وفى ظل قيادة أخرى غير القيادة السابقة فيقول: (وأنا رجل يجرى الإسلام فى عروقى، ويخالط لحمى ودمى، ويخالط أنفاسى ومشاعرى، ولست أول الدعاة ولكنى خادمهم، فما السبيل أمام هؤلاء الدعاة؟ فى ظل هذه المعارك التى نحياها الآن، وفى سنة 1982 وضعت المادة 201 فى قانون

[1] الشيخ محمد الغزالى: قذائف الحق ص 70: 75 ط المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

العقوبات، والتى تقول: لا يجوز لأحد من رجال الدين فى داخل دور العبادة، أن يقول ولو على سبيل النصيحة، قولا يعارض قانونا أو قرارآ إداريا ومن يفعل ذلك يغرم 500 جنيه، ويحبس، فإن قاوم فإنه يغرم 1000 جنيه ويسجن، والدعاة الأن لا يستطيعون نقل واقع الحياة إلى المنبر، وقد تحولت المساجد إلى صور ممسوخة، لقد فر الدعاة نتيجة لذلك، فى مصر 60 ألف مسجد لا تجد سوى ألفى خطيب)[1].

إننا إذا تتبعنا ما تنشره الصحف والمجلات يوميا ضد الدعاة، لن تنتهى هذه الرسالة، لأن الهجوم على الدعوة الإسلامية والدعاة، والهجوم المضاد من بعض الدعاة يشغلان مساحة لا بأس بها من صحافة كل يوم، ولكن ما يهم الآن هو لفت النظر إلى ملاحظتين هامتين:

الملاحظة الأولى:

أن نظام الحكم الوضعى- لا أقصد الجهاز الحكومى- هو الذى هيأ لهذه المسألة الهجوم على الدعاة- لأنه فى ظل الحكم بغير الشرعية الإسلامية، تنمو كل النباتات الشيطانية، وتقوى، وتخنق النبات الطيب فى أرضه وفى ظل الحكم الوضعى تكثر المشاكل، وتزداد هموم المسئولين، ويشتد الضنك على الناس، تنفيذا لقانون الله تعالى: **"ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا "**[2]، وهذا الضنك عبارة عن مشاكل وأزمات، والمشاكل تحتاج إلى حلول، والنظام الوضعى لا يؤمن بالشرعية حلا للمشاكل، فتكثر الفلسفات، والأحزاب، وتستعين الدولة بكل القطاعات، حتى الفنانين والفنانات، ترسلهم إلى الخارج ليحيوا الحفلات وذلك لجمع المال للمساعدة فى حل الأزمة الاقتصادية.

ومن هنا يستطيع كل صاحب وجهة نظر أن يعبر عن رأيه، وعن وجهته التى يوليها، إلا الدعاة، لأن وجهة نظرهم معروفا سلفا، ومتروكة عمدا، ووصل الحال كما اتضح من خلال النماذج السابقة فى الصحف أن العلمانيين يعتبرون أن مجرد وجود الحركة الإسلامية نشطة، هو سر جميع الأزمات التى تمر بها الأمة العربية والإسلامية على السواء، وإزاحة الداعية من مكان الريادة – وهو بعيد بحكم الظروف – هى الحل الأمثل

---

[1] الشيخ صلاح أبو إسماعيل، جريدة الأحرار العدد رقم 462 بتاريخ 6 / 10 / 1986 ص 5.

[2] طه: 134

لكل المشاكل، وسوف يقومون هم بإصلاح الحال **"ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا"**[1].

الملاحظة الثانية:

أن أطراف الصراع فى أى مجتمع إسلامى يحكم بالنظام الوضعى هم:

1- النظام الحاكم

2- الدعاة المتخصصون

3- الجماعات الإسلامية

4- العلمانيون- الذين يحملون بالحياة الأوربية، وسبق لكل واحد منهم من الرذائل ما استحال معه- من وجهة نظره- العودة إلى الله، فجحد نظامه، واعتبره خرافة لكى يطمئن نفسه أن كل ما جاء به الدين خرافة ولا حساب، فيتمادى فى الطغيان، ويطغى فى تماديه، وهذا اتجاه نفسى لكل فاسق عن أمر ربه

الصراع:

يبدأ الصراع عادة بين الطرف الأول والثانى، كرد فعل للصراع بين الطرفين الثالث والرابع، وخلاصة ذلك أن الصراع يبدأ بين الجماعات الإسلامية والعلمانية فتتدخل الحكومة القائمة، وتفرض قيودا على نشاط الإسلاميين، فتشمل هذه القيود الدعاة المتخصصين، الذين هم أبعد الناس عن إثارة الفتنة والثورة، والمطلوب الآن لتدارك هذا الموقف المتردى، أن يكون هناك تفاهم بقدر المستطاع، بين النظام الحاكم والدعاة المتخصصين فى كل بلد إسلامى، بما لا يغضب الله سبحانه وتعالى، لأن الخصام القائم بين الدعاة والنظام الحاكم لا يفيد الدعوة الإسلامية فى شىء، ويستغل ضدها فى أغلب

لأحيان، وبهذا التفاهم نفوت الفرصة على العلمانيين الذين يريدون خراب الوطن بحجة الدفاع عنه

آثار الحكم الوضعى على سلوك الدعاة:

1- توجد مجموعة من الدعاة المخلصين علت همتهم، وقويت عزيمتهم، وأغضبهم ما يصدر عن نظام الحكم الوضعى من تصرفات، فأعلنوا رفضهم وغضبهم، وبقيت المسألة سجالا بينهم وبين النظام الحاكم، ولم تستفيد الدعوة الإسلامية شيئا من هذا الصراع، إلا أن هؤلاء ظلوا رموزا طاهرة، وعلامة على التقوى والإخلاص

---

[1] الكهف: 5

2- بعض الدعاة لا يتحملون ضغط الحكم الوضعى، وليست لديهم عزيمة تساعدهم على الصمود، فيسيرون فى ركب النظام، ويعطونه من الفتاوى ما يوطد أركان حكمه، وينشر سلطانه بين الناس، وهو يعطيهم ما يشاءون من المناصب، وبمرور الوقت يصبحون جبهة جديدة فى الحرب ضد الدعاة، ويزينون للحاكم ما يفعل بإخوانهم، لأنهم – لظروفهم النفسية والاجتماعية – يظنون أن ما حصلوا عليه من متاع دليل على رضا الله سبحانه وتعالى عنهم، ومن هذا المنطق يتصرفون

3- ضعف الثقافة الشاملة للدعاة، مع التعمق فى الفرعيات، لأن المجال الخاص بالكلام المسموح به ضيق جداً، لمن أراد أن يعيش بعيداً عن المتاعب، وسيجد نفسه بعد فترة قصيرة لا يعرف من الشريعة الإسلامية إلا معلومات متناثرة عن فرائض الوضوء، والحيض والنفاس، وإذا وقف على المنبر فموضوعاته مطروقة فى معظم الأحيان، وهى تدور عادة حول موضوعات اجتماعية مثل إكرام الضيف والجار، وحقوق الوالدين، وموضوعات كثيرة مكررة

4- لما ظهرت عناصر العلمانية بفسوقها وإباحيتها، ظهرت كرد فعل لها الجماعات الإسلامية، ولعوامل نفسية خاصة بأمراء بعضض هذه الجماعات – حسب الإمارة – قام هؤلاء بحرب شعواء ضد الأزهر الشريف، والذين يتخرجون منه، واعتبروهم موظفين فى الحكومة، وأصبح الدعاة المخلصون من رجال الأزهر الشريف بين فكى كماشة نشاط العلمانيين من جهة والأمراء من جهة أخرى، وتعددت مصادر الدعوة ولم يعد فارسها رجل الأزهر الشريف كما كان من قبل

5- اتسم سلوك بعض الدعاة، بالعزلة والإنطواء، وأصبحوا ينظرون للمجتمع على أنه شر لا خير فيه، وهذه الإحساس أثر على رغبتهم فى الإصلاح وقيادة المجتمع.

الباب الثانى

أثر الظروف النفسية فى سلوك الداعية

ويشمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

.الشخصية السوية والمرضية وأثر كل منهما سلبا وإيجابا

الفصل الثانى:

الفصل الأول

الشخصية السوية والشخصية المرضية وأثرهما سلباً وإيجاباً

لابد من الإشارة – قبل الدخول فى بحث هذا الموضوع – إلى أن القرآن الكريم كان له السبق فى الإشارة إلى كل ما يعترى النفس البشرية من علل وأمراض، وهو يعتبر بحق أعظم المصادر قاطبة، لأنه كلام الله سبحانه وتعالى، الذى خلق النفس وسواها، بقدرته،

وعلمه وحكمته، قال تعالى: **"ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها"[1]**.

وإذا تتبعنا حديث القرآن الكريم عن النفس البشرية، تتبعاً مستقصياً، فإن هذا البحث سيخرج عن هدفه الأصلى، ولكننا سنقف عند آيات معينة يبين الله سبحانه وتعالى فيها دخيلة النفس البشرية، وبوجه خاص النفس المريضة، وأن هذه الدخيلة هى الأساس فى سلوك النفس البشرية، بصرف النظر عن الظاهر، وإن كان هذا الظاهر يحظى بإعجاب أشد الناس شفافية، ونورانية. وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورغم إعجابه بقول بعض الناس، إلا أن الله سبحانه وتعالى يقول له:**"ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد"[2]** ((2)).فهذا إنسان يتكلم كلاما جميلا، ويطلب من الله أن يشهد على صدق كلامه، ومع ذلك فهو عليل النفس، ولو جاءته الفرصة، حاكما، فسوف يتكبر، ويقسو، ويفسد فى الأرض، ويهلك الحرث والنسل، وهذا كله رغم ما يبدو عليه من زهد، وقول حسن.

ويبتقل القرآن إلى النفس السوية، ويجعل الحديث عنها بكلام يحيط بها، ولا تحيط به، ليبين الفرق بين نفس ونفس، مع أن الأصل واحد، يقول الله تعالى:**" ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد"[3]**، صاحب هذه النفس فى خدمة الدين والدغاع عنه، لا يبخل بجهد، ولا مال، ولا نفس فى سبيل الله، لأنه باع نفسه لله وهو يخطىء أحيانا، وإذا وجد من يصحح له خطأة شكره، واحتفى به، وهذا هو صاحب النفس السوية، أما صاحب النفس المريضة، فإنه لا يقدم للإنسانية خيرا، مع تظاهرع بالصلاح والتقوى، وهو كثير الخطأ، لكن الويل لمن يحاول أن يرشده إلى الصواب، أو يقول له اتق الله، وأى إله يتقى؟ وهذه النوعية الغريبة من البشر تبعد ذاتها، وتكرس حياتها من أجل رفعتها، يقول الله تعالى: **"وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد"**.

أمامنا الآن بعد هذا التقسيم للنفس البشرية نفسان: نفس سوية، باعت حياتها وكيانها لله، ونفس مريضة، امتلأت حقدا وكرها للإنسانية، ترى ماذا يكون أثر كل من النفس المريضة والنفس السوية فى سلوك الداعية؟ الإجابة عن هذا السؤال، هى موضوع هذا الفصل بإذن الله.

---

[1] الشمس: 7 – 10
[2] البقرة: 204، 205
[3] البقرة: 207

وسوف يتجه البحث أولا إلى القرآن الكريم، لإلقاء مزيد من الضوء على طبيعة النفس، وماهى النفس السوية والنفس المريضة؟ ويكشف سر النفس البشرية قول الحق سبحانه وتعالى: **"ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها"**[1].

النفس فى القرآن

يقول الشيخ سيد قطب فى تفسير الآيات السابقة:

(ثم تجىء الحقيقة الكبرى عن النفس البشرية فى سياق هذا القسم، مرتبطة بالكون ومشاهده، وظواهره، وهى إحدى الآيات الكبرى، فى هذا الوجود المتناسق المترابط وهذه الآيات الأربع بالإضافة إلى آية سورة البلد السابقة: **"وهديناه النجدين"**[2]. وآية سورة الإنسان: **"إنا هديناه السبيل إما شاكرآ وإما كفورا"**[3] تمثل قاعدة النظرية النفسية للإسلام، وهى مرتبطة ومكملة للآيات التى تشير إلى ازدواج.

طبيعة الإنسان، كقوله تعالى:**" وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرآ من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين"**[4]. ثم إنها مرتبطة ومكملة للآيات التى تقرر التبعية الفردية، كقوله تعالى: **" كل نفس بما كسبت رهينة"**[5]. والآيات التى تقرر أن الله تعالى يرتب تصرفه بالإنسان على واقع هذا الإنسان كقوله تعالى: **"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"**[6]. ومن خلال هذه الآيات وأمثالها، تبرز لنا نظرة الإسلام إلى الإنسان بكل معالمها،... إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه، ونعنى بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه- من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه- مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء، وأن هذه القدرة كامنة فى كيانه، يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة: **"ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها"**، ويعبر عنها بالهداية تارة:**"وهديناه النجدين"**، فهى كامنة فى صميمه فى صورة استعداد، والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية، إنما توقظ هذه الاستعدادات، وتشحذها وتوجهها، هنا و

---

[1] الشمس: 7 – 10
[2] البلد: 10.
[3] الإنسان: 3
[4] صَ: 71، 72
[5] المدثر: 38
[6] الرعد: 11

هناك، ولكنها لا تخلقها خلقاً، لأنها مخلوقة فطرة، وكائنة طبعاً، وكامنة إلهاماً، وهناك إلى جانب هذه الاستعدادت الفطرية الكامنة، قوة واعية مدركة موجهة فى ذات الإنسان، التى تناط بها التبعية، فمن استخدام هذه القوة فى تزكية نفسه، وتطهيرها، وتنمية استعداد الخير فيها، وتغليبه على استعداد الشر فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب، يقول تعالى: **"قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها"** وهناك إذ تبعة مترتبة على منح هذه القوة، الواعية القدرة على الاختبار، والتوجيه، توجيه الاستعدادات الفطرية القابلة للنمو فى حقل الخير، وفى حقل الشر سواء، فهى حرية تقابلها تبعة، وقدرة يقابلها تكليف ومنحة يقابلها واجب، ورحمة الله بالإنسان، أنه لم يدعه إلى استعداد فطرته الإلهامى ولا للقوة الواعية المالكة للتصرف، فأعانه بالرسالات التى تضع له الموازين الثابتة الدقيقة، وتكشف له عن موجات الإيمان، ودلائل الهدى فى نفسه، وفى الآفاق.

هذه النظرة المجملة إلى أقصى حد، تنبثق منها جملة حقائق ذات قيمة فى التوجيه

التربوى، فهى ترتفع بقيمة هذا الكائن الإنسانى، حيث تجعله أهلا لاحتمال تبعة اتجاهه، ومنحه حرية الاختيار، فى إطار المشيئة الإلهية، التى شاءت له هذه الحرية فيما يختار، فالحرية والتبعية يضعان هذا الكائن فى مكان كريم، ويقرران له فى هذا الوجود منزلة عالية تليق بالخليقة التى نفخ الله فيها من روحه وسواها بيده، وفضلها على كثير من العالمين)[1].

لقد قدم الشيخ سيد قطب شرحاً باهراً لهذه الآيات، سهلا واضحا، واستصحب فى تفسير هذه الآيات آيات أخرى من القرآن الكريم، وهذا حقاً أسلوب بديع فى تفسير القرآن الكريم.

رأى العلامة ابن كثير:

يقول ابن كثير فى قوله تعالى: **"ونفس وما سواها"**: أى خلقها سوية مستقيمة على

الفطرة، كما يقول تعالى: **"فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله"**[2]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء"[3]. وفى صحيح مسلم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم".

---

[1] الشيخ / سيد قطب: فى ظلال القرآن ص 3917، 3918، ط دار الشروق، بيروت، لبنان 1976 م

[2] الروم: 30

[3] سبق تخريج هذا الحديث فى الفصل الأول

وقوله تعالى: **"فألهمها فجورها وتقواها"** أى فأرشدها إلى فجورها وتقواها، أى بين لها ذلك، وهداها إلى ما قدر لها، قال ابن عباس: **"فألهمها فجورها وتقواها"**، بين لها الخير والشر، قاله مجاهد، وقتادة، والضحك والثورى)[1]. والعلامة ابن كثير باستثناء الآراء التى جاء بها فى نهاية حديثه لابن عباس، وغيره من العلماء باستثناء هذه الاراء – فهو قد ذهب إلى ما ذهب إليه الشيخ سيد قطب من أن النفس الإنسانية أعطيت فرصة، لاختيار الخير والشر، وذلك من قوله رضى الله عنه: (بين لها ذلك وهداها إلى ما قدر لها.)

رأى الشيخ عبد الكريم الخطيب:

يقول: (قال الله تعالى: **"ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها"** هى

لنفس الإنسانية على إطلاقها، إنها مستعدة للهدى والضلال، فاردة قلاعها إلى جهتى الخير والشر، هكذا صاغها الخالق جل وعلا، من النور والظلام، من نفحات السماء ومن تراب الأرض، **"فألهمها فجورها وتقواها"** أى أتاها الله سبحانه وتعالى، القدرة على الاتجاه نحو اليمين أو الشمال، نحو الخير أو الشر، نحو الإيمان أو الكفر، وهكذا يرى الإنسان القدرة من نفسه على الحركة فى هذين الاتجاهين،**" قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها"**: هو الواقع عليه هذه الأقسام، فهو جوابها، إن السعيد من الناس من زكى نفسه، فطهرها وخلصها من تراب الأرض، وأطلق روحه من أسر المادة، فحلقت به فى عالم الحق والنور، وإن الشقى من دسى نفسه أى أخفاها، وغطى عليها بكثافة المادة وظلامها، وعاش حبيساً داخل هذه القوقعة، التى نسجها حول نفسه فلا يرى ولا يسمع ولا يتحرك)[2]. لاشك أن هناك اتفاقا فى النتيجة، بين الشيخ سيد قطب والشيخ عبد الكريم الخطيب، فى أن الله سبحانه وتعالى قد منح النفس الإنسانية القدرة على الحركة، فى اتجاه الخير أو الشر، والعلامة ابن كثير يقترب منها ولكن فى حذر بالغ، وعذره أنه رحمة الله حين ألف تفسيره كانت أسئلة كثيرة تدور فى جنبات المجتمع، حول القضاء والقدر، وهل الإنسان مُسيَر أم مُخَير، ولذلك حاول رضى الله عنه، أن يتفادى مايثير الخلاف، ومن هنا كان الحذر، ولكن الرأى الذى نتجه إليه هو ماذهب إليه صراحة الشيخ سيد قطب، وتبعه عليه الشيخ عبد الكريم الخطيب، ولولا أن النفس الإنسانية منطلقة بقوة أودعها الله فيها، ما استعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بربه عليها وهو فى صلاته، طالباً منه أن يزكى نفسه، وكانت نفسه صلى الله عليه وسلم زكية، ولكنه كان يعلمنا أن نستعين بالله على نفوسنا، وهذا الحديث يؤكد ما ذهبنا إليه من اختيار الرأى الذى يقول بالصراع داخل النفس، وحرية الاختيار، وازدواج طبيعة النفس

---

[1] ابن كثير جـ 3 ص 434، ط دار الشعب

[2] الشيخ عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآنى جـ 3 ص 1585، 1586، ط. دار الفكر العربى

الإنسانية، وعن تزكية النفس يقول النبى صلى الله عليه وسلم: "اللهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها"[1]، قال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وهو فى الصلاة.

من صفات النفس البشرية فى القرآن الكريم

بعد أن أثبتنا من خلال البحث فى بعض التفاسير، أن هناك اتجاهين للنفس البشرية، اتجاها للخير، وآخر للشر، وأن النفس التى تسير فى اتجاه الخير يطلق عليها النفس السوية، وأن النفس التى تسير فى اتجاه الشر يطلق عليها النفس المريضة، سوف يتجه البحث إلى الحديث عن النفس السوية، والنفس المريضة، كلا على حدة.

أولا: النفس السوية

الحالة النفسية للنفس السوية: الاطمئنان:

تبين من مراجعة الكثير من مراجع علم النفس، التى درست مجموعة من الأمراض التى تلحق بالنفس البشرية، أن هناك شبه إجماع من علماء النفس، على أن النفس السوية هى النفس المطمئنة الواثقة، وأن النفس المريضة هى النفس التى تتميز بالقلق ولا تعرف سبيلا إلى الاطمئنان والراحة النفسية، وحين يتحدث القرآن الكريم عن النفس المطمئنة، التى سترجع بعد رحلة الحياة، واختباراتها إلى ربها راضية مرضية، يلقى ضوءاً باهراً على خبايا النفس الإنسانية، وحديث القرآن الكريم هنا يتفق مع أحسن ما وصل إليه علم النفس فى هذا المجال، وسأبدأ ببحث هذه النقطة على ضوء القرآن الكريم.

الاطمئنان فى القرآن:

يقول الحق سبحانه وتعالى:**"يأيتها النفس المطمئنة. ارجعى إلى ربك راضية مرضية"**[2]

يقول الشيخ سيد قطب فى "الظلال": المطمئنة إلى ربها، المطمئنة إلى طريقها، المطمئنة إلى قدر الله بها، المطمئنة فى السراء والضراء، فى البسط والقبض، فى المنع والعطاء، المطمئنة فلا ترتاب، والمطمئنة فلا تنحرف، والمطمئنة فلا تتلجلج فى الطريق، والمطمئنة فلا ترتاع فى يوم الهول الرهيب)[3].

إن من يمحص هذه الأوصاف التى ذكرها الشيخ سيد قطب، يدرك أن هذه هى

---

[1] الحديث رواه أبو هريرة فى صحيح مسلم جـ 4 ص 2088 كتاب الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل، ط. الحلبى. وفى مسند أحمد جـ 4 ص 371، 6 / 209. وفى سنن النسائى كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من العجز 8 / 228، ط الحلبى

[2] الفجر: 27، 28

[3] الشيخ سيد قطب: فى ظلال القرآن جـ 3 ص 3907، دار الشروق، بيروت، لبنان

بحق أوصاف النفس السوية، وأنَى للمرض النفسى أن يعرف طريقه إلى هذه النفس المطمئنة، الراضية، الواثقة. إن صاحب هذه النفس لايجد ريبة، ولا يقع فى انحراف، ولا يشعر بخوف، وهذه هى أهم عوامل الفلاح للنفس الإنسانية، أما صاحب النفس المريضة فإنه يعيش دوماً فى قلق، وشك، وخوف، والنفس المطمئنة بعيدة جداً عن هذه الصفات والأحوال

رأى الشيخ عبد الكريم الخطيب:

يقول: (والنفس المطمئنة هى النفس المؤمنة، التى لا يستبد بها القلق فى أى حال من أحوالها، فى السراء أو الضراء، إنها فى حال واحدة أبداً من الرضا بما قسم الله لها، فهى فى السراء شاكرة حامدة، وفى الضراء صابرة راضية، فلا الغنى يطغيها ويخرج بها عن طريق الاستقامة، ولا الفقر يسخِطها ويعدل بها عن الاطمئنان إلى قضاء الله فيها وحكمه عليها، إنها نفس مطمئنة ثابتة على حال واحدة فى إيمانها بالله، ورضاها بما قسم لها، وهذا الاطمئنان وذلك الرضا لا يجدهما إلا المؤمنون بالله، المتوكلون عليه، المفوضون أمورهم إليه، فالاطمئنان الذى تصيبه بعض النفوس ويكون صفة غالبة عليها، هو ثمرة الإيمان الوثيق بالله، القائم على أصول ثابتة، من المعرفة بالله سبحانه وتعالى، وما له جل شأنه من سلطان مطلق متمكن قائم على كل ذرة فى هذا الوجود، وأنه لا يقع فى هذا الوجود شىء إلا بتقديره سبحانه وتعالى، وبمقتضى حكمته وعلمه وعدله)[1]

وهذه هى مجموعة أخرى من الصفات التى أضافها هذا العالم الجليل، ليحيط من خلالها إحاطة تكاد تكون شاملة بسمات النفس السوية، من خلال تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم

:ماهية السواء الإنسانى

هل تتشابه النفوس السوية؟ أم ان لكل نفس سمة خاصة؟ وبمعنى آخر هل السواء نمط واحد؟ أم أنه أنماط كثيرة، يقول الأستاذ محمد قطب: (السواء أنماط متعددة، كلها سوَى، ومع ذلك لا يتماثل سَواء وسَواء، ولا شخص سوى وشخص آخر سَوِى، بل يظل كل إنسان سويا عالما وحده، يلتقى بغيره فى العوالم، على سواء وعلى اختلاف فى ذات الوقت فى البنية النفسية، وطريقة التصرف، وطريقة الإِحساس، وربما تكون المسألة

[1] الشيخ عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآنى للقرآن. ص 1562، 1563، ط. دار الفكر العربى

أقرب لو تذكرنا تعدد أنماط الجمال، كلها جميلة ومع ذلك فلكل جمال صورة واحدة لا تختلط بغيرها من صور الجمال)[1]

من هذا الشرح يتضح أن هناك نمطا عاما للسواء، وأن هناك اختلافاً بين الأسوياء، ويؤيد ذلك أن الأنبياء جميعا صلوات الله عليهم أجمعين، كانوا كلهم أسوياء، ومع ذلك فلكل منهم أسلوبه، ومنهجه، ووسيلته فى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وكذلك صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا كلهم أسوياء، وكان لكل منهم طريقته فى هذا السواء، وكذلك التابعون وتابعوهم، والصالحون فى وقتنا الحاضر، ورواد الدعوة الإسلامية المخلصون فى هذه الأيام، فكلهم بحمد الله أسوياء، ولكل منهم طريقته فى الدعوة إلى الله ومنهاجه الخاص.

صفات النفس السوية فى علم النفس

الشخصية السوية:

تتسم الشخصية السوية بالسمات التالية:

1- (**الفاعلية**: يتصف سلوك الشخص السوى بأنه سلوك وسيلى، يتجه نحو الحلول بالاتجاه المباشر نحو مصدر المشكلات والهموم.

2- **الكفاءة**: يستخدم الشخص المتوافق طاقته دون فقد للجهد، فهو واقعى إلى الحد الذى يعرف فيه متى تكون المحاولات بدون جدوى.

3- **التناسب**: يبدى الشخص السوى من الأفكار والمشاعر والأفعال ماهو مناسب، إذ تعكس إدراكاته الواقع، وتقوم أحكامه ونتائجه على معلومات مناسبة. حقاً يعانى الشخص السوى من الخوف، أو الهم، أو الغضب، أو الضيق، إلا أن هذه الوجدانيات تتناسب والظروف التى يواجهها.

4- **المرونة**: الشخص السوى مرن، فإذا ماصادفته الصراعات والإحباطات فإنه يبحث عن طرق جديدة لحل مشكلاته، بدلا من الإصرار على طرق قديمة لحلها – أى جربها قبل ذلك وفشلت

5- **الإفادة من الخبرة**: من السمات المهمة للشخصية السوية

6- **فاعلية التفاعل الاجتماعى**: تتكون الحياة الاجتماعية من علاقات متبادلة، ويساهم

---

[1] محمد قطب: دراسات فى النفس الإنسانية ص 125، ط. دار الشروق، لبنان

الشخص السوى فيها إلى أقصى حد، فهو يتواصل دون مغالاة فى الاعتماد على الآخرين، ودون الانزواء عن الناس

7- **الشعور بالاطمئنان مع النفس**: إن الشخص المتوافق – السوى – لديه الإحساس بتقدير الذات، والقيمة الذاتية، والأمن، ويقوم ذلك على تقديره لنواحى ضعفه، ونواحى قوته، وماهو عليه، وما يستطيع أن يكونه وما هو متوقع)[1]

وبعد أن عرضنا لصفات النفس السوية فى القرآن الكريم، وعند علماء النفس، سنحاول أن ننظر إليها من زاوية تأثيرها على سلوك الداعية، وذلك قبل أن نتعرض للنفس المريضة.

1-الفاعلية:

هذه الصفة فى غاية الأهمية للداعية، لأنه على أساسها يتصرف ونجد أن كل تصرف له ذوى جدوى، لأن الله سبحانه وتعالى مدح الإنسان حين يكون متجها فى تصرفاته إلى غاية عليا، لايثنيه عن عزمه شىء، ولذلك لما قال بعض الناس للمسلمين بعد غزوة أحد: إن قتالا أشد سيقع عليكم فارجعوا عما أنتم فيه من التمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم[2]. كانت إجابة المسلمين هى رفض منطق التراجع عن الحق، وإعلان التمسك به، والعمل من أجله، ولذلك مدحهم الله سبحانه وتعالى لهذا الموقف – الفاعلى – بقوله تعالى: **"الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل"[3]**. وهؤلاء هم الدعاة وسلوكهم هذا يتصف بالفاعلية الإيجابية، ولذلك لم يزدهم هذا التحدى إلا ثباتا وقوة، لأنهم يعرفون هدفهم جيدا، وسلوكهم فاعلى وهو: اتباع رضوان الله، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى عنهم:**"فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم"[4].**

وهذا ما يوضح فشل بعض الدعاة فى هذه الأيام فى دعوتهم، وذلك لأن سلوكهم لا يتسم بالفاعلية، وتحديد الهدف، وبعضهم يحدد لنفسه – بجانب هدفه الأساسى

هدفاً دنيوياً، مثل جمع المال، والحصول على المناصب، أو السير فى ركاب السلطة كأقرب طريق – فى تصورهم – للظهور والانتشار، ومنهم من يعتبر السلطة – لفرط

---

[1] د. سعد جلال: الصحة العقلية ص 93، ط دار الفكر العربى

[2] الموضوع الكامل فى تفسير الجلالين ص 88، المكتبة التجارية الكبرى، وفى الهامش فى كتاب لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى، وجاء هذا فى تفسير الآية رقم: 167 من سورة آل عمران.

[3] آل عمران: 173

[4] آل عمران: 174.

غفلته – ركناً شديداً، فيأوى إليه، مخلفا وراءه دعوة تبتئس لضياع أحد أبنائها، ودينا يكافح بقوته الذاتية كل تيار فاسد فى الحياة. وهذا السلوك غير السوى من بعض الدعاة لا يتسم بالفاعلية ؛ لأنه لا يضمن لهم دنيا، ولا يؤمن لهم آخرة.

إن هدف الدعاة- الذى يتسم بالفاعلية- هو أن يشع نور الإسلام على العالم أجمع، وأن تحكم كل الأرض بشريعة الله الواحد الأحد، هذا هو فهم الفاعلى فى الدنيا، فإن لم يستطيعوا ذلك فليحاول كل داعية فى مجتمعه الذى يعيش فيه أن تكون كلمة الله هى العليا، وأن يجعل نفسه قدوة للناس فى العزة، والعفة والنقاء، وهذه هى أهداف الحياة الدنيا المسموح بها للدعاة، وقبل هذه الأهداف وبعدها يوجد هدف أكبر وأسمى هو هد الأهداف جميعا، وهو رضى الله سبحانه وتعالى، أما بعض الدعاة الذين ينصرفون عن هذه الأهداف ويقبلون على الدنيا إقبالا يجعلهم محل سخرية واستهزاء أهل الدنيا أنفسهم، هؤلاء لا يتسم سلوكهم بالفاعلية من أى زاوية، وهذا ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه بقوله تعالى: **"ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ماكنتم فيه تختلقون"[1]**، وهناك شبه إجماع من المفسرين(2) على أن التى نقضت غزلها امرأة كانت فى مكة، تغزل ثم تفك ماعقدت وهذا السلوك غير فاعلى، وغير هادف، وغير مفيد، وفى الآية أيضا تلميح إلى أن حب الظهور ومحاولة أن تكون أمة أربى من أمة – من خلال الجدل فقط – هو سلوك غير فاعلى، وغنى عن القول أن مثل هذا التنافس يصبح أحيانا هدفاً عند بعض الدعاة، وهذا السلوك – غير الفاعلى – يرجع لعلل اجتماعية ونفسية عند هؤلاء.

2:- الكفاءة

وصاحب النفس السوية من الدعاة، هو الذى يستخدم أقصى حد لمواهبه، وأقصى جهد له، فى سبيل الوصول إلى هدفه، الذى يخدم دعوته إلى الله سبحانه وتعالى،

وليس معنى ذلك أن يبالغ فى قدرته، أو تجعله المصاعب ينكص عن تحقيق هدفه، ولابد للداعية أن يكون مقدراً لكفاءته وإمكانياته، وأن يحاول أن يصل إلى الوضع الذى يسمح له باستغلال هذه الإمكانيات، فى الدعوة إلى الله، ولذلك كان أول شىء يطلبه سيدنا يوسف علسه السلام، بعد خروجه من السجن، أن يعين على خزائن الأرض، وأعلن أن لديه الكفاءة فى الحفظ والعلم، يقول الله تعالى: **"وقال الملك** ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين. قال اجعلنى **على خزائن الأرض إلى حفيظ عليم"[2]**، وليس معنى هذا أن يحاول كل داعية أن يحتل مكاناً يظن أنه من خلاله سيخدم

---

[1] النحل: 92

[2] انظر فى تفسير هذه الآية، حاشية الشهاب على البيضاوى

الدعوة، ويكون هذا الوضع فوق إمكانياته الذاتية، فإنه بذلك سيفيد أكثر مما يصلح، وستفقد الدعوة الداعية فى وضعه الملائم، وينضم إلى ركبها عضو فى وضع غير ملائم، وكل ذلك سيخصم من حساب الدعوة الإسلامية التى تخسر فى كثير من الأحيان بسبب بعض الدعاة، الذين يتمتعون بقدر لا بأس به من الإخلاص، ولا يتمتعون بنفس القدر من الكفاءة.

3- المرونة:

والمرونة فى النفس السوية من أهم سمات نجاح الدعوات عبر التاريخ، ومازالت المرونة إلى الآن من أهم صفات القائد الناجح والسياسى الناجح، غير أن هناك فرقاً بين مرونة السياسى، وهى الانتقال من هدف إلى هدف تحت ضغط(2) الظروف، ومرونة الداعية وهى الانتقال من وسيلة إلى وسيلة مع الإبقاء على الهدف واضحاً فى خلال هذه الحركة، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: **"ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم"**[1]. فالمرونة بما لا يناقض الهدف جزء من الدعوة إلى الله، أما التصلب فيما لا يفيد فإنه عادة من علامات الشخصية المريضة.

4- الإفادة من الخبرة:

من صفات الإنسان السوى الاستفادة من تجارب من سبقوه، ومن أجل ذلك تجمع التجارب الإنسانية- المفيدة- وتوضع فى مناهج وتدرس، ولقد أورد لنا القرآن

الكريم الكثير من القصص، بغرض الإفادة من خبرات الأمم السابقة ومدى استجابتهم أو ابتعادهم عن رسلهم وأنبيائهم، ولم يأت هذا القصص للتسلية كما يذكر كثير من المفسرين، ويتضح هذا من قول الحق سبحانه وتعالى: **"وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين"** [2]فالغرض هو تثبيت الفؤاد ويتم ذلك بنقل خبرات الأمم السابقة، ووسائل الأنبياء والرسل الكرام، فى معالجة أمراض أقوامهم.

وحين يهمل الداعية فى وقتنا الحاضر، الخبرات السابقة فى حركة الصراع بين الحق والباطل، وذلك من خلال استيعاب قصص الأنبياء فى القرآن الكريم وسيرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وسيرة السلف الصالح، وتاريخ الدعوة الإسلامية حتى وقتنا الحاضر، حين يهمل الداعية كل هذا فإنه يجنى بذلك على نفسه، وعلى دعوته، وتحمل ما لا يطيق، إذ يبدأ من فراغ، وفوق ذلك، فإن ترك الإفادة من الخبرة السابقة بصفة

---

[1] يوسف: 54، 55

[2] د. حسن صعب: علم السياسة، ص 124، ط – دار العلم للملايين، بيروت

عامة، يعتبر سلوكا مرضيا، أما الإفادة من الخبرات السابقة، فإنها سمة الداعية الموفق الناجح صاحب النفس السوية.

5- فاعلية التفاعل الاجتماعى:

وفاعلية التفاعل الاجتماعى صفة غاية فى الأهمية للدعاة، لأنها صفة – مجمعة – تجعل الداعية بين قومه محبوباً من شغاف القلوب، لأن الداعية راع لمن يدعوهم، ومن المفيد له ولدعوته أن يتحلى بصفات الداعى من لين، وعطف، وود، وهذا يجعله فى بؤرة الشعور عند من يدعوهم إلى الله تعالى، ولذلك بدأ النبى صلى الله عليه وسلم، حياته راعياً للغنم، يعطف على الواردة ويرحم الشاردة، وكان فى هذا تدريب له على قيادة الناس، ولخص الحق سبحانه وتعالى، بعض صفات التفاعل الاجتماعى بقوله:" **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين"**[1]، وبقوله تعالى: **"لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم"**[2] فترك الفظاظة، أو غلظة القلب، وهما من صفات النفس المريضة، والحرص على فلاح المسلمين لدرجة الحزن لما يصيب المخطىء منهم، كل ذلك يعتبر من التفاعل الاجتماعى بين الداعية وجمهوره من

6- الشعور بالاطمئنان مع النفس:

وهو الحالة الوحيدة التى يستطيع صاحبها أن يسير إلى النهاية فى طريق الدعوة المعبد بالمصاعب التى لا حصر لها، وهى تعطى صاحبها ثباتاً غير عادى أمام المتغيرات الكثيرة، وصاحب النفس المطمئنة عبد لله، يتعامل مع الله سبحانه وتعالى، ويرضى بالسراء والضراء على الدوام، ولا ينبهر بمظاهر الترف التى يعيشها غيره من الناس، يقول الحق سبحانه وتعالى، لرسوله صلى الله عليه وسلم ليعلمنا من خلاله: **"ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى"**[3]

وصاحب النفس المطمئنة يثق فى نفسه، وفى دعوته، وفى ربه سبحانه وتعالى، وبذلك يتحقق نموذج الإيمان فيه، والناس لا يؤمنون بدعوة أى إنسان إلا بقدر إيمانه هو بهذه الدعوة

---

[1] فصلت: 34
[2] هود: 120.
[3] آل عمران: 159

وصاحب النفس المطمئنة لا ييأس أبدا، وإذا لم يوفق فى وسيلة من الوسائل تركها وبدأ بوسيلة أخرى أكثر ملائمة، ولذلك تراه لا ينهزم فى النهاية أبدا، ولا يصيبه الفشل – المرحلى – بأى إحباط على الإطلاق، لأن الإيمان الذى يملأ صدره فيه أمل يتجدد دائما، ويدفع صاحبه إلى الأمام

ثانيا: النفس المريضة

قبل البحث فى طبيعة النفس المريضة، وأشكال وأنواع المرض الذى يعتريها، يكون من المفيد لهذا البحث الإجابة على السؤال التالى:

كيف يطرأ المرض على النفس الإنسانية؟

والإجابة يلخصها القرآن الكريم بأنها تكمن فى الابتعاد عن صراط الله المستقيم واتباع طرق أخرى، أى الإعراض عن ذكر الله، وهذا المنهج من الأسباب القوية للمرض النفسى، يقول الله تعالى:" **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا"**[1]، ومعظم الأمراض النفسية تأتى من هذا الضنك، لأن الضنك هو الإحساس النفسى بكل مصاعب الحياة، الناتجة من الإعراض عن ذكر الله، وهذه الإحساس هو الحالة النفسية الرديئة، وهو المرض النفسى كما سيتضح فيما بعد.

وهناك إجابات كثيرة كلها تصب فى هذا المعنى، ولا تخرج عنه، وبعض العلماء يقسم النفس البشرية إلى سلبية وإيجابية، ويرى أن النفس تمرض إذا اتجهت إلى الجانب السلبى بالكلية، ولكن لماذا تتجه النفس إلى هذا الجانب السلبى؟!، يعللون ذلك بأنه راجع إلى تركيب النفس من روح وطين، فإذا تغلبت قبضة الطين على نور الروح، أصبح الإنسان سلبيا، أى مريضا، ويقول فى هذا المعنى الأستاذ محمد قطب: (والأقرب إلى الظن أن تكون السلبية ناشئة من حقيقة النفس، فقبضة الطين سلبية، تخضع لقوانين المادة، خضوعا كاملا – إلا ما شاء الله – ولا تملك التغيير ولا تفكر فيه، ونفخة الروح إيجابية، فهى نفخة من روح الخالق المبدع المدبر المريد، تحمل إلى الإنسان من مظاهر الإرادة، والإبداع، والإنشاء، والحرية، والاختيار، والتوجه، والفاعلية بقدر ما قسم الله للإنسان)[2]

ويرى الدكتور سيد عبد الحميد مرسى، أن تقسيم النفس الإنسانية يتم من ناحية تقسيم الغرائز والصفات، ولذلك يقول: (وتتضمن الشخصية الإنسانية صفات الحيوان، المتمثلة فى الحاجات البدنية، التى يجب إشباعها من أجل حفظ الذات، وبقاء النوع، كما تتضمن أيضا صفات معنوية سامية، تتمثل فى التشوق الروحى إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى،

---

[1]) التوبة: 128

1 طه: 131

وعبادته وتسبيحه، وقد يحدث بين هذين الجانبين من شخصية الإنسان صراع، فتجذبه أحيانا حاجاته المعنوية، وأشواقه الروحية، ويشعر الإنسان بالصراع فى نفسه بين هذين الجانبين من شخصيته)[1]

ولا شك فى أن الميل إلى ناحية واحدة من نواحى النفس الإنسانية يصيب الإنسان بالمرض النفسى، سواء كان الميل إلى الناحية الروحية أو إلى الناحية الجسدية، لأن الصحة النفسية تتلخص فى حفظ التوازن بين ناحيتى الجسد والورح، (وهناك شخص همه هو جسده وملذاته، وشهواته، لا يكاد يضيق منها، ولا يكاد يضيق منها، ولا يكاد يذكر أن له طاقة روحية مودعة فى كيانه ليحقق بها هدفاً أسمى من نشاط الحيوان، هدفا يتمثل فى الإنتاج المادى والفكرى والورحى جميعا، يتمثل فى إقامة البشرية على أسس نظيفة، وعادلة، وبريئة من الظلم والفساد، فهذا بلا شك شخص منحرف، يعمل بجانب واحد من كيانه ويعطل الجانب الآخر.

وهناك الشخص كل همه نظافة روحه، فيقلل من متاع جسده إلى أقصى حد، بل وينقلب على جسده، يعذبه ويهينه يجيعه ويظمئه ويؤلمه ويؤذيه، ليظفر فى وهمه برفعة الروح، وهذا الشخص منحرف أيضا، يعمل بجانب ويعطل الجانب الآخر.

والشخص الأول انحرف ناحية الحيوان، لا لأنه يستمتع بمتاع الجسد، فهذا نشاط إنسانى أصيل، مطلوب فى حالته السوية، ولكن لأنه جنح جنوحا ثابتا ناحية الحيوان، فثبت على الحالة التى ينبغى – فى الحالة السوية – أن يمر بها مرورا ولا يثبت عليها.

والشخص الثانى انحرف ناحية الملك، لا لأنه يستمتع بمتاع الروح، فهذا نشاط إنسانى أصيل مطلوب فى الحالة السوية، ولكن لأنه جنح جنوحاً ثابتاً ناحية الملك فثبت على حالة كان ينبغى فى الحالة السوية أن يمر بها مرورا ولا يثبت عليها ومن ثم فأى مخالفة للوضع الطبيعى تسبب الانحراف)[2]

وبعد كلمات الأستاذ محمد قطب، التى بين فيها أن الصحة النفسية تكمن فى الاعتدال، فلا إفراط ولا تفريط فى ناحيتى الورح والجسد، سنعرض لرأى آخر، يضيف سببا آخر للأمراض النفسية وهو الابتعاد عن التفاعل مع المجتمع لمجرد أنه ملىء بالخطايا والرذائل، وهذه الدعوة موجودة عند بعض الجماعات الإسلامية الآن، وهى رد فعل لسيادة العلمانية فى المجتمع الإسلامى، يقول صاحب هذا الرأى: (قد تصبح المواقف الاجتماعية مثيرة للقلق عند الفرد، لذا نراه يلجأ إلى الابتعاد عن المجتمع بقدر الإمكان، لكى يخفف من حده القلق، فالمجتمع بالنسبة للشخص المنزوى المنطوى ملىء بالعوامل

---

[1] طه: 124

[2] محمد قطب: دراسات فى النفس الإنسانية، ص 125، ط. دار الشروق

المثيرة للاضطراب والتعاسة ؛ ولذا فإنه يتجنب مصاحبة الناس، ويؤثر الوحدة والاضطراب فى أنشطته المختلفة، ويتجنب المواقف الاجتماعية حتى يتفادى أى احتكاك بالآخرين، والشخص الذى يتخذ هذا الأسلوب هو عادة ذلك الفرد الذى تكرر فشله فى المواقف الاجتماعية، كما أنه لم ينجح فى الأساليب الإيجابية، التى حاول أن يستخدمها ليعيد التوافق بينه وبين المجتمع)[1]

ترى ماذا يحدث لو كان هذا الفرد المنعزل هو أحد الدعاة؟ إن أسلوبه هذا سينعكس على دعوته ومنهجه فى الحياة، ويحسب هذا السلوك المنعزل على الدعوة الإسلامية

على اعتبار أنه عجز منها عن مواكبة الحياة، وليس بالدعوة الإسلامية عجز من أى وجه من الوجوه، ويضيف الأستاذ محمد قطب سبباً آخر ينافى السواء فى شخصية الإنسان، وهذا السبب فى رأيه هو الخوف من غير الله يقول:

(والإنسان الذى يخاف كل شىء لا يقدم على عمل، ولا يتقدم من مكانه خطوة مخافة الأخطار فى الطريق، وبهذا يتعطل قدر كبير من نشاطه، وإنتاجه الذى كان يمكن أن يؤديه فى حالته السوية، فضلا عن القلق الدائم، والاضطراب الذى يصيبه من التوقع الدائم للأخطار وفوق ذلك فهو شخص جبان، حياته كلها خوف ولا إقدام، فهو لا يدفع عن نفسه أذى، ولا يرد ظالما، ولا يسعى للمشاركة فى أمر من الأمور العامة، التى يتعرض لها الإنسان بشىء من المشقة، وبذلك يفقد نفسه، ويفقد مجتمعه، على قدر ما يعمل فى نفسه هذا الانحراف أو ذلك الشذوذ.

الرجاء: وهذا الرجاء حين يزيد عن معدله الطبيعى يصبح خيالا أجوفا وأحلاماً فارغة وهو مرض كذلك، وإن كان مرضا براقا فى ظاهره: كالذى يتورد خداه نتيجة الحمى، لا من السلامة والنشاط.. والمصابون بالتفاؤل الزائد عن الحد ينفقون حياتهم فى أوهامهم، التى لا تعود عليهم بطائل، ويتبدد نشاطهم الحيوى فى غير إنتاج نافع، كإناء البخار المثقوب، يتسرب منه البخار أولا بأول، بدلا من أن يتحول إلى طاقة محركة فى عالم الواقع)[2]

ويستطيع المتتبع لأحوال الدعوة الإسلامية أن يدرك أن العاملين فيها مصابون – قليلا – بحالة من هاتين الحالتين: الخوف والرجاء، وكلاهما مذموم، وسولك الداعية فى الحالتين سيكون مدعاة للسخرية والاستهزاء من بعض قطاعات المجتمع، إذ لابد للداعية أن يتحلى بالخوف والرجاء معا، خوف يدفعه لمزيد من العمل والبعد عن الرذائل،

---

[1] د. سيد عبد الحميد مرسى: الشخصية السوية ص 158، ط. مكتبة وهبة

[2] محمد قطب: دراسات فى النفس الإنسانية، ص 279، 280

والأخلاق غير المرغوب فيها إسلاميا، ورجاء يبسط نفسه ويفرج كربه ويخفف حزنه، وهذا هو السواء للداعية.

والداعية يراقب التيارات الفكرية المنحرفة فى المجتمع، ويتأثر بها سلباً أو إيجاباً ؛ لأنها بمثابة الحشائش الضارة فى حقله، الذى يزرعه بالإيمان، فإذا تركها يأساً من القدرة على اجتثاثها، فهذا هو السلب، وإن هم بعلاج حقله، وتنقية حشائشه تزداد حركته،

وتقوى عزيمته كلما كثرت الحشائش الضارة فى الحقل

وليس من قبيل المجازفة القول بأن المرض النفسى عند بعض الدعاة من أسبابه المهمة هذه التيارات الفكرية المتطرفة، التى يذخر بها المجتمع، وهذه الغربة التى يعيشها الدعاة، والتيارات الفكرية، لها من يساندها بقوة، وفى بعض الأحيان تكون قوة التيارات الفكرية هى قوة النظام الحاكم نفسه، وهنا تقع الكارثة ويمرض الداعية – صاحب العزيمة الضعيفة – أو يكون ذلك سببا لمرضه بعد ذلك.

ويقول أحد العلماء: إن (الحسد، البغض، الخوف، الشك، الاضطراب، القلق، مثل هذه الأمراض قد تكون نتيجة لاختلال التوازن العقلى والخلقى، وهذه الاختلال مرجعه إلى التيارات الفكرية التى يذخر بها المجتمع)[1].

وهناك سبب آخر لخروج النفس الإنسانية عن مسارها الطبيعى، وهو ناتج من التأثر ببعض العادات الاجتماعية، والدخول تحت تأثير العقل الجمعى، (ولقد كان المصريون القدماء يغرقون فى متاع الجسد، فيسكرون، ويرقصون، ويغرقون فى حمأة الجنس، ثم يخرجون إلى المعبد بيكون، وينوحون ويتذكرون الموت، وينقطعون فترة عن الحياة، ومازال أبناؤهم إلى اليوم يقولون: (ساعة لقلبك وساعة لربك)، بمعنى انفصال هذه الساعة عن تلك، ومن ثم تتفكك شخصية الإنسان وتنحل فلا المبادىء ولا العقائد تحكم السلوك، ولا السلوك يرتبط بشىء من المبادىء والمثل، ويبدو الإنسان كأنه شخصيتان منفصلتان، إحداهما حيوان أو قريب من الحيوان، والأخرى زاهد متصوف منصرف عن متاع الأرض).

وبعد أن انتهينا من ذكر بعض أسباب الأمراض النفسية، سوف نلخصها بالحديث عن بعض الأمراض النفسية لتكتمل الفائدة من هذا البحث فى علم النفس.

الأمراض النفسية – النفس المريضة

من المفيد قبل ترتيب بعض الأمراض النفسية، ومناقشة أثرها على سلوك الداعية، أن نجيب على سؤال قد يبدو فى غاية الأهمية، وسنبدأ بالسؤال ونأتى بالإجابة بعده مباشرة

[1] محمد قطب: دراسات فى النفس الإنسانية ص 289

ما علاقة الأمراض النفسية بسلوك الداعية؟

والإجابة على هذا السؤال فى غاية اليسر، إذا علمنا أن الأمراض النفسية تصيب معظم الناس، خاصة أصحاب الفكر، وعلى رأسهم الدعاة، والمرض النفسى يغير سلوك صاحبه، والداعية قدوة، ولابد لكل داعية من دعوة، وإذا تغير سلوك الداعية وخرج عن الخط الطبيعى، فسينعكس هذا على الدعوة نفسها، وهذه هى النقطة التى يهتم بها هذا المبحث، ومن هنا سنعرض لبعض الأمراض النفسية، لنبين الخلل الذى يطرأ على سلوك الداعية، نتيجة المرض النفسى.

1-الاكتئاب النفسى[1]:

قسم الدكتور أحمد عكاشة أعراض مرض الاكتئاب النفسى إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: أعراض سيكولوجية- نفسية -:

أ-الوظائف العقلية: تتأثر هذه الوظائف بالاكتئاب، ويبدو ذلك فى هيئة متميزة من البطء وقلة الانتباه، والسرحان، وعدم القدرة على التركيز، واختفاء سرعة البديهة والاستجابة الانفعالية، بل وتتأثر أحيانا الذاكرة، ويتخلل هذه الأعراض ترده واضح فى اتخاذ القرارات

ب- التفكير: ينتاب التفكير مع الاكتئاب عدة اضطرابات، أهمها الإجهاد الشديد عند التفكير فى أبسط الأشياء، ثم تضخم الأشياء البسيطة، ويسير التفكير على النحو التالى:

1- الإحساس بتأنيب الضمير، والشعور بالذنب، واتهام نفسه بالخطيئة والتلوث الخلقى

2- توهم العلل البدنية وهو أكثر الأعراض شيوعا

3- الشعور بعدم الأهمية، والتقليل والحط من قيمة الذات واحتقار النفس.

4- يغلب على مرضى الاكتئاب الضلالات والهذاءات العديمة، وتعنى الإحساس بفقد أو غياب أحد أعضاء الجسم

جـ- اختلال الآنية والعالم الخارجى: ويشعر المريض أنه قد تغير وفقد الإحساس بالمباهج السابقة، وأنه لا يشعر بالألم، أو السعادة، ويبدأ بالنظر فى المرآة مشدوها لما أصابه من تغيي.

د- الهلاوس والخداعات: وتظهر أحيانا مع مرض الاكتئاب بعض الهلاوس السمعية أو البصرية، وعادة يتوافق محتواها مع باقى التفكير السوداوى، فنجد أن الأصوات تتهم المريض بأنه لا يستحق الحياة، وأن الموت ينتظره، وأنه محتقر، وأنه فاشل، وكذلك يرى هلاوس بصرية فى هيئة أشباح مفزعة.

---

[1] محمد قطب: دراسات فى النفس الإنسانية، ص 282، 283

المجموعة الثانية: أعراض فسيولوجية- أى جسمانية-[1]:

أ-اضطراب النوم: وهو أكثر الأعراض شيوعاً، ويعانى فيه المريض من الأرق الشديد، الذى يجعل حياته سلسلة من المعاناة، أضف إليها الأحلام المفزعة، والكوابيس الثقيلة

ب-فقد الشهية: وهى أحد أعراض الكسل العام الذى يشمل جميع الجسد بما فى ذلك الجهاز الهضمى.

جـ- الإمساك: يظل المريض شهوراً وهو يعالج الإمساك على اعتبار أنه مرض ولكن دون جدوى، مع أن الإمساك من أعراض مرض الاكتئاب، ويجب علاج الاكتئاب أولا، وبعد ذلك يزول الإمساك.

د-الضعف الجنسى: الضعف الجنسى عند الرجال واضطرابات الطمث عند النساء.

المجموعة الثالثة: أعراض سيكولوجية[2]:

أ- تبدو على وجه المريض سحنة الحزن، والكآبة، فتظهر عيناه متعبة مرهقة وجفونه العليا مسدولة، والسفلى مجعدة مورمة، وتتقوس حواجبه فوق العيون الحزينة.

ب- السلوك الخارجى: تقل قدرة المريض على العمل بل ويرفض أحيانا الذهاب إليه، وإن كانت امرأة تصبح غير قادرة على الأعباء المنزلية، والقيام بخدمة أولادها، ثم ينعزل المريض عن المجتمع، ويرفض مقابلة أصدقائه، ويداوم على الشكوى بأن الحياة مملة، ولا يوجد ما يستحق المعاناة.

جـ- النشاط الحركى: يتميز مرض الاكتئاب بالهبوط الحركى والكسل العام، والخمول الذهنى والجسدى، والذى يصل أحيانا إلى حد عدم الحركة، والكسل العام.

د- الانتحار: يعتبر الانتحار كنتيجة للاكتئاب من أكثر الأعراض خطورة، نظرا لما يحتويه من إنهاء الفرد لذاته.

وبعد أن قدمنا أعراض مرض الاكتئاب النفسى، يتبادر إلى الذهن سؤال:

ماذا لو كان هذا المريض هو أحد رجال الدعوة الإسلامية؟

والإجابة: إنه فى هذه الحالة ستخسر الدعوة الإسلامية كثيراً، لأن هذا الداعية المريض سوف يتصرف فى شئون الدعوة، وفى شئونه الخاصة وهو مغلوب على أمره وواقع

---

[1] د. أحمد عكاشة: الطب النفسى المعاصر، ص 222، 223، ط مكتبة الأنجلو المصرية

[2] د. أحمد عكاشة: الطب النفسى المعاصر، ص 224، 225

تحت وطأة هذا المرض- الاكتئاب- الذى يغير من نظرة صاحبه لنفسه وللناس، والخطير فى هذا الأمر أن هذا المرض سوف لا يقف عند حد صاحبه فقط، بل سيتعداه ليشمل مفاهيم الدعوة الإسلامية، فيشوه جمالها ورونقها، لأن هذا الداعية سيطبع دعوته بما يعتمل فى نفسه من أفكار سوداء، وإذا كانت علاقة العبد بربه سبحانه وتعالى يجب أن تقوم على عنصرى الخوف والرجاء، فإن مريض الاكتئاب لا يرى إلا الخوف فقط، فيصبح موضوع اهتمامه ومواعظه وسلوكه، وعند ذلك سينظر الناس إليه لا على أنه مريض فيثير شفقهم ويسألون الله له الشفاء، ولكنهم سينظرون إليه على أنه داعية يعبر بسلوكه عن الدين الذى يدعو له، وأن تصرفاته المريضة إما أن تكون من وحى دينه، أو من عدم إيمانه بدينه، أو فى أفضل الظروف ينظرون إليه على أنه غير ملتزم بهذا الدين الذى يدعو إليه، وأيا كانت الظروف فإنه يتحتم على كل داعية يصاب بمرض نفسى أن يبتعد عن الاحتكاك المباشر بالجماهير، حتى يكتب له الله سبحانه وتعالى الشفاء.

ومن الواجب التنويه بأن الدعاة هم أقل الناس عرضة للأمراض النفسية، غير أن المرض النفسى يأتى أحيانا كنتيجة لعوامل عضوية، وفى هذه الحالة يستوى الداعية وغيره من الناس فى قابليتهم لهذا المرض، والمهم أن هذا المرض سيغير من سلوك الداعية، وهذا التغيير سيحسب على الدعوة الإسلامية، لأن الجماهير فى الغالب تأخذ بالظاهر، ولا تحاول أن تصل إلى الحقيقة، ومتى حاولت الجماهير أن تصل إلى الحقيقة؟ إنهم اتبعوا فرعون – استخفهم فأطاعوه – مع سطوع أدلة نبى الله موسى عليه السلام أنه على الحق وفرعون من أهل الباطل، وهذه سيكولوجية – نفسية – الجماهير فى كل زمان ومكان.

2:-النكوص

(والنكوص هو ذلك التقهقر الذى يصيب الفرد فى حال الإحباط والفشل،

ويعيده إلى مرحلة النمو الأول، التى كان يشعر فيها بالطمأنينة على الرغم من أنه قد يكون تعدى هذه المرحلة، كما يعرف بأنه ليس العودة إلى مرحلة من المراحل الأولى، التى شعر فيها الفرد بالأمان، ولكن على أنه العودة إلى حالة من حالات السلوك البدائى، كاضطرار الرجل المتعلم المهذب إلى استعمال قبضته وقوته البدنية، فى عراك جسمانى إذا أصيب بالإحباط)[1]

[1] د. سعد جلال: الصحة العقلية، ص 102 ط. دار الفكر العربى

ومرض النكوص يعيد الرجل الوقور المثقف إلى حالة من الحالات البدائية، وهذه لو حدث من بعض الدعاة لكان كارثة، نعم سوف يتعلل هذا الداعية المريض بأن ما صدر عنه من تصرفات بدائية مان غضبة الله سبحانه وتعالى، أو يلقى عبء ما حدث على الإلهام أو الإحساس، إلى آخر هذه التعميمات المعروفة، والتى لا تغنى عن صاحبها شيئا فى الدنيا والآخرة. وهذا الداعية يحتاج إلى من يوقظه، ويفهمه أن الدين الإسلامى كله ليس فيه دليل واحد على هذا السلوك الغريب، ويبين له أنه مريض بمرض نفسى معروف، فليعالج نفسه وكفى الدعوة الإسلامية هموماً ناءت بحملها، وليعلم أن تصرف الدعاة بأسلوب ذكى، لبق، مهذب، واع، هو أكبر دعاية للدعوة الإسلامية فى الداخل والخارج، لأن كل خير فى القول والفعل هو من صميم الإسلام، يقول الله تعالى: **"فما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين"**[1]

3-الحصار:

(ومن الناس من تستبد بهم أفكار وخواطر تلازمهم كالظل لا يستطيعون منها فكاكا، مهما بذلوا من جهد، ومهما حاولوا إقناع أنفسهم بالعقل والمنطق وهؤلاء المحصورون يبذلون ما لديهم من قوة فى التغلب على ما يضيق عليهم به الحصار ولكنهم لا يملكون من أمرهم رشدا. وهناك نوع من الحصار الفكرى كأن تسيطر على عقل الإنسان مشكلة فلسفية، أو دينية تأخذ عليه كل تفكيره فإذا به يظل يسأل نفسه لم خلق؟ ولماذا يعيش؟ وما هو مصيره بعد هذه الحياة؟)[2].

ولعل الحصار النفسى وتسلط الأفكار الفلسفية والدينية، يكون أكثر ما يكون بين بعض الجماعات التى تمارس الدعوة الإسلامية من غير علم ولا خبرة، وأكثر أمراء الجماعات المتوترين للنهاية، لا يفسر سلوكهم هذا ونظرتهم العدائية للمجتمع إلا أن يكونوا مرض بالحصار النفسى، وهذا يرجع إلى ظرف اجتماعى أو نفسى ألم بهم فى فترة طفولتهم، أما الدعاة، من رجال الأزهر الشريف وغيرهم من المخلصين فنادراً ما يصاب أحدهم بهذا المرض وذلك لأنهم يأخذون الإسلام من منابعه الأصلية، ويقتدون فى دعوتهم بالنبى صلى الله عليه وسلم، وليس لهم مطمع فى إمارة، أو خلافة، أو سيادة على عباد الله سبحانه وتعالى.

4-التعويض:

---

[1] آل عمران: 159

[2] د. أحمد عزت راجح: الأمراض النفسية ص 121، ط. دار الشروق

(والتعويض عملية سيكولوجية- نفسية- أو حيلة دفاعية يلجأ إليها المرء بقصد التغلب على الشعور الذى يخامره بالضعف، أوالدونية، أو عدم المقدرة، بحيث يعمد إلى إحراز التفوق فى ميدان آخر، أو اتباع نمط ثان من السلوك، فالتعويض هو إخفاء الصفة غير المستحبة تحت أستار صفة مستحبة والإفراط فى تضخيمها، ويقول "فرويد": إن هدف التعويض هو إخفاء النزعات غير المستحبة، وترسيبها فى العقل الباطن. بينما يرى فيها "آدلر": عملية قائمة على الشعور بالضعة، وتستهدف إحراز التفوق)[1]

وصفة التعويض السابقة لا بأس بها بالنسبة للداعية، لأنه يترتب عليها إخفاء القبيح من الأفعال، وإظهار الحسن، وذلك بشرط أن يأخذ هذا الاتجاه صفة الاستمرارية، لكن المشكلة تكمن فى ظهور الصفة القبيحة بعد استتارها زمنا طويلا وبعد ظهور صاحبها بالمظهر اللائق، لأن الجماهير عند ذلك لن تغفر للداعية عودته – لا شعوريا – للصفات الأولى، وسوف تصاب جماهير هذا الداعية بالإحباط ؛ لأنها علقت آمالا كثيرة هذا الداعية، واعتبرته مثالا يحتذى به، وفوجئت به يأتى بأفعال كان ينكرها قبل ذلك، .والمحير أن شك الجماهير فى الداعية ينسحب على الدعوة الإسلامية فى نهاية المطاف

:5-الإسقاط

(إن آلية الإسقاط هى التعامى عن عيوب الذات، ونقائصها ونسبتها إلى الغير، أى بعملية الإسقاط يدفع المرء عن نفسه عبء الشعور بالذنب ويلقيه على الآخرين، حيث

يتجاهل الفرد دوافعه البغيضة التى يمقتها العقل المثالى، وينفر منها الضمير، وبدلا من أن يتنبه لوجودها فى ذاته ويعمل لتهذيبها، فإنه يخادع نفسه عما به من عيوب وآثام .ويتهم غيره بها)[2]

ولو حدثت هذه الحالة المرضية لأحد الدعاة، فستكون هى الطامة التى تعصف بالأخلاق الحميدة للداعية تجاه إخوانه من الدعاة، وأحيانا ينتابك شعور قوى من أن مهمة بعض الدعاة هى الدعوة لله بين صفوف الدعاة أنفسهم، وتراهم يسبون فلانا ويلعنون فلانا من الدعاة، وحجتهم الظاهرة أنهم يفعلون ذلك لوجه الله تعالى، ولخدمة الدعوة افلإسلامية، وهم بذلك يقعون فى محظورين:

الأول: أنهم يتركون العنان لعيوبهم، بتغافلهم عنها، ومراقبة عيوب الآخرين، وهذه عادة نفسية لذيذة لمن أصيب بمرض الإسقاط النفسى.

---

[1] سعد رزق: موسوعة علم النفس، ص 80، ط. المؤسسة العربية بيروت، لبنان

[2] د. فيصل عباس: الشخصية فى ضوء التحليل النفسى، ص 97، ط. دار السيرة، بيروت، لبنان

الثانى: أن مشاهدة بعض الدعاة كالسمك يأكل بعضه بعضا، أمر غاية فى الخطورة على نفسية الجماهير المسلمة، فكيف تقتدى – الجماهير – بدعاة لا يحترم بعضهم بعضا ولا يثق بعضهم فى بعض، والأكثر من ذلك حينما يجلس أحد الدعاة فى لقاء عام مع الجماهير، وتتحرك فى أحشائه عقدته النفسية – الإسقاط – فيترك الموضوع الذى جاء من أجله، وينطلق لا يلوى على شىء فى سبب إخوانه من الدعاة، بحجة أنهم لم يصلوا فى مراتب العلم إلى ما وصل إليه هذا البطل المغوار، وهو فى غمرة هذه الحالة النفسية ينسى المعلوم من السنة الشريفة، ومن سيرة الصحابة الكرام فى مثل هذه المواقف، بل ينسى قول الحق سبحانه وتعالى: **"ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه"[1]**. وإذا كان هذا النهى الموجود فى الآية الكريمة يعتبر نهيا عاما، فهو ملزم للدعاة من باب أولى، والمطلوب من كل داعية أن يتنزه عن هذه الصغائر، حفاظا على نفسية الجماهير، التى أصبحت تتلصص بحثا عن أى هنة للدعاة، وحفاظا على النفسية وسلوك الأجيال القادمة من الدعاة، لأنهم فى غياب المثل الأعلى من الدعاة، سيتخبطون فى ليل بهيم، والحل لهذه المشكلة الخطيرة هو أن يتجه الدعاة إلى دراسة كل ما يتعلق بالنفس البشرية، فى القرآن الكريم، والسنة الشريفة، وعلم النفس، واستخراج المفاهيم النفسية من القرآن الكريم، وسنضرب لذلك مثلا يوضح كيفية.

:استخراج المفهوم النفسى من القرن الكريم

يقول الحق سبحانه وتعالى: **"وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون"[2]**. فهذه الاية تكشف عن أسرار عقدة نفسية تسمى فى علم النفس: التبرير، وهى أن يبرر الإنسان عمله السيىء بأنه يعمل الخير، ولا يشعر أنه يخدع نفسه، ولذلك قال الله تعالى: **"ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون"**، هذا هو المرض النفسى موضحا كأحسن ما يكون التوضيح، وهذه الآية وأمثالها وإن كان لها سبب نزول خاص، إلا أن معناها عام، والاستفادة منها عامة، وهى تخص إى إنسان مصاب بهذه العقدة – التبرير -، وما أكثر الذين يعتقدون أنهم من أهل الصلاح والتقى وهم المفسدون ولكن لا يشعرون، ويجب على كل داعية أن يجعل من نفسه حكماً على علمه وعمله، ويصدر حكمه عليهم بالصلاح، بل يجب أن يكون لأعمال الدعاة ميزان، والميزان هو القرآن: **"فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره"[3]**. وأسلوب التبرير وإن كان يخدع صاحبه فى الدنيا، ويزين له عمله، وسلوكه، إلا أنه لا يجلب نجاحا فى الدنيا ولا نجاة فى الآخرة، وقراءة القرآن الكريم بمفهوم نفسى لا يؤثر على عطائه فى باقى المجالات، لأن معين القرآن الكريم لا

---

[1] الحجرات: 12
[2] البقرة: 11، 12
[3] الزلزلة: 7، 8

ينضب، يقول الله تعالى: **"قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا"**[1]

6- تعدد الشخصية:

(إن أكثر أنواع التفكك الهستيرى تطرفا، هو تعدد الشخصية، وهى حالة نادرة، فتظهر لدى الشخص شخصيتان أو أكثر، وتكون عادة مختلفة ومتمايزة بعضها عن الأخرى، فقد تكون إحداهما فاضلة، والأخرى ماجنة وقد تكون إحداهما جادة والأخرى هازلة وهكذا، وتبدو كل منها عادية فى حد ذاتها، وينتقل المريض من شخصية إلى أخرى دون وعى، ولا يتذكر – المريض – فى إحداهما ما يحدث فى الأخرى، وقد يحدث الانتقال من شخصية إلى أخرى فى فترات قد تتراوح بين عدة ساعات وعدة سنوات)[2]

تصور أن أحد الدعاة كان له شخصيتان، وتصرف بالشخصية السيئة منهما ولو لعدة دقائق، أليس فى هذا تخريبا لدعوته، إن الناس سلموا قيادتهم للنبى صلى الله عليه وسلم، لأنهم لم يشاهدوا فى سلوكه عيبا واحدا طوال حياته وكذلك الصحابة الكرام من بعده، ولذلك نشطت الدعوة الإسلامية فى أيامهم وانساحت فى أرض الله بسرعة كبيرة، أما انحسار نشاط الدعوة الإسلامية أو تمهله، فله أسباب كثيرة، تحدث هذا البحث عن جملة منها، وهناك أسباب أخرى، فى أبحاث أخرى، يبد أنه يوجد سبب مهم خاص بمرض الداعية مرضا نفسيا جعله يتصرف فى بعض الأحيان تصرفات تذهب وقاره واحترامه بين الناس. إن هيئة الداعية ووقاره سلاح قوى فى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ويجب عدم التضحية بهذا السلاح، مهما ظهر من بريق للأسلحة الأخرى كالعلم والمنصب والمال..... إلخ.

7- الوسواس القهرى:

(ويطلق على الشخصية بعد المرض اسم الشخصية الوسواسية القهرية، ومن أهم سماتها الجمود، والتطرف، والعناد، والتسلط، والبخل، والتردد، والشك، والتدقيق، والحذر، والحذلقة، والاهتمام بالتفاصيل، وصعوبة التوافق، والتباعد، والتمركز المتطرف حول الذات، وتتسم فى نفس الوقت بالحساسية، ويقظة الضمير، والفضيلة والتمسك بالكمال، والأخلاق، وحب النظام، والطاعة، والهدوء، ودقة المواعيد، والتمسك بالحقوق والواجبات)[3].

والصفات الأخيرة لهذه الشخصية صفات طيبة لا شك، ولكنها تخفى خلفها نفسا مريضة، ولذلك كان ظبط سلوك النفس البشرية غاية من الغايات السامية لكل الرسالات السماوية، وأصبح هدف علم النفس الحديث الإسلامى منه وغير الإسلامى، وفهم النفس البشرية هو الأساس الأول فى علاجها، (والطريق الصحيح لعلاج النفس الإنسانية هو مصارحتها

---

[1] الكهف: 109

[2] د. مختار حمزة: سيكولوجية ذوى العاهات والمرضى ص 289، ط. المجمع العملى، جدة

[3] د. عبد الرحمن محمد عيسوى: علم النفس والإنسان، ص 68، ط. دار المعارف

بحقيقتها، وكشف ظنونها، وأوهامها وتبصيرها بما يجب أن تسلكه، فهناك أفعال وتصرفات خاطئة، عليها أن تتجنبها وتعترض عليها، وأن تدفعها بعيداً عنها، فتتوقف عن اتباع كل ما يخالف القيم الأخلاقية، والمثل العليا، التى أمرت باتباعها، والتى أراد الله للنفس أن تتحلى بها سلوكا وأخلاقا وغاية)(2.

---

(1)د. مختار حمزة: سيكولوجية ذوى العاهات والمرضى، ص 290، ط. المجمع العلمى، جدة.

(2)د. سيد عبد الحميد مرسى: النفس البشرية، ص 112، ط. مكتبة وهبة.

إن معظم المشكلات النفسية يرجع إلى فترة الطفولة البعيدة، وعلى الدعاة أن يدركوا ذلك، وأن يبصروا المسلمين بهذه المعانى، وهى بفضل الله موجودة فى ديننا، فى القرآن الكريم، والسنة الشريفة، والمسلمون فى أمس الحاجة اليوم إلى جيل متكامل من الدعاة، جيل خال من العقد، لأن الداعية يعالج نفوس الآخرين، لأنه يدعو إلى دين يفعل ذلك، فكيف يعالج الناس ونفسه معتلة وفى أشد الحاجة إلى علاج؟ وعلى سبيل المثال نجد أن مرض الإسقاط النفسى من أهم أعراضه إسقاط العيوب على الآخرين ونقدهم، هذا المرض يتكون مع التربية المبكرة للطفل، (إن ميل الآباء إلى عقاب الطفل، ولومه عل كل كبيرة وصغيرة، يخلق عند الطفل ضميرا حيا متزمتا، وخازا صارما، بحيث يوجه الطفل العقاب واللوم إلى نفسه على كل عمل يؤديه، وكذلك نجد الطفل وقد شب شخصيته هيابة، غير واثق من نفسه، قليل القدرة على المبادأة أو الإقدام، يرى دائما فى سلوكه وفى سلوك الآخرين الخطأ والعيوب، كما يميل الطفل إلى حب النقد وتوجيه اللوم للآخرين)[1].

إن المرض النفسى يقف حائلا بين الداعية وجمهوره، ويجعله غير قادر على أداء رسالته على الوجه الأكمل، لأنه لا يستطيع أن يضبط انفعالاته ويبدو ضعيفا أمام الناس، وبذلك يفقد الطريق إلى قلوبهم، والسلامة النفسية تعتبر من أكبر العوامل فى نجاح الداعية فى دعوته.

إن (الانفعال الهادىء المعتدل يساعد على تأدية الوظائف العقلية بنظام وتنسيق، إنه يمهد لتغلب العقل والروية على النزوات والاندفاعات والتهور أى يساعد على ضبط النفس، وكبح جماحها، والحد من شططها، وهكذا يكون الشخص أكثر اتزانا فى تفكيره وتصرفاته، وأقل تحيزا فى أحكامه، ومن الطبيعى فإن شخصاً يمتلك هذه الصفات يكون مقبولا من الجماعة، وأكثر نجاحا فى التأثير فى الآخرين، وإقامة علاقات موفقة، كما أن

---

[1] د. محمد مصطفى زيدان: الدوافع والانفعالات، ص 96، ط. عكاظ، السعودية.

الانفعال الهادىء يزيد الخيال خصوبة، وينشط الفكر، ويزيد الميل إلى مواصلة العمل، ويساعد على حصر الانتباه، ودقة الإدراك)[1]

من هذه الكلمات يتضح أن النفس السوية صاحبة الانفعال الهادىء، هى الجديرة بقيادة المجتمع، لأن الانفعال الهادىء يهيىء لها القبول عند الناس، ولكى تتضح أهمية الانفعال الهادىء بالنسبة للداعية فى توافقه مع المجتمع، لابد من إلقاء الضوء على الانفعال

الهائج، لكشف مدى تأثيره على سلوك الداعية، وما هى الأسباب التى تؤدى إليه، وهل هو سلوك معطل أو منتج؟ وهل الداعية الهائج الانفعال له دور فى الدعوة إلى الله أم تركه لهذا المجال فيه خير له ولدعوته أيضا؟

يقول الدكتور محمد مصطفى زيدان: (إن الانفعال الهائج علامة الفشل أو الخيبة فى إيجاد حل سريع، وإخفاق فى الكيف أو التوافق، والانفعال الثائر لا يعطل قوانا العقلية فقط، بل يبدد طاقتنا، يؤدى إلى التهور والاندفاع، والخروج عن الاعتدال والاتزان فى سلوكنا، وتعاملنا مع الآخرين، مما يفسد العلاقات الإنسانية، ويؤدى إلى سوء التوافق الاجتماعى، وبالتالى يؤدى إلى عجز الشخص عن كفاءته الإنتاجية، ومستوى الأداء، لذا ينبغى أن نذكر دائما أن ضبط النفس والتحكم فى الانفعالات من أهم عوامل النجاح .)(1)

وخطورة الشخصية الهائجة فى أنها تصبح مع الوقت شخصية مضادة للمجتمع، وهذه نهاية طبيعية لمثل هذه الشخصية الهائجة العدوانية، وتعمل على التفريق لا التجميع، والقرآن الكريم يشير إلى ذلك بقوله تعالى: **"ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك"**[2]

ويقول د. يحيى الرخاوى: (يعتبر هذا الاضطراب النفسى نوعا قائما بذاته رغم وجه الشبه بينه وبين أنواع نمطية وغير نمطية أخرى، فمن حيث العدوان والتوجس هو قريب من الشخصية البارونية، ومن حيث التبلد والقسوة هو أقرب إلى الشخصية الانفصامية.. وهذه الشخصية تمثل مرحلة عدوانية من مراحل النمو. ولكنها معطلة للنمو الإنسانى، فى ضرورة التحامه مع آخر أو آخرين)[3]

الأمل:

---

[1] د. محمد مصطفى زيدان: الدوافع والانفعالات، ص 95، ط. عكاظ، السعودية
[2] د. محمد مصطفى زيدان: الدوافع والانفعالات، ص 95، ط. عكاظ، السعودية
[3] آل عمران: 159

والداعية الحق يثق فى ربه، وفى نصر الله له، بل ينتظر من خلال الأمل إلى هذا النصر وكأنه حدث فعلا، ولابد أن يكون للداعية نظرة تتجاوز الزمان والمكان، لأن نظرة الداعية للواقع مثبطة، ونظرته للمستقبل منشطة، وحافزة للهمة، وشاحذة للعزيمة،

والنبى صلى الله عليه وسلم، لم يقف عند الأوضاع السائدة فى مكة ويعتبرها نهاية المطاف، بل ظل يجاهد هذه الأوضاع وعينه صلى الله عليه وسلم على مستقبل الإسلام الباهر، وكان القرآن الكريم يشير إلى مجاهدة الواقع إلى أن يأتى الخير فى المستقبل بقوله تعالى: **"واعبد ربك حتى يأتيك اليقين"**[1] واليقين هو انتصار الحق ودحض الباطل، أما اليقين العقيدة فلم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فى حاجة لانتظاره، لأنه كان على يقين من ربه، وكان هو اليقين بعينه، وطريق اليقين لغيره.

التشاؤم:

وما سبق كان الأمل بالنسبة للداعية، فكيف يكون التشاؤم بالنسبة له؟ وما هى أسباب التشاؤم بالنسبة للإنسان؟ وكيف يعيش المتشائم صاحب النفس المريضة، يقول صاحب كتاب الشخصية: (وينشأ التشاؤم عن ضعف النشاط وضعف القوة العصبية، ووهن الرقابة العقلية فى الإنسان، فيسمح لنفسه بأن تسبح فى جو مظلم من الأوهام، حتى يصبح عقله متلبدا بغيوم لا حقيقة لها، ودخان لا أصل له، وهى غيوم التطير ودخان التشاؤم)[2]، وهذا لو حدث للداعية لفصله عن المجتمع الذى يمارس فيه دعوته، وكلما زاد الابتعاد بين الداعية وجمهوره حدثت الفجوة النفسية الكبيرة، وازداد سوء الفهم بين الطرفين، وينعكس ذلك على سلوك الداعية فى صورة شعور بالعداء تجاه المجتمع، (وإن عدم قدرة الشخص على فهم شخص آخر، أو عدم قدرته على أن يجعل الغير يفهمونه، يثير لديه الشعور بالعداوة)[3].

إننا لا نرضى للداعية أن يحمل شعور عداء لأحد، ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن هناك أموراً تجعل الداعية المخلص يشعر بكثير من التعاسة، منها اضطراب المجتمع بمختلف التيارات الفكرية، ووجود العلمانيين، ونشاطهم ضد القيم الدينية، والسخرية من الداعية فى أجهزة الإعلام، ونظام المجتمع الذى تحكمه القوانين الوضيعة، وانصراف الناس عن الدين، وإقبالهم على المادة، وهذا الشعور بالتعاسة يسبب لبعض الدعاة أمراضا نفسية أقول البعض ولا أقول الكل لأن هناك مجموعة من الدعاة المخلصين، لم ولن يهن عزمهم لما أصابهم فى سبيل الله، بل لا تزيدهم الشدة إلا عزيمة وصبراً، وهؤلاء هم

---

[1] د. يحيى الرخاوى: دراسة فى علم السيكوباثولوجى، ص 467، ط. دار الغد، القاهرة

[2] الحجر: 99.

[3] محمد عطية الأبراشى: الشخصية، ص 86

أصحاب النفوس السوية، وهم أعلام الدعوة الإسلامية فى الفترة التى يعيشون فيها، لكننا نناقش هنا النفس

المريضة والتى تتأثر بأحوال المجتمع ولها بعض العذر فعلم النفس يؤكد هذه الحقيقة:(تؤثر بعض الظروف الاجتماعية على الإنسان، وتؤدى به إلى الإصابة بالاضطراب النفسى، ومثل ذلك تأثير وسائل الإعلام)[1]

ونظرة الداعية إلى أحوال المجتمع بشىء من عدم الرضا- وهو محق فى ذلك- تباعد بينه وبين الناس، وتضعف قدرته الاجتماعية، (وبعض الأشخاص يعانون من ضعف قدرتهم الاجتماعية، فلا يستطيعون التفاهم مع الناس واكتساب تعاطفهم، وهذا يجعلهم يعيشون فى عزلة، ويغضبون الناس كثيرا ومن هؤلاء من يؤدى بهم ذلك إلى الشعور بالخجل)[2]

ولعل النص الأخير يفسر لنا ما يحدث من بعض الذين يمارسون الدعوة من الجماعات الإسلامية.

ونعود للبحث عن أسباب الأمراض النفسية، وقد سبق ذكر بعض منها.

(وقد اختلف علماء النفس اختلافا كبيرا فى نشأة الأمراض النفسية، ولا يهمنا هنا ما اختلفوا فيه، ولكن يهمنا ما اجتمعوا عليه، وأغلب هؤلاء اليوم على أن مرحلة الطفولة – وخاصة الطفولة الأولى – التى يقضيها الطفل فى البيت، ذات أثر عميق باقٍ فى الحياة النفسية للفرد، وفى تحديد الخطوط الأساسية لشخصيته فيما بعد، أى أن الصورة النهائية لشخصية الكبير توضع فكرتها فى عهد الطفولة، كما أن أصول الصحة النفسية توضع قواعدها فيما بعد)[3]

وقبل أن ينتهى هذا الفصل، نناشد كل داعية أن ينظر ولو للحظات فى داخل نفسه، لأن النظر إلى داخل النفس يتيح للداعية معرفة العامل النفسى الذى يؤثر فى سلوكه، سواء كان عامل خير، أو عامل شر، فالدوافع قد تكون مختلفة والمرض واحد، وقد يكون عمل الخير ذاته ليس الباعث عليه ابتغاء مرضاة الله، ولذلك فدراسة النفس الإنسانية وأمراضها وحيلها، هو سبيل الفلاح بالنسبة للدعاة بصفة عامة.

(إن فن عمل الخير بصمت ليس أمرا عضويا طبيعيا إلا لدى الأنبياء والصالحين وقد قاموا به جميعا، أما نحن البشر فعلينا أن ننميه فينا، لأنه ضد بذرة- الأنا-

---

[1] د. سيد عويس: محاولة فى تفسير الشعور بالعداوة ص 99، ط. دار الكتاب العربى
[2] د. محمد محمد خليل: الطب النفسى معناه، وأبعاده، ص 111، ط. تهامة، السعودية 1982
[3] د. أحمد عزت راجح: الأمراض النفسية، ص 36

الطبيعة، والواقع أنه ليس ثمت نوع من الجوع البشرى أشد من الجوع إلى تقدير الآخرين لنا، ورضاهم عما نفعله، ونقوم به)[1]

ونختم هذا الفصل بإشارة القرآن الكريم إلى النفس المريضة بقوله تعالى: **"وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم"**[2]

الفصل الثانى

مكتسبات الشخصية الفردية من الشخصية العامة

الشخصية الفردية هنا هى شخصية الفرد الداعية، والشخصية العامة هى شخصية الوطن الذى يعيش فيه هذا الفرد، وشخصية الوطن التى يتجه إليها البحث هى مجموعة

---

[1] سمير شيخاتى: السعادة والنجاح، ص 176، ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان

[2] يوسف: 53

التفاعلات الاجتماعية، والتوجيهات الثقافية، التى يستقى منها الفرد عاداته الاجتماعية، وينظم سلوكه على ضوئها، وفى إطارها.

وإذا كان من المسلم به أن الداعية المسلم ينتمى فى ثقافته بصفة عامة إلى مجتمعين:

الأول: هو المجتمع العام الذى يولد ويعيش فيه – الوطن بمحدداته.

الثانى: الجهة العلمية التى يحصل منها على علومه ويتقيد بنظامها وسلوكها.

والجهة العلمية التى تربى الدعاة فى مصر وفى أغلب بلاد العالم الإسلامى هى الأزهر الشريف، ولكى يكتمل البحث فى موضوع تأثر الشخصية الفردية بالشخصية العامة، فسيتجه البحث إلى دراسة التغيرات التى حدثت للداعية كفرد فى سلوكه، والتغيرات التى حدثت للأزهر الشريف كشخصية اعتبارية فردية، وهو مستهدف من خصوم الإسلام مثل الداعية الفرد تماما، على اعتبار حصن الإسلام الأخير بعد إسقاط الخلافة الإسلامية

تأثر الأزهر الشريف بالمجتمع:

أ- الأزهر الشريف فى الماضى:

وقبل الدخول إلى بحث شخصية الأزهر الشريف، يكون من المفيد للبحث ذكر لمحة تاريخية عن نهج الأزهر الشريف فى الماضى، وهى لمحة لا يقصد منها السرد التاريخى العلمى، وإنما القصد منها يتجسد فى إبراز ملامح شخصية الأزهر الشريف، لأن المقارنة

بين الماضى والحاضر بالنسبة للأزهر الشريف هى السبيل المضمون لفهم التغيرات التى حدثت للأزهر الشريف، بفعل تأثير شخصية المجتمع العامة فيه.

وعن تاريخ الأزهر الشريف التليد يقول الشيخ محمود أبو العنين: والأزهر (هو أول جامع أسس فى القاهرة، أنشأه « جوهر الصقلى » قائد الإمام الخليفة الفاطمى المعز لدين الله، وقد شرع فى بنائه يوم السبت لست بقيت من جمادى الأولى عام 359 هجرية، 970 ميلادية، وإذا ذكر الأزهر رجع الذهن إلى ألف عام مضت، عندما فتحت الدولة الفاطمية مصر، واتخذت القاهرة عاصمة لها ومقراً لسلطانها السياسى، وأنشأت الجامع الأزهر ليكون رمزاً لسيادتها الروحية)[1]

وقد أصبح للأزهر الشريف سلطان مهيمن على الحياة فى مصر، وذلك بعد أن أفل نجم الدولة الفاطمية، وانتهى سلطانها، ورحل حكامها عن مصر، (وكان الأزهر الشريف موطن النهضة القومية، ومصدر الزعامة الشعبية، وموئل الحياة الدينية،

[1] الشيخ محمود أبو العنين: الجامع الأزهر، ص 5، ط. المكتبة الأزهرية 1949 م

ومنبع الحركة الثقافية فى العالم الإسلامى، وقد برزت قوته فى كل حالة احتكت فيها مصر بالأجنبى)[1]

وظل الأزهر بعد ذلك حصنا للدين، وحارسا أمينا للغة العربية، ولولا وجود الأزهر الشريف لحدثت كارثة للغة العربية والشريعة الإسلامية على السواء،(والأزهر كلمة تسمعها الأذن، فتلتفت إلى حقبة طويلة من الزمان، ظل الأزهر خلالها حصن الدين الحصين، وركن العلم المتين، وملاذ اللغة والأدب والثقافة جميعا، عشرة قرون وتزيد، كان الأزهر خلالها المعقل الوحيد، الذى ثبت لحملات المغيرين، فانتهت إليه شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، واستأمنت إليه آداب العرب، واستعصمت فيه لغة القرآن، والأزهر هذه الكلمة لا يقابلها فى خيال الأمة المصرية إلا كلمة الهرم، أجل، لقد مضى الأزهر على وجه التاريخ قوياً جباراً يحطم العقبات من سبيله، ويحمل الرسالة غير حافل بالسدود، فهذا هو دين الله، نشره علماؤه، ونصره أبناؤه، وانبثق فيهم نوره، وشع فيهم ضياؤه)[2]

وعلماء الأزهر الشريف لم يتبوأوا هذه المكانة العظيمة بسبب كفاحهم ضد كل أجنبى، وضد كل ظلم فحسب بل إنهم قد احتلوا هذه المكانة العظيمة فى نفوس

الجماهير المسلمة بسبب تقواهم، وورعهم، وقيام مثال الخير فيهم، وكان دستورهم القرآن، وقائدهم فى السير إلى الله نهج النبى صلى الله عليه وسلم ومثلهم فى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، كانوا قمما شامخة تنظر إليهم الجماهير المسلمة فى كل مكان بالفخر والإعزاز، (إنهم لم يسعوا أبدا لسلطان ولم يجروا وراء جاه، أو منفعة، أو مادة، إنهم لم يعملوا أبدا وما كان يليق بهم أن يعملوا أبدا على اقتناء ثروة واسعة مالية، أو عقارية، وإنما كانت الثروات التى ينشدونها دائما هى ثروات العلم والمعرفة، وتلقين العلوم... وكانوا لا يعتزون إلا بالدروس يلقونها للطلبة، أو للعلماء، ولا يفاخرون إلا بأبنائهم العلماء، الذين تخرجوا على أيديهم، وكانوا بسيطى الثياب، بسيطى الطعام، بسيطى المسكن، بسيطى الركائب، إنهم كانوا بسيطين فى كل شىء من متاع الحياة)[3]

وبهذه السيرة المعطرة كان رجال الأزهر الشريف بحق هم قادة الأمة، والحقيقة أن سيرة الأوائل من رواد الأزهر الشريف، تجعل كل من ينتمى إليه يشعر بالفخر الكثير.

---

[1] د. يوسف القرضاوى: الكتاب التذكارى بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر ص 73، ط. روزاليوسف 1983 م

[2] د. محمد الفقى: الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية. ص 15، ط مكتبة نهضة مصر 1945 م

[3] د. فخر الدين الأحمدى الظواهرى: السياسة والأزهر، ص 24، ط. دار الاعتماد، مصر 1945 م

إن جزءا من قضية الدعوة – النفسية – الآن يتعلق بشخصية الأزهر الشريف الاعتبارية، فكلما كانت هذه الشخصية مهيمنة على توجيه المجتمع المصرى الإسلامى كلما كانت دعوة الأزهر الشريف مؤثرة، مقنعة، ومجابة.

والمطالبة بمكانة عالية متصدرة للأزهر الشريف ليست تعصبا له من ابنائه، بل هو جدير بها، دينيا، وتاريخيا، وعلميا، لقد كان لعلمائه فى الماضى الصدارة فى مقاومة الأجنبى، والوقوف فى مواجهة كل ظلم وإزاحته، ووضع الحق مكانه، (لقد كان لعلمائه الصغار منهم وللكبار مواقف مشرفة فى قيادة الأمة المصرية، إن الأزهر لا يزال نبراس الهدى والحرية، ومعقل الوطنية، وإن رجاله لا تزال لهم صفات السلف الصالح من الإقدام والجرأة والشجاعة)[1]

ولقد حصلت الأمة المصرية على كثير من الخير بسبب وجود الأزهر الشريف على أرضها، وتبوأت بذلك مكانة تغبطها عليها كل الأمم الإسلامية، (وكان من آثار الأزهر فى مصر أن جعل لها مكانا ممتازا، وسلطانا أدبيا، وزعامة موفورة على البلاد العربية، والشعوب الشرقية، وأصبحت هذه الأقطار تنظر إلى مصر نظرها إلى الهادى المرشد، وتعترف لها بالفضل وعلو المكانة)[2]

إن التنافس من طبائع البشر الفطرية، أمماً، وأفرادا، وكل دولة من دول العالم تحاول – على مدى التاريخ القديم والحديث – أن تتبوأ مكانا بين جيرانها من الدول التى تتشابه معها فى بعض أو كل المقومات الأساسية للحياة، وترصد الأمم كثيراً من الأموال لهذا الغرض، وربما نظمت الجيوش، وأرسلت الحملات وضحت بالألاف من أبنائها، وقد وفر الأزهر الشريف كل ذلك على مصر وجعل لها مكانة فى قلب العرب والعالم الإسلامى، ما كانت لتحصل عليها بملايين الضحايا على مر العصور.

ولقد حاول نظام الحكم فى مصر- 1952 م: 1970 م- أن يفرض زعامته على العرب وجهز لذلك الجيوش، وأرسلها تعيث فى أرض العرب فسادا، وأرسل الفرق الفنية إلى كل مكان فى أرض العرب، وأرسل العلماء المصريين فى كل مجالات الحياة العلمانية إلى هذه البلاد، وأخيا هنا فى مصر أمجاد الفراعنة وأخذت إذاعات هذا النظام تتغنى بهذه الأمجاد الفرعونية ليثبت بذلك للعرب أنه حرى بزعامتهم، لما له من جذور عميقة فى بطن التاريخ، وحاول أن يتحمل عن العرب معاركهم ضد الأجنبى، فتحمل الكثير من المعاناة، ولم يكسب زعامة العرب، التى ظل يحلم بها طويلا.

---

[1] المرجع السابق ص 31

[2] د. محمد كامل الفقى: الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية، ص 15، 16، ط نهضة مصر 1965

ولو حاول هذا النظام أن يتزعم العرب عن طريق الاهتمام بالأزهر الشريف وعلمائه لكان له ما أراد، ولعل من أهم أسباب انهيار هذا النظام هو تآمره على الأزهر الشريف بقوانين التطوير، والتى كان المستهدف منها الإحاطة بمكانة الأزهر فى العالم العربى والإسلامى، ولولا عناية الله سبحانه وتعالى، ومحافظة علماء الأزهر على علومه والعض عليها بالنواجذ لكان لهذا الطاغوت ما أراد.

إن انتساب مصر إلى الأزهر الشريف، فى كل مكان فى العالم، أجدى لها كثيرا من الانتساب للفراعين والطواغيت، إن رسالة الأزهر الشريف رسالة إسلام تقوم – فيما تقوم – على الخير والحب والسلام، وأى إنسان ينتسب إلى مصر- بلد الأزهر الشريف- له فى قلوب معظم سكان كوكبنا- الأرض- رصيد من هذه المعانى، والمصريون لم يجدوا فى الخارج إلا بسبب الأزهر الشريف.

وهذه الصورة تبين مكانة مصر والمصريين بين الشعوب الأخرى (ففى"راجون"

عاصمة "بورما" ذهب صحافى مصرى إلى مسجد لصلاة الجمعة، وبعد الانتهاء من الصلاة بحث عن حذائه فلم يجده، وهنا كانت المفاجأة التى لا تخطر على بال أحد، لقد عرف المسلمون الذين كانوا يصلون معه فى المسجد أنه من مصر بلد الأزهر الشريف، وهذا الحب لأزهر جعل الناس تتخطف الحذاء ويتبركون به، فى نوبة عاطفية جعلت هذا الصحافى يبكى من شدة التأثر)[1]

وتقبيل حذاء الصحافى ليس هدفا فى حد ذاته لأهالى "بورما"، وإنما قبلوه لأنه يطأ تراب مصر، البلد الذى يقام فيه بناء الأزهر الشريف. ترى هل تحصل مصر على هذه المكانة بإغفال دور الأزهر الشريف؟ وهل يتم لها ذلك عن طريق السياحة والفنادق والملاهى؟. ولا شك أن هؤلاء الناس فى "بورما" لم يقبلوا حذاء الصحافى وهم يفكرون فى السياحة والآثار والملاهى.

هذا هو عبير ذكريات الأزهر الشريف فى ماضيه، وهذا دوره فى الزعامة والقيادة والريادة للعالم العربى والإسلامى، فهل يشبه يومه أمسه؟ وإذا كان أزهر اليوم يختلف عن أزهر الأمس فما مرجع ذلك؟ الإجابة على هذا السؤال تتلخص فى إلقاء نظرة سريعة على شكل الحياة الاجتماعية والنفسية للمجتمع المصرى، وهل تغيرت أم لا؟ لأن الأزهر الشريف جزء من هذا الوطن، وأى تغيير فى الكل يؤثر بطريقة أو بأخرى فى كل جزء من أجزاء الكل، ولكى تكون هذه النظرة على سطح الحياة الاجتماعية ناجعة، من الخير أن يقسم المجتمع إلى عدة وحدات، لدراسة تأثير كل وحدة منها على حياة وسلوك المجتمع الاجتماعى والنفسى.

---

[1] الكتاب التذكارى بمناسبة العيد الألفى للأزهر ص 264، ط. روزاليوسف 1983م.

ب- وحدات المجتمع المؤثرة:

1- المدينة:

يتكون المجتمع الإنسانى عادة من الريف والحضر، وفى الماضى كان للريف عاداته، كما كان للحضر عاداته، ومع هذه الثورة الهائلة فى وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية اقتربت العادات بين الريف والحضر بشكل كبير، ولكن بقيت عادات تميز المدينة عن القرية

ومن ناحية أخرى تطورت إلى حد وسائل الحياة داخل المدينة وأصبحت

تفرض على سكانها أنماطا من السلوك تختلف عما ألفته الحياة البشرية قبل ذلك، وإذا كان مجتمع المدينة مجتمعاً إسلامياً، فقد فرضت عليه سلوكيات قد تتعارض فى بعض الأحيان مع الشريعة الإسلامية، وأصبح أمام الداعية الإسلامى أمر من اثنين، إما أن يتوافق مع سلوك المجتمع، والتوافق له سلوك، وإما أن يتخذ موقف المعارضة، والمعارضة أيضا لها سلوك، المهم انه فى كل الحالات سيتغير سلوكه بدافع من الظروف الاجتماعية والنفسية، هذا من ناحية الداعية الفرد، ومن ناحيةرالمؤسسات الإسلامية فإنه يتغير سلوكها أيضا، بالموافقة أو المعارضة لسلوك المجتمع.

وإذا جاءت المدينة فى البداية كنموذج لمجتمع إنسانى مزدحم، فإن هذا الشكل المزدحم للمدينة يقضى على عادات وينشىء عادات بفعل الزحام، ويحدد علم الاجتماع أنه (كلما ازدادت المدينة نموا فى الجسم بازدياد عدد سكانها المقيمين بها، فإن الروابط بين هؤلاء تزداد ضعفا، كما أن طبيعة العلاقات الاجتماعية تحتاج للتغيير والتبديل، فتصبح هذه العلاقات لا شخصية، وسطحية، ومؤقتة وسريعة الزوال، كما أن ساكن المدينة يكيف علاقاته بطريقة رشيدة، ومعقدة، ويتصل ساكن المدينة بالناس اتصالا وثيقا، ولكنه اتصال عابر وسطحى، كما أن الحياة فى المدينة تمارس بإيقاع سريع)[1]

من النص المتقدم يبدو بوضوح الطابع العام لسلوك سكان المدن، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن هناك فى داخل المدينة مؤسسات كثيرة تتنازع سكان تلك المدينة فيما بينها، فى مجال التوجيه الفكرى ومعنى هذا أن خطر المدينة بالنسبة للداعية المسلم والفرد المسلم لا يقف عند حد سطحية العلاقات الاجتماعية، بل يتعداها إلى خطورة مراكز التوجيه فى المدينة على سلوكيات المسلم الفرد والداعية على السواء.

ومن المراكز التى تعتبر من لوازم المدينة العلمانية الحديثة مايلى:

أ- المسرح:

[1] د. محمد الجوهرى، د. علياء شكرى، علم الاجتماع الريفى والحضرى، ص 361 ط. دار المعارف

من المسلم به أن للمسرح فى المدينة جمهورا كبيرا يذهب إليه كل ليلة لقضاء وقت فراغه فى مشاهدة عمل مسرحى، بعد أن قضت المدينة بشكلها على أواصر القرابة والترابط الاجتماعى.

المسرح يعرض على المشاهدين أنواعا كثيرة من الفكر العالمى، مثل: الفكر الوجودى، والشيوعى الإلحادى، والمادى، وعن طريق إثارة الغرائز وإدخال المشاهد فى جو نفسى خاص، يتم صب هذه القوالب الفكرية فى عقل المشاهد، وفى المسرح تعلن الحرب على كل الأديان، وصاحب النصيب الأوفر من هذه الحرب هو على كل الأديان، وصاحب النصيب الأوفر من هذه الحرب هو الدين الإسلامى، كما رأينا فى مسرحية الشيخ "متلوف" فى الفصل الثانى من الباب الأول من هذه الرسالة.

ويمكن إجمال الدور الذى يقوم به المسرح فى الحياة الفكرية للمدينة فى النقاط التالية:

1- عرض فلسفات أخرى لحل مشكلات المجتمع بعيدا عن الشريعة الإسلامية.

2- تحريض الناس على الخروج على القيم الدينية، والسخرية من عالم الغيب وما يحتويه من مقدسات[1].

3-الاستحواذ على أعداد كبيرة من جمهور المدينة المسلم، وهذا بالطبع مخصوم من رصيد الدعوة الإسلامية، ومضاف إلى رصيد العلمانية من غير مجهود كبير.

4-إثارة الغرائز ونشر الفاحش من القول والفعل، ومشاهدة هذه الأعمال تطفىء جذوة الإيمان فى الصدور، ويؤخذ من قوله تعالى: **"كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"**[2] وعلماء النفس أيضا لا يختلفون على تغير سلوك الشخص بتغير ما يقدم له من توجيه فكرى.

ب-السينما:

يقصد نفر كثير من سكان المدينة دور السينما ليشاهدوا الأفلام التى تقدم لهم الإثارة، والجنس[3]، والعنف، ومع مرور الوقت يصبح للسينما جمهورها الخاص، الذى يدمن

---

[1] كما حدث فى مسرحية((جوبتر))((إله الذباب)) للكاتب الفرنسى والفيلسوف الوجودى((جان بول سارتر)) ط. دار الهلال.

[2] المطففين: 14.

[3] خليل ميخائيل معوض: مشكلات المراهقين فى المدن والريف ص 214، ط المكتبة التجارية الكبرى.

التردد عليها، وفى هذه الصالات المغلقة، وفى جو تفوح منه رائحة الرذيلة المصورة، تتم صياغة عقول الشباب فى قوالب فكرية كلها بعيدة عن قيم الإسلام وهيهات أن يجنى خير من هؤلاء بعد ذلك.

إن المجتمعات الإنسانية فى بحث دائب عن "البطل" الذى تسير خلفه وتنقاد له، والتريخ الإسلامى ملىء بنماذج البطولة الرائعة، التى تكفى لشحذ همة محبى الخير فى العالم أجمع، ولكن السينما – ومن خلال الإخراج الباهر – تصنع كثيرا من الأبطال تلهب بهم خيال النشء، والسير خلف هذه البطولات الزائفة من أهم العقبات التى تواجه الداعية فى العصر الحديث، وتدمر له جمهوره.

ومع الوقت وبسبب ازدحام المدينة أصبحت السينما من الأماكن المأمونة لارتكاب أعمال منافية للآداب، وهذا الأمر يجعل من السينما مكانا خطيرا على قيم المجتمع بجانب ما تقدم للناس من فكر منحرف الهدف والاتجاه.

وتستحوذ السينما على قطاع كبير من سكان المدينة، يخصم أول ما يخصم من حساب المساجد والدعوة الإسلامية.

جـ- الملاهى:

للملاهى أثر خطير فى المجتمع المسلم على السواء، ولها جمهور كبير ولكنه جمهور خاص متميز، فمعظم الذين يترددون على الملاهى يمارسون أدوارا خطيرة فى المجتمع، لأنهم ومن خلال المبالغ الباهظة التى ينفقونها، يدمرون النشاط الإنتاجى فى المجتمع، ويقوم نشاطهم على تجارة المخدرات وتقديم الرشاوى لبعض الناس فى بعض الأعمال، وكل ذلك يتم داخل هذه الملاهى، وأحيانا تكون الرشوة للمسئول عبارة عن أشياء مما تقدمه هذه الملاهى نفسها.

ومما سبق يتضح أن الملاهى لا يقف دورها عند حد تقديم اللهو المحرم والسطو على قيم المجتمع المسلم، بل يتعدى دورها ذلك بكثير، فأحيانا يتم التأثير فى حركة المجتمع ككل من داخل هذه الملاهى.

وعلى هذا يكون تأثير الملاهى فى المدينة يتم بطريقتين:

الأولى: جذب جمهور غير قليل إليها والقضاء على دينه ودنياه على السواء.

الثانية: دفع المجتمع إلى أنماط سيئة من السلوك من خلال السيطرة على بعض من يتولون الأمور، وذلك بتقديم المحرمات إليهم بسخاء، مما يجعلهم لا يفكرون فى البعد عن هذه الأماكن.

وتنشر الملاهى فى المجتمع عادات، مثل السرقة، والكذب، والنفاق، والتسويف، والأنانية، وهى كمجتمع مغلق تبث أسوأ العادات فى مجتمع المدينة المسلم.

د- المؤسسات الفكرية:

هذه المؤسسات تبث أفكارها فى المجتمع بطرق مختلفة، منها على سبيل المثال لا الحصر.

1- الجامعة الأمريكية:

تقوم هذه الجامعة بصياغة عقول الشباب المسلم، وتنشئتهم على نمط الحياة الغربية، ومما يعطى لدورها ميزة خاصة، أنها تستقطب عاما بعد عام أبناء بعض المسئولين عن إدارة حركة الحياة داخل بلد الأزهر الشريف، ومن الطبيعى أن يعود هؤلاء الأبناء إلى بيوتهم بما يحملون من عادات وتقاليد وأفكار، باعتبار أنها منتهى ما وصل إليه التقدم والحضارة، وبمرور الوقت تطفو هذه الأفكار والتقاليد الغربية على سطح الحياة المصرية.

2- المدارس الأجنبية:

تكمن خطورة هذه المدارس فى أنها تنشىء فكرا جديدا تمحو به فكر المجتمع المسلم فهى:

- تعمل على محو الثقافة العربية من أذهان التلاميذ.

- يتم التعليم غيها بلغة غير اللغة العربية، للقضاء على الصلة الأساسية بين التلاميذ المسلم وبين دينه.

- تعليم التلميذ الحياة على النظام الغربى.

- نقل فلسفات الغرب مثل الوجودية، والإلحاد، والبرجمانية، وغيرها. وفى الجامعة الأمريكية والمدارس الأجنبية مجموعة من أبناء المسلمين لا يستهان بهم.

3- الصالونات الأدبية:

وهى أماكن يلتقى فيها الأدباء والفنانون، ويتحدثون فيها عن موضوعات تهمهم فى نشاطهم الأدبى والفنى، ولهذه الأماكن جمهورها الخاص ولها تأثير كبير فى شكل الحياة الثقافية فى المجتمع.

4- النوادى الماسونية:

فى العصر الحديث ظهر على سطح الحياة فى المدن بعض النوادى الاجتماعية المسماة بالماسونية، وهى نوادى يهودية الأصل، صهيونية النهج، ولها أسماء كثيرة مثل ((الليونز)) و ((الروتارى)) وغيرها، واستقطبت هذه النوادى بعض الشخصيات العامة، وهى تبث سمومها فى المجتمع من خلال القيام ببعض الأعمال الخيرية، وتتميز هذه النوادى عن غيرها بما يلى:

- لها إمكانيات مادية لا بأس بها- مدعومة من الخارج.

- أهدافها المعلنة الدعوة لحرية المرأة، ومساواتها بالرجل، والإباحية.

- لها جمهور يزداد يوما بعد يوم، ومن خلاله تؤصل لما تريد من أفكار.

- تؤثر فى الحركة الفكرية للمجتمع من خلال الشخصيات التى تنضم إليها.

وقد أقيم (مؤتمر الروتارى تحت رعاية الرئيس السادات وأناب عنه السيد ممدوح سالم، فى افتتاح المؤتمر، ولوثوق العلاقة بين الرئيس والروتارى العالمى، حرص الروتارين على أن يكون مؤتمرهم تحت رعاية كل عام)[1]، وهذا الكلام عن الرئيس السادات لا يسلم على إطلاقه ويبقى احتمال انضمام شخصيات مهمة إلى الروتارى.

هـ- الأحزاب السياسية:

وهى من الهيئات التى تساعد إلى حد بعيد فى تشكيل الرأى العام، أو الشخصية العامة، ويقوم الحزب على برنامج يعتبره الأعضاء كافيا لحل المشاكل السياسية، والاجتماعية، وهناك أحزاب تدخل الشريعة الإسلامية فى برنامجها، وأحزاب أخرى تقوم برامجها على قاعدة "الدين لله والوطن للجميع". وللأحزاب سمات خاصة نوجزها فيما يلى:

- تكوين برامج وطرحها على المجتمع كأساس لحل مشكلاته.

- تعتمد فى قيامها على كثرة أعضائها وهى تحاول ضم الجديد منهم باستمرار.

- يعتنق الأفراد المنضمين إلى حزب معين أفكار هذا الحزب، وشيئا فشيئا يدافعون عن هذه الأفكار وكأنها جزء مكمل لشخصيتهم الاجتماعية والسياسية.

- إن هذه الأحزاب مجتمعة لا تحبذ الحكم لشريعة الله، ولكنها أحيانا تنادى بتطبيق

الشريعة الإسلامية كموقف سياسى- مرحلى- وفى مصر الآن الأحزاب الآتيه:

1-الحزب الوطنى الديمقراطى[2]:

---

[1] أبو إسلام أحمد عبد الله: الماسونية ص 126، 127.

[2] جريدة مايو السياسية، وجريدة اللواء الإسلامى الدينية

والحزب الوطنى الديمقراطى هو الحزب الحاكم حتى كتابة هذا البحث، وهو مكون من السياسيين والمؤيدين لثورة 23 يوليو – 1952 م عسكريين ومدنيين، وقد تطور هذا الحزب وغير اسمه أكثر من مرة، بدأ بهيئة التحرير، ثم الاتحاد القومى، ثم الاتحاد الاشتراكى، ثم حزب مصر، ثم الحزب الوطنى الحالى، ويأخذ هذا الاسم من حزب له نفس الاسم أسسه مصطفى كامل، الزعيم الوطنى المعروف فى بداية القرن الحالى، والحزب الوطنى يعتبر الواجهة المدنية والسياسية للذين قاموا بالثورة 23 / 7 / 1952 ويتولون زمام الحكم فى مصر حتى الآن، وهو حزب علمانى وليس فى برنامجه نص على تطبيق الشريعة الإسلامية، وإن كان الدستور الذى أقره هذا الحزب يعتبر الشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسى للتشريع فى مصر، ولهذا الحزب جمهوره وهم مجموعة العاملين فى مرافق الدولة، أو بعضهم، ومجموعة الموافقين على النظام السائد، ولم يحصل هذا الحزب حتى الآن على قاعدة شعبية كاملة، وهو يسيطر على كل أجهزة الإعلام، ويبث أفكار المنتمين إليه فى أى وقت يشاء، ويصدر بجانب الجرائد القومية التى يسيطر عليها – جريدة مايو، وجريدة اللواء الإسلامى.

2- حزب الوفد الجديد[1]:

وهو امتداد لحزب الوفد القديم الذى أسسه سعد زغلول، بعد ثورة 1919 م واسمه مأخوذ من الوفد الذى ذهب إلى مؤتمر الصلح فى باريس عام 1919 م بقيادة، سعد زغلول، ورئيسه الحالى السيد/ فؤاد سراج الدين، وهو يضم مجموعة من السياسيين الذين يرفضون فكر ثورة 23 يوليو 1952 م، ويصدر جريدة الوفد وهو حزب علمانى أيضا، وله قاعدة شعبية لا بأس بها كانت السبب فى نجاحه بعد قيام الثورة دورتين متتاليتين فى مجلس الشعب المصرى، وله فكر خاص يشغل به جانبا من اهتمام الجماهير المصرية، وانضم إليه بعض الإخوان المسلمين فى الانتخابات السابقة عام 1984، ثم انفصلوا عنه فى انتخابات

مجلس الشعب الحالى- ١٩٨٧م- لأنه لم يؤازرهم فى المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية، ووقف عند مبادئه العلمانية[2]

٣- حزب العمل الاشتراكى:

ويتخذ من القاهرة، مقرا له، ورئيسة المهندس ابراهيم شكرى، وله اسلامية مأخوذة من فكر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م، ويعتنق المذهب الاشتراكى فى الاقتصاد ولا يختلف كثيرا من الناحية الفكرية عن الحزب الوطنى، وله قاعدة شعبية متواضعة لم تصل به إلى نسبة ٨ ٪ فى الانتخابات السابقة- ١٩٨٤م- وفى

---

[1] جريدة الوفد، وعنوانها 29 / شارع الشيخ على يوسف بالمنيرة القاهرة

[2] انظر المناقشة التى تمت بين الشيخ صلاح ابو اسماعيل "اخوان"، وفرج فودة "وفد" فى الفصل الثالث من الباب الاول.

الانتخابات الحالية ١٩٨٧ م تحالف مع الإخوان وحصل على نسبة كبيرة من الأصوات، جعلته يأتى فى الترتيب بعد الحزب الوطنى مباشرة، وان كان لم يحصل على الأغلبية، وهو حزب علماني، وان كانت تصريحات اعضائه اكتسبت الصبغة الدينية بعد تحالف الإخوان المسلمين معه فى الانتخابات، والأيام القادمة ستجيب على سؤال يلح الان: هلل يتخذ حزب العمل من الشريعة الإسلامية مذهبا فكريا يعمل من أجله فى المجال السياسى؟ ام سيعود الى الميثاق الوطنى لثورة ١٩٥٢ وبيان ٣٠ مارس، وهى الأفكار التى راح يرددها فى الماضى القريب بين الجماهير، ويصدر هذا الحزب جريدة[1] الشعب، ويشغل جانبا من اهتمام الجماهير فى المدن والريف على السواء.

٤- حزب الأحرار[2]:

يتخذ من القاهرة مكانا له، ويصدر جريدة الاحرار، وجريدة النور الإسلامية ويعتنق الفكر الرأسمالى فى الاقتصاد، وهو حزب علماني، وان كان يتخذ من الشريعة الإسلامية وسيلة لتكوين قاعدة شعبية بين الجماهير، ويحتسب له أنه هو الحزب الوحيد الذى وضع فى برنامجه منذ انشائه النص على تطبيق الشريعة الإسلامية، وقد تحسن اداء الحزب فى الناحية الإسلامية بعد بعض قيادات الاخوان المسلمين إليه، ويرأس حزب الأحرار السيد/ مصطفى كامل مراد وهو من تنظيم الضباط الاحرار في ثورة ١٩٥٢.

وللحزب قاعدة شعبية ضعيفة، ولكنها آخذة فى الاطراد، ويشغل حيزا من اهتمام الجماهير باتجاهه الرأسمالى الحر فى الاقتصاد.

٥- حزب الأمة:

ويرأسه السيد احمد الصباحى، وينادى بتطبيق الشريعة الإسلامية، وان كانت مواقفة السياسية لا تعبر عن ذلك تماما، ويصدر جريدة الأمة[3] الإسلامية، وليس له قاعدة شعبية تقف خلفه، وليس من العدل الحكم عليه فى الوقت الراهن ؛ لان منهاج الحزب لم يتضح بعد.

٦- حزب التجمع:

ويرأسه السيد خالد محيى الدين، احد الضباط الاحرار في تنظيم ثورة يوليو ١٩٥٢، إلا أن الحزب يعتنق الفلسفة الشيوعية فى الاقتصاد والتى أسسها الفيلسوف الملحد "كارول ماركس"، ومعظم اعضاء الحزب يعتنقون الفكر الشيوعى فى الاقتصاد فقط،لكن هناك مجموعة من الاعضاء تؤمن بالجانب الاحادى من فكر "كارول ماركس" ويسخرون من كل الاديان، ويستعملون فى ذلك الاسلوب الرمزى فى الكتابة واحيانا المصارحة، وهو حزب ليس له قاعدة شعبية، ومنبوذ من الجماهير، وفى الانتخابات الأخيرة -١٩٨٧ م- لم يحصل على اصوات أعضائه كاملة، إلا أن هذا الحزب هو اكثر الاحزاب إثارة للاضطراب فى فكر الجماهير المسلمة، بما يطرح على الساحة من فكر مادى جدلى، والتفسير المادى للتاريخ يلقى

---

[1] جريدة الشعب، ومقرها القاهرة.

[2] جريدة الاحرار، ومقرها ضمن مقر الحزب فى ١٩ / شارع الجمهورية، القاهرة.

[3] جريدة الأمة الإسلامية يصدرها حزب الامه ومقرها مدينة القاهرة

هوى فى بعض النفوس المريضة، وهو انتكاسة للتاريخ نفسه، لأنه عودة لمقولة مشركى مكة: **(وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين)**[1]

واذا كانت هناك أحزاب أخرى علمانية فى مصر، الا انها لا تهاجم الدين ولا تتخذ منه منهجا للحياة، فإن هذا الحزب- من ناحية بنائه الفكرى- يضاد كل دين وان لم يعلن ذلك صراحة، وبعض الذين ينضمون آلية من المتدينين يخدعون بمبادئه البراقة فى العدل الاجتماعى، ولكنهم يتركونه حين يعلمون حقيقته، ويصدر جريدة[2] الاهالى، وبعض الكتب الشيوعية الاخرى.

٧- حزب مصر العربى الاشتراكى: تحت التأسيس

٨- الحزب الناصرى: تحت التأسيس ايضا

والحزب الاخي – الناصرى- له جمهور عريض من بين الشباب الذين خدعهم الاعلام المصرى- بالحرية والاشتراكية، والوحدة- شعارات النظام الناصرى ١٩٥٤: ١٩٧٠ م ومازالوا يبحثون عن السراب فى صحراء الناصرية القاحلة، رغم وهج الحقيقة الكاشف ويمكن فهم هذه الظاهرة المرضية فى ضوء دراسة تأثير الاعلام[3] على الجماهير من الناحية الفكرية.

و- الجماعات الإسلامية:

وهى نوعان:

الاول: مثل: الاخوان المسلمين، والجمعية الشريعة، وجمعية الهداية الإسلامية ومن على شاكلتهم. وهذه الجماعات تمارس نشاطها في العلن، وافكارها محددة، وتنتشر فى المدن والقرى.

الثانى: الجماعات الإسلامية التى تمارس نشاطها بطريقة- شبه سرية- وتحاول بها الابتعاد عن التصادم مع نظام الحكم القائم، وكل هذه الجماعات تدعو لتطبيق الشريعة الإسلامية واتخاذ الاسلام منهجا للحياة، وقد بدأت هذه الجماعات ف الجامعات العلمانية كرد فعل لما كان يحدث فى هذه الجماعات من اعتداء على القيم الدينية، ولا ينكر اى باحث منصف أن هذه الجماعات هى شباب الاسلام وقوته بيد أن قله خبرتهم بالدعوة الإسلامية، ودراستهم الناقصة للدين فى بعض الاحيان ورغبتهم الجامحة فى الإمارة، يجعلهم فى بعض الاحيان جهة فكرية خاصة تلزم الناس بمذهب فكرى خاص، نعم هو اسلامى صحيح، ولكن الاسلام اشمل مما يدعون إليه، هما أفكارهم الدم والريف، ومن مشاكلهم مع الدعاة المتخصصين انهم يعتبرون أنفسهم هى الدعاة الجديرين بجمل لواء الدعوة الإسلامية، وفى طريق الوصول الى هذا الهدف يلقون الحجارة على الجميع.

ز- الطرق الصوفية:

الطرق الصوفية كثيرة ومنتشرة فى كل احياء المدن والقرى، ولكن طريقة منها طريق، وهى تعتبر ن من حقها تبوأ مكان الصدارة فى الدعوة الإسلامية، وبعض

---

[1] الانعام: ٢٩

[2] جريدة الاهالى ومقرها القاهرة، شارع عبد الخالق ثروت.

[3] انظر الفصل الثانى من الباب الاول من هذه الرسالة

هذه الطرق يدعو الى الله بطريقة طيبة، الا انها ككل تقوم بعملية تبسيط ونسطتيع لأوامر الاسلام الحنيف، ونواهيه، وهذا المنهج يقدم للناس كبديل ادعوا الازهر الشريف الصحيحة، ومنزعنا ينشأ الخلاف بين الازهر الشريف وهذه الطرق. وهذه الطرق لها جمهور عريض داخل المدينة وخارجها، وهى تقدم آلية، البديل الفكرى الذى يجعله مخصةمت من حساب جمهور الازهر الشريف، وهى هذه الزاوية تعتبر هيئه فكرية خاصة.

ح -- الاندية الرياضية:

بلغ التعصب للرياضة فى السنوات الأخيرة مبلغا كبيرا، وهى تلعب دورا خطيرا فى حياة المدينة والريف على السواء، فإذا كان أعضاؤها يعدون بالالاف عإن نشجعيها يعدون بالملايين، واذا اخذنا ناديي الاهلى والزمالك مثلا كحال الدراسة، فإنه معظم أفراد المجمتع ينقسمون حيال هذين الناديين الى قسمين، وهذه الأندية تشغل وقت جمهورها بأخبارها واخبار نجومها بطريقة لا تدع لهم فرصة للتفكير فى امر معاشهم ومعادهم، وكل ناد من هذه الأندية يصدر صحيفة[1]، او اكثر من صحيفة، والتعصب لهذه الأهمية اصبح يمثل ظاهرة مرضية، وربنا كان هذا التعصب هروبا من المشاكل الاجتماعيه التى ينوء بها كامل المجتمع هى هذه الايام، وبعض الدعاة يشجعون هذه الأندية بطريق العدوى الاجتماعية، وفى داخل هذه الأندية كثير من الأنشطة الرياضية التى يختلط فيها الذكور بالإناث بملابس الرياضة، وهى بذلك تقدم عدوانا صريحا على القيم الإسلامية بجانب ما تفعله من شغل وقت الجماهير فى الخارج وهى بالنسبة لشغل وقت الجماهير تعتبر مؤسسة شبه فكريا، وبالنسبة للأنشطة المختلفة بين الجنسين فى الداخل تشبه الى حد كبير الملاهى فى تصدير الاباحية للمجتمع خارجها، وتؤثر فى العلاقات الاجتماعية تأثيرا كبيرا.

٢- القرية:

برغم أن الإعلام الحديث استطاع أن يربط كل اجزاء الوطن بعضها ببعض، إلا أنه مازال للريف عاداته وتقاليده، وان كان قد أصابها الضعف لتأثير الحياة الحديثة عليها.

ويبين الدكتور محمد عاطف غيث، سمات المجتمع القروى بقوله: (ويمكن تعريف المجتمع القروى بأنه مجتمع فرعى داخل مجتمع اكبر، ويتميز هذا المجتمع بعدة خصائص، هى الإقامة فى الريف، والارتباط العائلى، والعائلة هى الوحدة الاجتماعية الأساسية، ويتميز بالمكانة الاجتماعية المنخفضة،والاعتماك الاقتصادى بدرجات متفاوتة على المراكز الحضرية، وبساطة الثقافة، والارتباط بالارض، والمجتمع المحلى، والتقاليد، ويعتقد بعض الدارسين أن المجتمع القروى كنموذج للمحتمعات الإنسانية يشغل مكانا وسطا بين المجتمع القبلى والصناعى)[2].

---

[1] النظافة الذى يقدر اكثر من صحيفة هو النادى الاهلى، ويصدر جريدة الاهلى، وجريمة الأهلاوية، ونادى الزمالك يصدر جريدة الزمالك والزمالكاوية.

[2] د. محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع ص

وفى المجتمع القروى او الريفى بصفة عامة ميزات اخرى منها على سبيل المثال:
الصفاء، البساطة، التدين، عدم وجود وسائل كثييرة للهو كما ف المدينة، بساطة الطبيعة التى تنعكس على النفس البشرية، وقديمة كان الريق مقومات كثيرة تجعله املا ومطمحا لسكان المدن، العيش فيه، والتمتع بصفاتت، وقد ارسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى البادية[1] ليقضى جزءا من صباه.

لقد كان الريق يتمتع بميزات كثيرة قبل اختراع أجهزة الإعلام الحديث الشريف، التى ربطت بين اجزاء الوطن الواحد، بل جعلت من العالم كله قرية صغيرة، وبهذا تنضم القرية المدينة فى تشكيل الشخصية العامة للوطن، ولكن تظل للقرية سمات خاصة يحفظها عليها الفارق بينها وبين المدينة فى الكثافة السكانية، وخلوها من النوادى والملاهى وما تتمتع به المدينة من سمات خاصة.

بعد تحديد السمات العامة لكل من القرية والمدينة يأتى الدور على تحديد السمات المشتركة بينهما، وهذه السمات المشتركة مستخلصة من المصادر الفكرية التى تشمل القرية وبالمدينو على السواء وهى كالتالى:

١-الاذاعة المسموعة:

الإذاعة فى العصر الحديث تقوم بتشكيل ذهن ووجدان المجتمع والافراد، وتغيب من عادات وتقاليد المجتمع بحسب رغبة المهيمنين عليها، وهى بما تقدم للناس من فكر علمانى موجه تعتبر من العقبات التى تقف فى طريق الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث.

واذا أرادت الاذاعة أن ترسى عادة اجتماعية معينة أو تغير عادة اخرى لا تفعل ذلك بالطريق المباشر، كما يفعل العلماء والوعاظ والخطباء، ولكنها تلجأ إلى وسائل كثيرة، ومنها الأغنية، والدراما، والاخبار المقصودة وبهذه الوسائل مجتمعة تلح على الفكرة التى تريد لها البقاء، او الفكرة التى تريد ان تغيرها، ومع الوقت تجد هذه الفكرة استجابة من الناس وان كانت مرفوضة قبل ذلك، خذ مثلا فكرة تحديد النسل، لقد انتقلت من غمرة رسمية إلى فكرة مقبولة من بعض قطاعات الجماهير. والإذاعة تصل الى ما تريد عن طريق الأغنية والتمثلية، والمستمتع حينما يتابع الصوت والنغم او يتابع الخط الدرامى للأحداث فى التمثيلية،لا ينتبه إلى الفكرة التى من اجلها تذاع الأغنية او التمثيلية، ولكنها تترسب فى اللاشعور وتنعكس سلوكا بعد ذلك. والمستمع فى العصر الحديث يقبل اخطر الافكار على دينه ودنياهم من خلال النغم العذب والصوت الشجى، والموقف التمثيلى المسلى والمضحك احيانا.

وتصل الإذاعة الى الريف و الحضر وتخاطب كل فئات الشعب مثقفين، ومتعلمين واميين، وتصيغ العقول فى القالب الذى تريده، واذا كان معظم العاملين بالإذاعة والذين يكتبون لها برامجها من الذين يتمتعون بالثقافة الغربية العلمانية، فلاشك أن الإذاعة تلعب دورا خطيرا فى رسم الشخصية العامة للدولة.ولا يغير من

---

[1] انظر سيره ابن هشام ج ١

هذا وجود برامج دينية وفقرات قرآنية فى أوقات ثابتة، نظرا للمساحة الزمنية الضيقة المخصصة لهذه البرامج والتى تجعلها لا تلبى حاجة المجتمع للثقافة الدينية.

٢- الإذاعة المرئية:

والتليفزيون هو الجهاز الذى تسلل إلى معظم البيوت برغبة من اهلها، فنقل الى الأسرة ما تألف وما تنكر من عادات، والتليفزيون يتفوق على الإذاعة المسموعة لانة يستخدم الصوت والصورة فى إبراز ما يريد من افكار.

لقد استطاع هذا الجهاز أن يطلع المجتمع بسمات خاصة فى العادات،والتقاليد، والسلوك، وهى يملأ بعيدة كل البعد عن الاخلاق الإسلامية بل عمل يسمح به العرف فى أكثر المجتمعات.والتليفزيون يرسى سلوكياته فى نفس الطفل قبل أن يعقل المعانى، وهو فى ذلك يتفوق على الإذاعة التى لا تصل الى نفس الطفل الا بعد أن يعقل ما يسمع.

وتنميط سلوك الطفل وهو فى هذه المرحله المبكرة جدا، يجعل من العسير إعادته لدرب الأخلاق الحسنة بعد ذلك، والخوف من التليفزيون على مستقبل الاطفال ليس خوفا اسلاميا فحسب، بل إن أكثر الدول تطرفا فى العلمانية والإلحاد اصبحت تشكو من ذلك، وأصبح المستنيرون فى هذه الدول يطالبون ملحين بإعادة النظر فيما يقدم من برامج من خلال هذا الجهاز.

ولكى يتأكد المرء من خطورة هذا الجهاز فعليه أن يلاحظ عدد المترددين على المساجد أثناء إذاعة المسلسلات التليفزيونية، وسيدرك الى اى مدى اثر هذا الجهاز على سلوك المجتمع المسلم، وهذه من الآثار المباشرة للتلفزيون. اخذ المسلم بعيدا عن بيت الله فى أوقات الصلاة، وتبقى الاثار الغير المباشرة وهى الاثار الفكرية والسلوكية.

٣- الصحف والمجلات:

تطبع الصحف والمجلات فى المدن ولكنها تصل الى الريف عن طريق التوزيع، وهى بهذه الميزة تنقل النشاط الفكرة من المدينة إلى القرية، وهى تشارك الإذاعة المسموعة والمرئية فى تشكيل الرأى العام، وان كانت اقل منهما فى التأثير لعدة أسباب منها:

١- انها لا تصل الا للمتعملين فقط وأغلب الشعوب الإسلامية من غير المتعلمين.
٢- لا يقرأها فى الغالب الا المثقف الذى يفكر فيما يقرأ او يميز بين الغث والثمين.
٣- لها صفة الوثائقية، ولذلك يستعمل كتابها الاسلوب الرمزى فى الكتابة والذى لا يلمسه الا المتخصصون.

ومما يبرز دور الصحف والمجلات فى تشكيل الرأى العام، هذا النشاط الملحوظ فى الثقافة الإسلامية، بعد صدور كثير من الصحف والمجلات الدينية، غير انها جرعات قليلة فى مواجهة تيار العلمانية[1] العاتى فى الصحف والمجلات الاخرى.

٤- الكتب والمطبوعات:

والكتب والمطبوعات من الاشياء المهمة التى تساهم فى تشكيل الشخصية العامة للوطن، وهى تنقل من المدينة إلى الريف، وهى ليست وجبة فكرية سريعة

---

[1] انظر مقال فؤاد زكريا، فى الاهرام، وفيه يرفض تطبيق الشريعة الإسلامية، ص ٧ بتاريخ ٢٣/٩/١٩٨٥ م

الاستهلاك، مثل ما يقدم فى الإذاعة المرئية والمسموعة، بل يظل أثرها باق فترة طويلة، واحيانا يتجدد هذا
الاثر بالرجوع إليها مرة بعد مرة، ومن هنا كان لها اثر كبير فى تشكيل الشخصية العامة.

وبسقوط الخلافة[1] الإسلامية، واتجاه معظم الدول الإسلامية إلى النظم العلمانية، ويفعل الاستعمار الأجنبى الموجود فى هذه البلاد، بدأت تظهر فى كثير من الدول الإسلامية كتب ومطبوعات تدعو الى العلمانية.

وفى مصر ظهرت من هذه النوعية كتب كثيرة منها على سبيل المثال مؤلفات سلامة موسى، وموقف واحد او نموذج واحد من بين هذه الكتب يبين بوضوح استغلال الكتاب المطبوع لنشر الأفكار العلمانية فى المجتمع، وتشكيل الشخصية العامة للوطن بمثل هذه الكتابات وغيرها.

وعن الحرية الجنسية التى يتمناها للشباب يقول سلامة موسى: (ثم يخرج الشاب الى مجتمع قد انفصل فيه الانسان، بل إن هناك شبابا مصريين قد بلغوا العشرين او اكثر ولم تتح لهم هذه الحياة الشرقية التى يعيشون فى بيئتها أن يقعدوا الى آنسة او يسايروها فى الطريق، او يشتركوا معها فى الحديث، فهم فى وحشه اجتماعية لا يعرفون كيف يعاملون امرأة، بل عندما يسأل احدهم عن عقيدته فى المرأة يجيب بسخافات نشأت فى ذهنه لأنه لم يعامل قط امرأة)[2].

ولم تقف دعوة العلمانيين عند الاباحية الجنسية فى كتبتهم، بل حاولوا تغيير الشخصية العامة تماما، ونجحوا فى ذلك الى حد بعيد، ولذلك أصابهم الذعر والهلع عندما استيقظت الروح الإسلامية اخيرا وبدأ نورها يسبح فى سماء الوطن، وتحولت كتاباتهم الى ما يشبه الصراخ والف احدهم كتابا[3] يحذر فيه من انتشار التيار الاسلامى واطلق على متابع اسنا يعبر عن الحاله النفسية التى تسيطر عليه، وعلى امثاله من العلمانيين.

والسؤال الذى يطرح نفسه على ساحة البحث هو: أليست هناك كتبا اسلامية بجانب الكتل العلمانية تساهم فى تشكيل الشخصية العامة؟

نعم، هناك كتاب اسلامية ولكنها لا تنسق مع النظام العلماني فى معظم البلاد الإسلامية، ولذلك كان أثرها ضئيلا فى تشكيل الشخصية العامة، انا الكتب العلمانية فهى مدعومة بقوة النظام العلماني الذى تدافع عنه ويدافع عنها، ويدوران معا كالعلة والمعلول وجودا وعدما، ولذلك كان لهذه الكتب الدور الأكبر والأخطر فى تشكيل الشخصية العامة للوطن فى اى بلد اسلامى توجد فيه.

٥- المدراس:

والمدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية لها دور كبير فى تشكيل الشخصية العامة للوطن فى كل بلاد العالم، واذا كانت هذه المدراس تخضع للنظام العلمانى

---

[1] أسقطت الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤، الدول الإسلامية الحديثة والمعاصرة: د.عمر عبد العزيز، ط. دار الطباعة والنشر ١٩٨١ م. ص ١٠٩.

[2] سلامة موسى: الشخصية الناجعة، ص ١٥ وما بعدها فى موضوع التحرر الجنسى.

[3] كتاب قبل السقوط، لمؤلفه د. فرج فؤاده، ويقصد قبل سقوط النظام فى ايدى الإسلاميين، وهو يستعدى السلطة على الشباب المسلم كما ترى.

فى التعليم، فسوف تشارك مع غيرها من المؤسسات العلمانية فى رسم شخصية علمانية للوطن.

٦- نظام التعليم المجانى:

وعن نظام التعليم العلمانى يقول الاستاذ انور الجندى: (لقد سيطرت النظريات الغربية الثلاث: الفرنسية، والانجليزيه، والأمريكية، على المدرسة وفرضت اسلوبها، وتجاهلت تماما اى اعتبار العربى او للمسلم، وانما حاولت أن تشكل هذا الدارس وكأنه غريب تماما عن بيئته وثقافته)[1].

وعن التعليم العلمانى يقول الاستاذ انور الجندى - نقلا عن احد المستشرقين-: (لقد استطاع نشاطنا التعليمى والثقافة ط عن طريق المدارس العصرية والصحافة أن يترك الى حد بعيد)[2].

وهذه الحالة اللادينية فى التعليم تنشأ عن أسلوب إعداد البرامج التعليمية ؛ لانها لا تقف عند حد تجاهل الدين كمادة أساسية يجب أن تخطى بكل العناية، بل يتجاوز ذلك إلى تدريس المواد التى تؤسس للالحاد وتهوين العقيدة عند المسلم، (وحين نقدم للدارس المسلم والعربى نظرية "دارون" - مثلا - على انها مسلمة، علمية، ونقيم عليها مفهومة عن الانسان، فيتقرر فى نفسه أنه حيوان، ثم نعلمه مفاهيم"سبنسر » فى التطور المطلق للمجتمعات استمرار لنظرية "دارون" فى التطور البيولوجى فإننا حينئذ نفصله عن اساس عميق و اصيل فى الفكر الاسلامي، تضطرب معه كل النظريات والمفاهيم والقيم)[3].

والمسأله كما هو واضح لا تقف عند حد تدريس الافكار المتحررة للبنين والبنات، بل الأخطر من ذلك هو استخدام العلوم الطبيعة لضرب المقدسات الإسلامية، ووضع هذه المواد الخطيرة فى البرامج والمقررات المدرسية لا يتم عفوا، وانما هو هادف، والغرض منه تكوين رأى عام، وصناعة شخصية جديدة للبلاد الإسلامية، وهذا الحقد على الإسلام يبدو بوضوح من تقرير رفعه نفر من المهتمين بالتعليم العلمانى الى رؤسائه بعد محاكمة مجموعة من الدعاة فى احدى البلاد الإسلامية.

يقول التقرير: (أن تدريس التاريخ الاسلامي فى المدارس للنشئ بحالته القديمة، يربط الدين بالسياسة فى لا شعور كثير من التلاميذ منذ الصغر، ونحن لا نستطيع أن نميز بين معتنقى هذه الأفكار وغيرهم، ونطالب بالاتى:

١- محو فكرة ارتباط الدين بالسياسة

٢- إبادة تدريجية بطيئة مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم بحمل الدعوة الإسلامية والاجيال التانية له)[4].

ولقد وصل الغرب الصليبى الى هدفه فى الكيد للاسلام، من خلال الحث على ازدواجية التعليم فى البلاد الإسلامية،(وهكذا مثلث "الازدواجية" فى التعليم تكتيكا مرحليا مارسه اعداء الاسلام فى الشرق الاسلامى المسكين)[1].

---

[1] الاستاذ انور الجندى: التربية وبناء الاجيال، ص ١١٤، طو. دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٢ م.

[2] المرجع السابق، ص ٩٤.

[3] المرجع السابق، ص ١٢٦، ١٢٧

[4] د..على محمد جريشة: الزنزانة، ط. دار الشروق.

والاختلاط من عناصر تكوين الشخصية العلمانية للوطن، لذلك حظى باهتمام كبير من العلمانيين، وأصبح من السمات الأساسية للتعليم العلمانى، ويقول الدكتور على جريشة: (وتوسعوا فى الاختلاط فجعلوه فيفي المرحلة الابتدائية، وهى عند البعض قد تضم بعض سنوات المراهقة، وجعلوه فى المرحلة الثانوية، وهى اخطر ما تكون، وتزداد المهزلة حين يجعلون على هؤلاء المراهقين مدرسات، لتمتد النيران ما بين التلاميذ والمدرسات، فتنهدم قيمة احترام المدرس مع ما ينهدم من قيم بالاختلاط او مع الاختلاط)[2].

ومع كل ما يصاحب الاختلاط من مفاسد، نجد أن هناك فلاسفة مهمتهم هى تبرير كل فعل شاذ بين فتى وفتاة، ويوقولن انه تعبير عن الود، وأنه امر طبيعى، والواضح أن القصد من هذه المحاولات ليس هو الحرص على متعة الشباب المحرمة فقط، ولكن القصد هو استغلال هذا الأمر للتأثير على الشباب وهز القيم الإسلامية فى نفوسهم.

ويقول الدكتور محمد محمد حسين- نقلا عن احد علماء التعليم العلمانى قوله _: ك وفى كل علاقة بين فتى وفتاة يشعر كل منهما فى بعض الاحيان بدافع يحفزه على التعبير عن حبه، وتقديره للآخر بلمسه، او قبلة او ضغطة على اليد، والكشف عن المشاعر بهذه الطريقة والاستجابة لها امر طبيعى، والشوق الى القبلة او بعض من الغزل الرقيق، او الانصات لقصة فيها تلميحات جنسية فهذه ليست امور شائته)[3]. هذه توجيهات مؤسسة "فرنكلين" الأمريكية، وهى لم تكتف بالاختلاط بل تشجع على المزيد منه، وفى هذا تهوين للإباحية، وتصوير لها وكأنها من جملة المقررات المدرسية، وتطلب من المعلمين غض الطرف هما يحدث بين الجنسين من مداعبات جنسية.

ان جيلا ينشأ على استحلال المحرمات وعدم الخضوع لأوامر الدين ونواهيه، لحرى به فى مستقبله أن يكون مفرطا فى دينه ووطنه وشرفه، وهذا الجيل المفرط هو امل الغرب الصليبى فى البلاد الإسلامية، مثل هذا الجيل يمهد- بتصرفاته الاباحية- لوضع سد منيع بين المسلمين وبين قيمهم الإسلامية العريقة فيما يستقبل من ايام.

والاستاذ بركات عبد العزيز محمد يقول: (فلو كان هذا الوعى موجودا فى نفوس الناس بالدرجة المفروضة، لما وجدت هذه الاستباحية، وهذه الانتهاك لحرمات الدين من خلال مشاهدة الجنس العارى، والعنف والنذالة، من خلال الدراما المستوردة، او القادمة من الخارج بأى اسلوب سرى او علنى)[4] (٢.(يشير النص السابق إلى أن اختفاء الوعى الاسلامى هو الذى مهد لهذه الموجة من الاباحية. واستعداد المجتمع المسلم لقبول الاباحية لا يتم عفوا، انما ام الاعداد له من خلال مراحل كثيرة، فى التعليم بدأت بالمدرسة الابتدائية ثم

---

[1] د. على محمد جريشة: أساليب الغزو الفكرى، ص ٦٩، ط. دار الاعتصام.

[2] المرجع السابق، ص 68.

[3] د. محمد محمد حسين: حصوننا مهددة من داخلها، ص ٦٠، ط مكتبة المنار بالكويت.

[4] ا لاستاذ بركات عبد العزيز محمد: الاذاعات العربيه، مجلة المنار الاسلامى العدد رقم (١) ص ٨٢، السنة الثانية عشر ١٩٨٦ م.

الاعداديه ثم الثانوية، والجامعة بعد ذلك. وفى المجالات الأخرى كالإعلام وغيره من المرافق ثم الغزو بالتدريج كذلك.
واستخدمت المدرسة بعد ذلك ليست كمركز لغرس الأفكار العلمانية فحسب، بل كخلية للتأثير على قيم الاسلام فى معظم البلاد الإسلامية، ويقول الدكتور على جريشة عن المرأة فى الريف وعزوها من خلال المدرسة: (لم يسأل المخططون لتغريب المسلمين أن يتركوها فى حالها- المرأة الريفية- وخبائها، واصروا على ان يغزوها فى عقر دارها، ليذهبوا بما بقا من حيائها، لتشارك اختها فى المدينة ما وصلت إليه من مدينة تحت ستار الأمم المتحدة، وانطلقت امريكا تغزو الريف المسلم باسم التربية الاساسية)[1]، وخلاصة التربية الاساسية (انها تسعى لتغيير الأفكار والمفاهيم)[2].
وتغيير المفاهيم مقدمة أساسية لتغيير شخصية المجتمع عامة، ومن يلق نظرة متأنية على صفحة الحياة العامة فى اى بلد مسلم، يدرك على الفور مدى النجاح الذى وصل إليه أنصار العلمانية، من خلال نشاطهم فى البلاد الإسلامية، والذى يتلخص فى الآتى:
١ -تعليم الاطفال فى المدراس بكل مراحلها القراءة والكتابة، والاستعداد لقبول الأفكار العلمانية الاباحيه، واحيانا تدريبهم على ممارسة هذه الأفكار بشكل عملى، كما فى الاختلاط مثلا.

ف - 0

إذا نشأت الاجيال المسلمة وهى تحمل الخصائص العلمانية، كان من السهل بعد ذلك غزو هذه الاجيال فكريا، وفى وقتنا الحاضر فى كل البلاد الإسلامية وخذ مصر على سبيل المثال، تجد أن اقصى امل للشباب بعد التخرج من التعليم العلمانى أن يعيشوا حياتهم بطريقة عصرية، وهى ترادف فى خيالهم لفظة- الاباحية-، وأصبح هذا طابعا عاما، وانتقلت العدوى إلى بعض خريجى الازهر الشريف، صحيح. انه لم يحلم- خريج الازهر- بما يحلم به زميله خريج التعليم العلمانى من التنعم بالحياة العصرية، ولكنهما يلتقيان فى نقطة أو نقاط على كل حال. وهذا اساس هام من اسس مكتسبات الشخصية الفردية من الشخصية العامة، وهو قبل ذلك سبب من اسباب هروب طلاب الأزهر من الاقسام التى تؤهلهم للدعوة، ليسهل عليهم بعد ذلك الاقتراب من الحياة العصرية، او الالتحام بها، او الاندماج فيها فى بعض الحالات. ويترتب على هذا نتيجة ليس من

المستبعد أن نلمسها من الان، وهى أنه كلما انضبط الشارع المسلم بمعايير الاسلام، كثر عدد الذين يرغبون فى العمل مدعاة من خريجى الازهر الشريف.
وكلما حققت العلمانية نجاحا ملموسا فى حقل ما، كان ذلك النجاح مخصوما من حساب الاسلام والايمان فى هذا الحقل، ولما تأكد نجاحها فى التعليم

---

[1] د. على جريشة: أساليب الغزو الفكرى، ص ٨٨.
[2] د. محمد محمد حسين: حصوننا مهددة من داخلها، ص ٤٨.

اهتزت القيم وبدأ البحث عن ادله لوجود الله. يقول الاستاذ محمد المجذوب: (ولقد دخلت مرة إلى صف.... فى حصة البلاغة فألفيت على السبورة بالخط الكبير: "ما الدليل على وجود الله"... فقلت: يؤلمنى أن اجد بينكم من لا يزال فى حاجة إلى مثل هذا الدليل.. فوقف احد الطلاب ليقول: عفوا ايها الاستاذ .. اننا نطلب هذا الدليل لنقدمه الى مدرس الرياضيات الذى استفد الحصة قبلك فى حشد البراهين العلمية على نفى وجود الله، لأنه يستحيل على رأيه الايمان بوجود شئ لا يخضع للرؤية والتحليل)[1].

وهدف الغرب الصليبى هو العودة بالمسلمين الى ساحة الكفر الضيقة اليائسة، لانهم يحسدونهم على إيمان التوحيد الخالص القول الذى يمنح أتباعه القوة الشاملة في الدنيا و السعادة الكاملة فى الآخرة. يقول الله تعالى عن حقد اهل الكتاب على المؤمنين: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق)[2] الايه.

وهدف الغرب الصليبى- فى القديم والحديث- هو اخراج المسلمين من اسلامهم وتشكيكهم فى عقيدتهم، وهو يصل الى ذلك عن طريق بعض المواد الدراسيه التى تأخذ بيد الدارس خطوة خطوة حتى تصل به إلى الإلحاد الكامل، واستخدام الاختلاط وإثارة الغزائر فى التلاميذ والطلاب، وكلها وسائل مساعدة للوصول للهدف الاصلى.

واساليب الغرب تتطور دائما لتغيير الشخصية العامة للمسلمين، مع الاساليب السابقة ثم وضع برامج تعليمية المبكرة وهى فى عامها الدراسى الاول، الصف الاول الابتدائي، وهذه الطريقة من المؤكد انها غزت اكثر بلاد العالم الاسلامى الآن، وخلاصة

هذه الطريقة هو وضع صورة فى مواجهه كل لفظ فى كتاب[3] القراءة، وتعليم الطفل فى هذه المرحلة أن كل ماله لفظ له صورة يرسب لدية فى العقل الباطن- فى اللاشعور- انكار كل ما ليس له صورة، ومعنى هذا انكار الغيب عند الصبى، والعودة بالبشرية للسيرة الاولى، للوثنية فى الفكر والعبادة حيث كان الانسان يأخذ الهه بين يديه ويقيله او يفعل به ما يشاء.

انها امور تبدو للرائى بسيطة، ولكنها فى بساطة الذرة وفى قوردة تفجيرها ايضا، والمسلمون مطالبون الآن بالعودة إلى التعليم الاسلامى الاصيل، لقد كانوا يعلمون أطفالهم الحروب والالفاظ محردة عن صورها، ومع ذلك صنعوا اعظم حضارة فى التاريخ، ولو كان فى هذه الطريق عيب لأوقف تقدمهم فى كل محلات الحياة، ولكن هذا لم يحدث، لن يحدث اذا عدنا الى الطريقة الإسلامية الاصليه فى التعليم.لقد استطاع التعليم العلمانى الدخيل تغيير الشخصية الإسلامية، ليس فى المدراس فقط بل فى كل محلات الحياة.

---

[1] محمد المجذوب: مشكلات الجيل فى ضوء الاسلام ص ٢٩، ط. دار الاعتصام ١٩٧٨ م.

[2] البقرة: ١٠٩ .

[3] انظر كتاب القراءة للصف الاول من المرحلة الابتدائية ووضع الصورة امام اللفظ وتعليم الالفاظ قبل الحروف، هذه الطريقة تسمى الطريقة الأمريكية فى التعليم.

الجامعة:

ومن تاريخ انشاء جامعة فؤاد الاول عام ١٩٢٥ م فى مصر والعمل مستمر من جانب العلمانيين لتغيير شخصية مصر الإسلامية، وازدواج التعليم فى مصر لم يكن الغرض منه تطوير هذا البلد، بدليل أنه لم يطور، و مصر للآن تعتبر من دول العالم الثالث الفقيرة، وانما كان الغرض من هذا الازدواج هو ضرب الازهر الشريف في مقتل، لأنه هو الذى يحفظ على مصر الإسلامية شخصيا، اذا ظل امر التعليم فيها موكولا اليه.

وبدأت جامعة فؤاد الاول فى العمل وبدأ الاهتمام بخريجيها بتزايد بقدر ما ينقص الاهتمام بالأزهر وخريجية، وأصبح الأزهر يطالب بالمساواة[1]

وبدأت تظهر المبادئ العلمانية فى جامعة فؤاد وما تلاها من جامعات علمانية فى مصر، وأصبح من سمات الجامعات العلمانية الاختلاط بين الجنسين، والتحور من كل القيم الاجتماعية، والتجرد من القيم الدينية بحجة حرية البحث العلمى، وغدت الرحلات من كل القيم الاجتماعية المشتركة بين الجنسين الى اماكن بعيدة عن رقابة الاهل، داخله فى صميم برامج ومناهج هذه الجامعات، وأصبح هذا الشباب من اشد الناس دفاعا عن الإباحية، وبعد التخرج سيذهب هذا الشباب الى

اماكن مرموقة ومؤثرة فى بناء شخصية المجتمع العامة، وهو بالطبع لن يتنازل عن أفكاره الجامعية السابقة فى إدارة حياته وحياة الآخرين، وهكذا تغيرت الشخصية العامة بفعل هذه الجامعات العلمانية.

ويقول الدكتور على جريشة- عن الاختلاط فى الجامعة-: (لقد نشروا الاختلاط بين الجنسين فى مراحل التعليم المختلفة، وقد بدأوا به فى الجامعات فى أكثر البلاد الإسلامية، وتحت دعاوى التقدم والتمدن ونشر الروح الجامعية، وكأن التمدن ونشر الروح الجامعية لا يتم إلا بإشعال نار الغرائز، وتأجيج سعار الشهوة فى سن الشباب الملتهب)[2].

وخرج الانحلال من الجامعات العلمانية إلى قطاعات كثيرة من المجتمعات الإسلامية، (ومن آثار الانحلال أن موجة جديدة سرت فى المجتمع امتدادا لهذه البدع، بين فتيات الجيل وفتيانه، إذ ترى الفتيات يقلدون الشباب فى لباسهن، إذ انهن يجدن فيها حريه أوسع فى ممارسة الفساد، وحيث يندسسن بين الشباب، فلا يثرت فضولا، او حيث السراويل الضيقة تجعل احساسهن بالجنس دائما، كما أن فئة من الشباب سرت فيهم الميوعة والتطرى،وغلب عليهم الطابع الأنثوى، فأصبحوا يقلدون البنات فى كل شئ)[3].

ومن هذه الدراسة للشخصية العامة المصرية، كنموذج للشخصية العامة لأكثر البلاد الإسلامية، ينضح بما لا يقبل الشك أن الشخصية العامة المصرية قد تغيرت عن ذى قبل. فهل تغير الازهر الشريف بفعل هذا التغير ؟ وهل تغير الداعية المسلم بتغير

---

[1] د. محمد البهى: غيوم تحجب الاسلام، ص ١١٠ وما بعدها.

[2] د. على جريشة: أساليب الغزو الفكري، ص ٦٧.

[3] محمد احمد السباعى: المرأة بين التبرج والتحدي، ص ١١٧ مطبوعات البحوث الاسلامية.

المجتمع؟.
والإجابة على هذا السؤال تستلزم بحث التغيرات التى طرأت على الازهر الشريف كأكبر مؤسسة لتخريج الدعاة والتغيرات التى طرأت على سلوك الداعية .

اولا: الازهر الشريف:

فى البداية لابد من كلمة حق تقال، فالأزهر الشريف كان وماي زال هو الحارس الامين على الشريعة الإسلامية واللغة العربية، وحامل لواء الدعوة الإسلامية التى تغلغل نورها فى أكثر مناطق العالم، وقبله طلاب العلم من المسلمين فى كل مكان.
وما حدث من تغير الأزهر الشريف بضغط من الشخصية العامة كان تغيرا شكليا لا تغيرا فكريا يشمل جوهر الثقافة الإسلامية. وهذا التغير فى معظمه يرجع إلى موقف الاستعمار البريطاني من الأزهر الشريف، وقوانين تطوير الأزهر بعد ذلك.
وعن موقف الاستعمار البريطاني من الأزهر يقول الدكتور محمد البهى: (ابتدأت فاعليه الاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ م، مع بدايه القرن العشرين فيما يتعلق بالازهر واداء رسالته، فالبريطانيون الذين احتلوا مصر لصالح صناعة النسيج فى "لانكشير" لا ينسون دور الأزهر فى مقاومة الغزو الفرنسي لمصر فى عهد نابليون بونابرت- ١٧٦٩: ١٨٢١- ولذا ركزت السياسة البريطانية فى التعليم فى مصر على أمرين: ازدواج التعليم، والغاء استقلال الازهر)[1].
والغرض من ازدواج التعليم هو خلق منافس قول الازهر الشريف، والتعليم المدنى اكثر ملائمة للحياة العلمانية، التى يريدها الاستعمار الغربى البريطانى لمصر.
من دعم التعليم العلمانى يقول الاستاذ عبد المتعال الصعيدي: (فلما أنشئت الدراسات العليا في كليه دار العلوم،بتسب ما يسمونه من الشهادات بالماجستير، والدكتوراه، رأى طلبه الازهر انهم سيكونون دون أن أنهم خريجى كلية دار العلوم فى هاتين الشهادتين، فقاموا يطلبون فتح هذه الدراسات العاليه فى كلياتهم، ليحصلوا بها على شهادة ترقى من الشهادة العاليه وشهادة إجازة التدريس)[2]، وهذا النص بين الحال التى وصل إليها الازهر الشريف فى ظل الاستعمار، حيث أصبح طلبته يطالبون بالمساواة لطلبه الكليات العلمانية فى شهادتى الماجستير والدكتوراه.
وكان الاستقلال المادى الازهر عن الدولة من عوامل نجاحه فى أداء رسالته، وكان لابد للإستعمار أن يقضى على هذا الاستقلال كخطوة أولى نحو تغيير شكل اداء الازهر الشريف، (أن الاحتلال البريطانى- وهو موقف لا تملك فيه الدولة هناك أن تملى رأيها السياسى على الكنيسة، لا بسبب منزلة الكنيسة فل نفوس التابعين وسيطرتها عليهم سيطرة تمكنها من الانتقام ممن يخرجون عليها من هؤلاء الأتباع، ولكن بسبب رئيسى آخر وهو استقلالها فى التمويل، والاتفاق على رسالتها من أموال تملكها، وتشرف عليها اشراقا مباشرا او غير مباشر)[3].
وفى عام ١٩١٥ م (رأى المستشار المالى للحكومة المصرية وهو من رجال

---

[1]. محمد البهى: غيوم تحجب الاسلام، ص١٠٣، ١٠٤، ط مكتبة وهبه: ١٩٧٩ م.
[2] عبد المتعال الصعيدي: تاريخ الاصلاح فى الازهر ص ٦٨، ط دار الاعتماد، مصر.

[3] د. محمد البهى: غيوم تحجب الاسلام، ص ١٠٦

السلطة البريطانية، أن يقوم بتجربة مثيرة فى مجال الاوقاف الخيرية المرصودة عل التعليم فى الازهر، او التى يتندر عليها شيخ الازهر، فأرسل إلى شيخ الازهر كتابا يعرض عليه مساعدة الحكومة المصرية المالية، بدعوى تحسين الوضع المالى لعلماء الأزهر، واقتراح أن تقوم وزارة الماليه بتقديم ما يحتاجه الازهر من مال، وفى مقابل ذلك تشرق الحكومة المصرية على أوقاف الازهر، ضمانا لحصولها على الريع الذى تأتى به هذه الاوقاف)[1]

وكان لإلغاء الاستقلال المادى الازهر اثرت على سلوك بعض العاملين به، وارتبطوا بالسياسة العامة اكثر من ذى قبل، ولقد قسمهم الدكتور محمد البهى كما يلى :

١ -فريق يتبع سياسة القصر مباشرة.

٢ -وفريق ي تلك بسياسة الوفد الحزبية.

٣ -وفريق مع الأحزاب الدستوريين.

3-واخيرا فريق تابع للحزب السعدى.

-ثم يقول فضيلته: (وقوانين اصلاح الازهر التى صدرت قبل ١٩٥٢ م كانت لإغراء علماء الازهر اغراء حزبيا سياسيا)

ثم يقول (وبانتهاء النصف الاول للقرن العشرين اصبح الازهر معهدا للتخريج للوظائف المختلفة، وليس مركزا للفتوى والمرأة)[2]

وهذا التأثر الشكلى الذى أورده فضيلة الأستاذ الدكتور محمد البهى جاء كنتيجة مباشرة لمؤامرة الغاء الإستقلال المالى للأزهر، والذى جاء هو الآخر بضغط التيار العلماني الأجنبى والمحلى على الازهر الشريف، للنيل منه ومن علومه،واضعاف موقفه فى مقاومة الأجنبى والذى اشتهر به على مر التاريخ.

وجاء قانون تطوير الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م فأضاف للأزهر الشريف عبء دراسة المواد العلمانية بجانب المواد الدينية، ويتحدد تأثر الازهر بهذا القانون كما يلى:

1- صرف الازهر قليلا عن رسالته الأساسية، وهى المحافظة على الشريعة الإسلامية واللغة العربية، والقيام بواجب الدعوة الإسلامية.

3 -إضافة المواد العلمانية إلى المواد الدينية، أضعفت مقدرة طلاب الأزهر الشريف على التحصيل، وانعكس ذلك على مستواهم العلمى، وهذه ظاهرة يجب ان تسجل، لان التفوق في العلوم الدينية والعربية كان من سمات طلاب الأزهر قبل التطوير.

٣ -تخلى اكثر الازهريين عن زيهم الازهرى بعد قانون التطوير، وإن كان هذا يعتبر استجابة لضغط التيار العلماني فى المجتمع ككل.

٤ -وجود كليات علمانية ليس لخريجيها علاقة جدية بالدراسات الدينية، ومع ذلك يحسبون على الازهر الشريف، مع انهم يسيئون الى الازهر بتصرفاتهم الشخصية وجهلهم بالدراسات الدينية، وهذا يساعد على تغيير فكرة المجتمع عن الازهرى المحافظ الملتزم الوقور.

---

[1] المرجع السابق، ص ١٠٧.

[2] المرجع السابق، ص ١٠٨، ١١٠.

وعظ تأثر الازهر بالشخصية العامة بعد قانون التطوير سنة ١٩٦١ يقول الدكتور محمد البهى: (وازهر النصف الثانى من القرن العشرين الآن يختلف اختلافا كبيرا عن ازهر ما قبل القرن العشرين، كما يختلف عن ازهر النصف الاول من هذا القرن، فالأزهر المعاصر ازهر يدور برأسه وبموقفه فى مجال السياسة التى ترسم له، ويحاول أن يجذب الى رأيه وموقفة الاسلام جذبا، وقد يشده إليه شدا عنيفا ارضاء للحاكم السياسى وابقاء على الوظيفة التي يتقلدها صاحب الرأى او الموقف، حتى أصبحت الإشتراكية العلمية- اشتراكية "ماركس" وبلشفية "لينين"- تجد لها تقديرا فى بحوث علماء الازهر، يتقربون بها إلى الحاكم الاشتراكى، ويضعون عليها سمة من الاسلام، والاسلام فى جوهره بعيد عنها كل البعد)[1].

وليس من اليسير على الباحث أن يسلم بكل ما جاء فى كلمات استاذنا الدكتور محمد البهى، لأنه تحدث عن الازهر وذكر تصرفات بعض رجال الازهر، وهؤلاء الذين تأثروا بالشخصية العامة للدولة، ليسوا هم كل الازهر، فالازهر هو الشريعة الإسلامية واللغة العربية، والدعوة الإسلامية، وكل ذلك لم يتأثر تأثرا جوهريا، أضف إلى ذلك أنه فى الوقت الذى كان يسير فيه البعض فى تيار العلمانية، كان يتصدى له البعض من العلماء الاجلاء لتفنيد آرائه، وبما أن علماء الازهر هم الذين يرفضون الفكر المنحرف من بعض الازهريين، فيتأسس على ذلك ان الازهر الشريف مازال بخير وان تأثره من الشخصية العامة لم يكن تأثرا فكريا وانما كان تأثرا شكليا، يسهل علاجه، والتخلى عنه والعودة لشخصية الازهر الشريف فى امجد عصوره، وهذا هو امل المخلصين للإسلام والأزهر الشريف.

ثانيا: مكتسبات الداعية[2] من الشخصية العامة[3]:

اذا كانت الازهر الشريف لم يتأثر جوهريا بالشخصية العامة للمجتمع، فإنه الأمر يختلف كثيرا بالنسبة للدعاة من رجال الازهر وخريجى الازهر عموما، فقد تأثروا بالشخصية العامة للمجتمع الى حد بعيد، ويمكن ذكر بعض نقاط عن تأثرهم كما يلى:

١- تمشيا مع الزى الاوربى الذى انتشر فى المجتمع، وخوفا من سخرية المجتمع العلمانى من الدعاة، خلع الازهرى زيه الازهرى، الذى كان من سماته المميزة، يجلب له احترام المجتمع، ويمنعه عن مشاركة العامة فى لهوهم، وبخلع هذا الزى اقتربت المسافة كثيرا بين الداعية وغيره من عامة الناس.

٢ - احجام الكلاب عن الالتحاق بأقسام الدعوة.

---

[1] د. محمد البهى: غيوم تحجب الاسلام، ص ١١٦.

[2] الشخصية الفردية

[3] المجتمع..

٣- بعض الدعاة يشاركون فى الاحزاب السياسيه، ووجهه معظمهم المساعدة ف تطبيق الشريعة الإسلامية، وهو تأثر من حيث أنه لم يكن موجودا قبل ذلك[1].

وانت مفروض من التنظيم العلمانى للمجتمع.

٤ - بعض الدعاة يشجعون الفرق الرياضية، ويبلغ تعصبهم لها تعصب العامة لهذه الفرق.

٥ -اصلك تكوين الثروات عند بعض الدعاة هدفا فى حد ذاته، ولكنه لم يكن من أدب الدعاة المخلصين، ورجال الازهر السابقين على كل حال.

٦ -اكثر الدعاة الآن يمتلكون "الإذاعة المرئية" و "التليفزيون" وهى تنقل إليهم الحياة السلوك العلمانى فى الداخل والخارج، ومشاهدة أسرة الداعية لهذه الأجهزة تقربهم من السلوك العلمانى، واذا تسامح الداعية مع اسرته فى شئ من السلوك العلمانى التليفزيونى فإنه سيسامح فى مثل هذا السلوك فى المجتمع الكبير، ومع التسامح يكون التسليم، وشيئا فشيئا يصبح السلوك العلمانى بالنسبة للداعية سلوكا عاديا.

٧ -ارتياد بعض اماكن اللهو مالمسارح والسينما.

٨ -وجود معظم مظاهر الحياة العلمانية الأوروبية فى بيوت كثير من الدعاة كاستجابة للتيار العلماني فى المجتمع.

٩ -ضعف الكفاءة العلمية للدعاة، وبعضهم يفهم فى السياسة واخبار المجتمع اكثر مما يفهم من كتاب الله سبحانه وتعالى، او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

هذا قليل من كثير من جوانب تأثر الداعية بالمجتمع، ولا يشفى النفس الا قول الحق سبحانه وتعالى: (وكفى بربك هاديا ونصيرا)[2]

---

[1] لان الداعية فى السابق كان يعتبر على كل هيئات وأحزاب المجتمع.

[2] الفرقان: ٣١.

الفصل الثالث
دراسة النفس للوقايه والعلاج

تمهيد: عن نظرة الاسلام الى النفي واسباب الصراع النفسى :

اختلفت مدارس علم النفس فى النظرة إلى الإنسان، وتحديد ماهيته اختلافا بينا:

فمنهم من تعامل مع النفس البشرية من زاوية الروح فقط، ومنهم من تعامل معها من زاوية الجسد فقط، وهذه النظرة لا تعبر عن حقيقة النفس البشرية بصورة شاملة .

ولقد جاء الإسلام ليقدم للبشرية النظرية المثالية فى التعامل مع النفس، والنظر إليها من كل الجوانب السابقة مجتمعة، (وتمتاز النظرة الإسلامية إلى الفرد بالشمول، فلم تر الفرد مجرد طاقات او غرائز او ميول، انما الفرد فى هذه النظرة ذات تتكون من حسد وقلب وروح، وهذه الحكومات وثيقة الصله ببعضها، بما لا يمكن- معه- الفصل بينها، وأدنى محاولة للفصل بينها تؤدى إلى الاضطرابات والصراع. وطغيان ركن على الاخر مخالف لسنة الله فى الكون، فحياة الانسان المادية لا تنفصل عن حياة الإنسان الروحية، وهما معا لا ينفصلان عن المشاعر)[1]، ولذلك ربط الاسلام بين عناصر النفس البشرية، وعاملها على انها كل لا ينفصل وجعل ذروة سوائعا وصحتها فى اطمئنانها، (وليس بقاء النفس مطلقا مفيدا للفرد والمجتمع، بقدر ما تكون هذه النفس مطمئنة محبه للخير، تاركة للشر كله، ولذلك خرص الاسلام على المحافظة على النفس، وشرع لها ما يجعلها مطمئنة، حتى لا تكون مصدر اضطراب وباعث تمرد، وعامل يثور بحق وبغير حق)[2].

دراسة النفس للوقاية والعلاج

يتناول هذا الفصل بالبحث علاج النفس المريضة، ووقايتها مما عساه أن يلحق بها

من امراض نفسية، وعلل وجدانية، وسيشمل البحث نماذج من القرأن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وعلم النفس الاسلامى، وعلم النفس بشكل عام.

القرأن الكريم والعلاج النفسى

فى البداية لابد من الاتفاق على ان البحث عن علاج لعلل النفس من القرأن الكريم، يتمشى تماما مع أهداف القرأن الكريم نفسه، واذا كان فى القرأن الكريم هدايه للنفس السوية فإنه فيه أيضا شفاء للنفس المريضة، وتتنوع اهداف القرأن الكريم فى قوله تعالى: (يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور

---

[1] د.بكر زكى ابراهيم عوض: رسالة دكتوراه مخطوطة، بعنوان: السلام فى الرسلات السماوية، ص ٣٨.

[2] المرجع السابق، ص ٣٥.

وهدى ورحمة للمؤمنين)[1].وأى شئ فى الصدور؟ ذكر القرآن الكريم فى آيات اخرى أنه (الوسواس الخناس الذى يوسوس ف صدور الناس. من الجنة والناس)، وهو المرض النفسى على اى مقياس.

وللقرآن الكريم منهاج واضح فى علاج النفس، ووقايتها مما يلم لها من امراض، ويجب أن يكون واضحا أن القرآن الكريم هو كتاب النفس الاول، ولو اتجه إليه العلماء للبحث والدراسة لحصلوا على نتائج باهرة، لان ايه دراسة للنفس البشرية تدور بعيدا عن القرأن الكريم هى دارسة للنفس بعيدا عن مصدر اساسى من مصادر المعرفة العميقة بخبايا النفس البشرية، ويقول الله سبحانه وتعالى عن ماهيه النفس: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)[2].

ويبين القرأن الكريم اضطراب النفس المريضة، خطورة اعتلال النفس على سير حركة الحياة الإنسانية، ويطلب من المسلمين الأستغاذة به سبحانه وتعالى من مرض النفس، وهى لفته عظيمة، لانها تبين خطر المرض النفسى وتأثيره على اتزان الانسان، وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: (قل اعوذ برب الناس. ملك الناس اله الناس. من شر الوسواس الخناس. الذى يوسوس في صدور الناس.من الجنة والناس)[3] ووهذه الايات المباركة فيها من اسرار النفس الكثير، وهى مجملة تشير إلى أن من يطلب الشفاء من امراض النفس المراهقة، ليس أمامه من سبيل إلا أن يفر الى الله، رب الناس، ملك الناس، اله الناس، ويحتمى بهذه الصفات الإلهية، ويدخل فى كنفها، ولا يتيسر ذاك الإنسان الا بالطاعة والتسليم لله سبحانه وتعالى .

ولإعراص عن هذا المنهاج يجعل المرض النفسى يتفاهم ويتعاظم ويصل إلى درجة الضنك، يقول الله سبحانه: (ومن اعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا)[4]، واذا كان الإعراض عن الذكر هو سبب الضنك، فالدعاة لهم نصيب كبير من هذه الآية، لانهم اهل الذكر، وهم من هذا المنظور اكثر الناس عرضة للمرض النفسى بإعراضهم عن ذكر الله سبحانه وتعالى، واتباع الهدى يشفى من الأمراض النفسية ويقى منها، ويرفع الشقاء عن الانسان، قال تعالى: (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يصل ولا يشقى)[5].

مصدر الأمراض النفسية فى القرآن الكريم:

والمرض النفسي ضر، والصحة النفسية نفع، والقرآن الكريم يحدد بشكل قاطع أن الشر والنفع من الله سبحانه وتعالى، يقول الله سبحانه وتعالى فى ذلك: (وتم يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير)[6]، ويقول تعالى: (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله

---

[1] يونس: ٥٧

[2] الشمس: ٧، ٨

[3] سورة الناس.

[4] طه: ١٢٤.

[5] طه: ١٢٣ .

[6] الانعام: ١٧.

يصيب به من يشاء عباده وهو الغفور الرحيم)[1].
والله فى القرآنية الكريم مصدر الضر والنفع ووحدة المصدر تساعد على سرعة الشفاء، لان المريض النفسي يقع عادة هو واطباؤه فى مأزق اكتشاف مصدر المرض- سبب المرض- ويتوقف الشفاء الكامل على هذه النقطة بالذات. واذا كان مصدر الزفت والصرف واحدا وهو الله سبحانه وتعالى، فإنه السبب مختلف، فسيب الخير والنفع للإنسان هو فيض الرحمة الإلهية، وسبب الضر هو عمل الانسان الذى يجعله مستوجب الضر، قال تعالى: (ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلنالك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا)[2].
ويعطى القرآن الكريم صورة كاملة عن المعلومات الاولية الاساسية للعلاج النفسى السليم.
فإذا كان السؤال عن مصدر المرض النفسى- كانت الإجابة أنه الله سبحانه وتعالى. (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو)[3].
--واذا كان السؤال عن سبب المرض النفسى- كانت الإجابة انه بعد العبد عن منهاج الله سبحانه وتعالى: (وما اصابك من سيئة فمن نفسك)[4].
--واذا كان السؤال عن الشفاء- كانت الإجابة أنه فى العودة إلى طريق الله. لأنه هو الشافى: (واذا مرضت فهو يشفين)[5].
واذا توفر للإنسان معرفة مصدر المرض، وعلاج المرض، فإنه قضية العلاج النفسى تصبح فى غاية اليسر، وكل ذلك يتحقق من خلاص القرآنية الكريم.
والقرآن الكريم يرسم الطريق لعلاج النفس المريضة فى أكثر من آيه من آياته العظيمة، وحتى لا يتفرع البحث ويخرج عن هدفه المنشود، سيتناول البحث آيتين فقط، الاولى خاصة بالوقاية، والثانية خاصة بالعلاج.

الآيه الاولى: الوقاية:

فى قول الحق سبحانه وتعالى: (وان استغفر الله ربكم ثم توبوا إليه توبوا إليه يمتكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وان تولوا فإنى اخاف عليكم عذاب يوم كبير)[6] .
يقول الشيخ سيد قطب فى تفسير هذه الايه: (والمتاعب الحسن يكون بالنوع كما يكون بالكم فى هذه الدنيا.... اننا نشاهد كثيرا من الطيبين الصالحين الكستغفرين التائبين العاملين فى الحياة مضيفا عليهم فى الرزق فأين هو المتاع الحسن؟ وهو سؤال اعتقد انه يتحرك على السنة الكثيرين، ولابد لإدراك المعنى الكبير الذى يتضمنه النص القرآنى أن ننظر إلى الحياة من زاوية اوسع، وننظر إليها فى محيطها الشامل العام، ولا نقتصر منها على مظهر عابر،.. أنه ما من جماعة يسود

---

[1] يونس: ١٠٧.

[2] النساء: ٧٩.
[3] النساء: ٧٩.
[4] الشعراء: ٨٠.
[5] هود: ٣.

فيها نظام صالح قائم على الايمان بالله، والدينوية له وحده، وافراده بالربوبية والقوامة، وقائم على العمل الطيب المنتج فى الحياة، الا كان لها التقدم والرخاء والحياة الطيبة بصفة عامة، الا سادفيها العدل بين الجهد والجزاء، والرضا والطمأنينة بالقياس إلى الأفراد بصفة خاصة، فإذا شاهدنا فى جماعة ما أن الطيبين العاملين المنتجين مضيق عليهم فى الرزق والمتاع الطيب، فذلك شاهد على أن هذه الجماعة لا يسودها النظام المستمد من الايمان بالله القائم على العدل بين الجهد والجزاء، على أن الأفراد الطيبين الصالحين المنتجين فى هذه الجماعة يمتعون متاعا حسنا، فطمأنينة القلب الى العاقبة، والايمان بالله، والرجاء فى نصره، وفى احسانه وفضله عوض عن كثير، ومتاع حسن للإنسان الذى يرتفع درجة عن الحس المادى الغليظ)[1].

والشيخ سيد قطب يعتبر المتاع الحسن فى الدنيا مادى ومعنوى، واذا لم يتحقق الجانب المادى فلابد من تحقق الجانب المعنوى وهو من الاهميه بمكان للنفس البشرية، ولذلك يقول: (فالإيمان بالله والرجاء فى نصره وفى إحسانه وفضله عوض عن كثير).

ويقول الامام الفخر الرازي: (وهذا يدل على أن المقبل على عبادة الله والمشتغل بها يبقى فى الدنيا منتظم الحال مرفه البال، لان المشتغل بعبادة الله ومحبة الله مشتغل بحب شئ يمتنع تغيره، وزاوله، وفناؤه، فكل من كان لمعانه فى هذا الطريق، وتوغله فيه اتم، كان انقطاعه عن الخلق اتم واكمل، وكلما كان الكمال فى هذا الباب اكتر كان الابتهاج والسرور اتم)[2].

وبرغم عبارات الفخر الرازي، الموجزة، إلا أنه حدد طريق الوقاية والعلاج من الامراض النفسية، وحدد ذلك فى لفظ بديع إذ يقول: (أن المقبل على عبادة الله المشتغل بها يبقى فى الدنيا منتظم الحال مرفه البال). وهذا منتهى ما يصل إليه علماء النفس فى وصف النفس السوية.

واذا كانت عبادة الله سبحانه وتعالى تمنع عن الانسان الامراض النفسية فلم يمرض الدعاة، وعبادة الله عملهم وعلمهم، أن الدعاة الاصحاء عم الذين يسيرون على منهاج الله سبحانه وتعالى، وبعض الدعاة- خاصه المرضى منهم- لا يلتزمون بمنهج الله كاملا، وذلك بسبب تأثرهم بالظروف الاجتماعية والنفسية وتأثر الداعية بالمجتمع او ببعض ما فيه من مفاسد، هو البدايه الحقيقية لأمراضه النفسيه، التى تتركه بعد ذلك شخصيه ممسوخة، لا نفع فيه، لا لنفسه ولا لدعوته، وعودة الداعية إلى الله سبحانه وتعالى، هى الطريق
الصحيح للعلاج.

الآية الثانية: العلاج:

يقول الحق سبحانه وتعالى: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب)[3].

هذه الايه تحتاج الى تان فى التناول، لانها تشتمل على الاطمئنان وهو سر الصحة

---

[1] الشيخ سيد قطب: فى ظلال القرآن، ج٤ ص ١٨٥٤، حد دار الشروق ١٩٧٦ م.

[2] تفسير الفخر الرازي، ج ١٧ ص ١٨٩ ط. دار الفكر

[3] الرعد: ٢٨

النفسية، والآراء الكثيرة القادمة سيكون الغرض الاول منها هو الاحاطة بعناصر الطمأنينة التى تشفى النفس البشرية من امراضها وآلامها النفسية.
يقول الشيخ سيد قطب فى تفسير الايه السابقة: (تطمئن بإحساسها بالله والانس بجواره، والامن ف جانبه وفى حماه، تطمئن من قلق الوحدة، وحدة الطريق بإدراك الحكمة فى الخلق والمبدأ او المصير، وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضر ومن كل شر، الا بما شاء الله مع الرضا بالابتلاء والصبر على البلاء، وتطمئن برحمته فى الهدايه، والرزق والستر فى الدنيا و الآخرة، (الا بذكر الله تطمئن القلوب). ذلك الاطمئنان بذكر الله ف قلوب المؤمنين حقيقة واقعة وعميقة، يعرفها الذين خالطت بشاشة الايمان قلوبهم، يعرفونها ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها لغيرهم، لانها لا تنقل بالكلمات، انما تسرى فى القلب فيستروحها ويندى بها ويستريح إليها ويستشعر الطمأنينة والسلام، ويحس أنه فى هذا الوجود ليس مفردا بل انيس، فكل ما حوله صديق، اذا كل ما حوله من صنع الله الذى هو فى حماه، وليس اشقى على وجه الارض ممن يحرمون طمأنينة الانس الى الله، ليس اشقى ممن ينطلق على وجه الارض مبتوت الصله بما حوله فى الكون، لأنه انفثم من العروة الوثقى التى تربطه بما حوله فى الله خالص الكون، ليس اشقى ممن يعيش لا بدرى لم جاء؟ ولا اين يذهب؟ ولم يعانى ما يعانى فى الحياة؟ ليس اشقى ممن يمشى على الارض يوجس من كل شئ خيفة لأنه لا يستشعر الصلة الخفية بينه وبين كل شيء فى الحياة، ليس اشقى فى الحياة، ممن يشق طريقه فريدا وحيدا شاردا فى غلاة، يكافح وحده بلا ناصر ولا عاد ولا معين. ان هناك لحظات فى الحياة لا يصمد لها بشر إلا أن يكون مرتكا الى الله، مطمئنا الى حماه، مهما ازاى من القوة والثبات والصلابة والاعتداد، ففى الحياة لحظات تعصف بهذا كله، فلا يصمد لها الا المطمئنون بالله)[1].
هذه كلمات[2] رجل غاص فى النفس البشرية يهدى من الله سبحانه وتعالى، سير غورها، واختبر عزمها، ووضح فى تفسيره لهذه الآية المعانى الضابطة لحركة النفس البشرية فى حالتيها، السوية، والمرضية، فالبنسبة للنفس السوية المطمئنة يقول: (وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء، ومن كل ضد ومن كل شر، الا بما شاء الله، مع الرضا بالابتلاء والصبر على البلاء. هذا هو قانون النفس الإنسانية الضابط، الشعور بالحماية، وحماية من؟ حماية الله سبحانه وتعالى المهيمن على كل شئ فى الكون الكبير. والبحث عن علاج نفسى خارج عن معانى هذه الآية ضرب من تضييع الوقت والمال).
وبالنسبة للنفس المريضة القلقة فإنه يقول: (ليس اشقى ممن يعيش لا بدرى لم جاء ؟ ولا اين يذهب ؟ ولم يعانى ما يعانى فى الحياة ؟ ليس اشقى ممن يمشى فى الارض يوجس من كل شئ خيفة، لأنه لا يستشعر الصلة الخفية بينه وبين كل شيء فى الحياة.)
والعلاج عند الشيخ سيد قطب، هو أن تطمئن النفس بإحساسها بالله، والانس

---

[1] الشيخ سيد قطب: فى ظلال القرآن، ج ٤ ص ٢٠٦، ط. دار الشروق ١٩٧٦ م.
[2] لقد اطلعت فى نقل هذه الفقرة من تفسير الشيخ سيد قطب ؛ لانها تعبر عن صورة متكاملة فى العلاج النفسى، واختصارها لا يفيد البحث شئ.

بجواره، والأمن فى جانبه وفى حماه، وهذا يتم بذكر الله او يتذكره، لكن الملاحظ على السطور السابقة للشيخ محمد قطب، أنه يميل إلى أن العلاج يتم بالتذكر مع الالتزام بأحكام الدين الشاملة، وسيعرض البحث لجمله من آراء المفسرين للوقوف على ماهيه الذكر الذى بيه يطمئن القلب وتشفى امراضه النفسية، هل هو ذكر الله باللسان فقط؟ او هو ذكر الجنان فقط؟ او ان الذكر باللسان والجنان معا يشكلان الطريق المستقيم للعلاج من الامراض والعلل النفسية لان الصحة النفسية اطمئنان، والمرض النفسى قلق، وبذكر الله تطمئن القلوب.

رأى الفخر الرازي فى آيه الذكر السابقة :

يقول الامام الفخر الرازي: (فالقلب كلما توجه إلى مطالعة عالم الاجسام حصل فيه الاضطراب والقلق والميل الشديد الى الاستيلاء عليها والتعرف فيها، اما اذا توجه القلب الى مطالعة الحضرة الالهيه فيه الانوار الصمديه والأضواء الالهيه، فهناك يكون ساكنا فلهذا قال: (الا بذكر الله تطمئن القلوب)، اما اذا انتهى القلب والعقل الى الاستسعاد بالمعارف الالهيه والاضواء الصمدية بقى واستقر فلم يقدر على الانتقال منه البتة، لأنه ليس هناك درجة أخرى فى السعادة اعلى منها واكمل)[1].

هذا ما انتهى إليه الفخر الرازي. والملاحظ أنه يركز على جانب المعرفة الالهيه، وهى مرحلة عالية للغاية، وعندها لا يعانى الانسان القلق والوساوس والأمراض النفسية الاخرى، بيد أن المسافة بيننا وبين الفخر الرازي واسعة، لان البحث هنا يتحدث عن بداية الطريق، وهو يتحدث عن نهايته..

رأى الى حيان الاندلسي :

وعن تفسير الآية وتحديد نوعية الذكر الشافى يقول ابوحيان الاندلسى: (والذين امنوا بدل من اناب، واطمئنان القلوب سمومها بعد الاضطراب من خشيته، وذكر الله تعالى ذكر رحمته ومغفرته، او ذكر دلائله على وحدانيته، اذ تطمئن بالقرآن الكريم؛ لأنه اعظم المعجزات، تسكن به القلوب وتنبه، ذكر الحصن على ذكر الله، وأنه به تحدث الطمأنينة ترغيبة فى الايمان)[2].

والنفس المريضة هى النفس المثقلة بالهموم، هموم الامس الذى كان كئيبا، واليوم الذى ما برح يلقى ظلال الحزن والأسى على النفس، والغد الذى لا يدل الامس الكئيب واليوم الحزين على أنه سيكون افضل. وليس للنفس التى تفكر بهذا الشكل خلاص الا بالأمل والرجاء، وهما يتهيان بذكر المغفرة والرحمة، كما يقول ابو حيان. ويستشف من كلام أبى حيان أنه يشير إلى التذكر فى قوله: (ذكر رحمته ومغفرته)، والى الذكر بقوله: (اذ تطمئن بالقرآن). والذكر من خلال القرآنية يشمل الذكر بالوجدان وتحريك اللسان وهو الجانب العملى فى ذكر الله سبحانه وتعالى، وهو مفيد جدا فى علاج الامراض النفسية فى العصر الحديث.

رأى الامام محمد بن جرير الطبري:

يقول فى تفسيره: (قوله (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) تسكن وتستأنس بذكر الله، وعن سعيد عن قتادة: سكنت الى ذكر الله واسنأنست به. وقوله (الا بذكر الله

---

[1] تفسير الفخر الرازي ج ١٩، ص ٥١، ط. دار الفكر ١٩٨٥ م.

[2] ابو حيان الاندلسي: البحر المحيط، ج ٥ ص ٣٨٨، ط. دار الفكر ١٩٨٣، طبعة ثانية.

تطمئن القلوب) الا بذكر الله تسكن وتستأنس القلوب)[1].
والسكينة البت يتحدث عنها الامام محمد بن جرير الطبري، هى من أهم الأشياء التى يبحث عنها الكرش النفسى، والانس بالله هو اعلى درجات السواء النفسى والقرآن الكريم هو الشفاء لما فى الصدور، ولقد خدع قوم بما فى علم النفس من مصطلحات براقة، وطنزا أنه الفيصل فى علاج الامراض، وسيتضح ذلك عند نهاية هذا الفصل وبشهادة علماء النفس أنفسهم، وعندما يتحدث القرآن الكريم عن النفس فإنهحديث الصانع عن صنعته، انظر اليه فى حديثه عن المشرك، والمشرك هو الذى اشرك مع الله مالا يضر ولا ينفع، ومعنى هذا أنه انفصل عن القوة المهيمنة القوة الغالبة، قوة الله سبحانه وتعالى، والقران الكريم يصور حاله الانسان النفسية، وهو منفصل عن الله سبحانه وتعالى، يقول الله تعالى: (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح فى مكان سحيق)[2]. والحالة النفسية للمشرك تشبه حابه من سقط من السماء، انفصل عن الكون، وفقد التوازن، وضاق صدره من قله الهواء الصالح للتنفس فى طبقات الجو العليا، وفوق ذلك تتخطفه الطير، ويقذفونه لبعضهم فى الهواء أو تشبه حاله من يهوى به الريح فى مكان سحيق، والطير هنا شبيه بالوساوس المرضية التى تمعث على المريض حياته، والريح شبيهة برياح الحالات النفسية التى تصل احيانا بالمريض الى الانتحار وهو اشد حالات الياس.
هذه حاله من الحالات المرضية التى شخصها القران الكريم، تصدى لها البحث ليبرز أمرين:
الاول: دقه القران الكريم فى الحديث عن النفس البشرية فى كل حالاتها.
الثانى: اظهار قيمة العلاج العظيم فى الايه الكريمة: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب)[3].
والإمام محمد بن جرير الكبرى، يرو تم ذكر الله اساس فى اطمئنان النفس، ولكنه لم يوضح اى انواع الذكر يريد.

رأى الاستاذ سعيد حوى :

يرى الاستاذ سعيد حوى، أن ذكر الله سبحانه وتعالى الموجود فى الايه والذى يكسب النفس الطمأنينة، هو الذكر باللسان مع القلب، فيقول (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) كالتسبيح، والتهليل، والاستغفار، او بالقران، فقلوبهم اطيب وتركت الى جانب الله، وتسكن عند ذكره، ترضى به مولى ونصيرا (الا بذكر الله تطمئن القلوب) قلوب المؤمنين)[4].

رأى الامام الالوسى:

بعد أن ابوك ما ذكره الفخر الرازي فى تفسيره هذه الايه انفرد الامام الالوسى، بقوله: (أن سبب الطمأنينة نور يفيضه الله على قلب المؤمنين بسبب ذكره، فيذهب ما

---

[1] محمد بن جرير الطبري، جامع ببيان ج ١٣ ص ٩٦، ط. دار المعرفة، بيروت، طبعة ثانية ١٩٧٢م.

[2] الحج: ٣١.

[3] الرعد: ٢٨ .

[4] الاستاذ سعيد حوى: الاساس فى التفسير ج ٥ ص ٢٧٥٥ ط. دار السلام، مصر، بيروت ١٩٨٥ م.

فيها من القلق والوحشة ونحو ذلك)[1].
يرى الامام الالوسى، أن شفاء النفس وسكينتها يكون بنور يفيضه الله سبحانه وتعالى، على قلب الانسان بسبب ذكره لله سبحانه وتعالى. والإمام الالوسى، يحدد ذلك بقوله: (نور يفيضه الله على قلب المؤمنين، بسبب ذكره فيذهب ما فيها من القلق والوحشة)، وعلاج النفس بذكر الله سبحانه وتعالى، هو العلاج الذى يدور حوله البحث فى هذا الفصل.
خلاصة ما ذهب إليه المفسرون:
١- يرى فريق منهم أن ذكر الله الذى يجلب الطمأنينة والشفاء النفس يكون بتذكر الاء الله واياته، مع الخوف والخشية وشدة المراقبة.
٢- يرى فريق آخر أن ذكر الله سبحانه وتعالى الموجب لشفاء النفس و سعادتها يكون بالالتزام بدين الله قولا وعملا، والتوكل على الله والركون إليه والانس به سبحانه وتعالى.
٣- ويرى فريق ثالث: أن ذكر الله سبحانه وتعالى يكون باللسان مع حضور القلب وصيغ الذكر معروفة فى القرآن والسنة، على ومنها سبيل المثال: سبحان الله- الحمدلله- لا اله الا الله- الله اكبر- اله الصلاة ذكر لله، والقرآن اعظم انواع الذكر.
هذه هى اراء مجموعة من المفسرين مجمله، وهى تدور حول الذكر الذى يجلب الشفاء للنفس المريضة، وهم وان اختلفوا فيما بينهم فى تحديد معنى الذكى- فى الايه الكريمة- الا انهم اتفقتا جميعا على ان مطلق الذكر هو سبب الطمأنينة التى تشمل النفي وتذهب عنها الحزن.
ونخلص الى ان الذكر المعول عليه فى شاء النفس، هو ما ان اع الذكر مجتمعة، ذكر الله سبحانه باللسان، وبالحتان والالتزام.
١ --ذكر الله باللسان: يؤخذ من قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا. وسبحوه بكرة واصيلا)[2].
٢ --الذكر بالحنان: يؤخذ ذلك من قوله تعالى وهو يصف المؤمنين: (أن الذين هم من خشيت ربهم مشفقون. والذين هم لآيات ربهم يؤمنون. والذين هم برلخك لت يشركون. والذين يؤمنون ما آتوا وقلوبهم وكله انهم إلى ربهم راجعون)[3].
٣ - ذكر الله بالالتزام: يطلب الحق سبحانه وتعالى من نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يصرخ بفضل الله عليه أن هداه الى الدين القويم والصراط المستقيم، وهو ذكر لله سبحانه بجعل كل شئ فى البعد ملكا لله سبحانه وتعالى، يقول الله تعالى: (قل انما هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا فيما مله ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين.قتل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومكانة لله رب العالمين)[4].
هذا. ذكر لله سبحانه عن طريق الالتزام بمنهجه سبحانه وتعالى، وفى آيه اخرى

---

[1] الامام الالوسى: روح المعانى، ج ١٣ ث ١٥٠، ط .دار الفكر ١٩٨٣ م.

[2] الاحزاب: ٤١، ٤٢.
[3] المؤمنون: ٥٧ - ٦٠.
[4] الانعام: ١٦٢، ١٦٣.

يتحول العمل الى شكر لله، والشكر الى ذكر لله سبحانه وتعالى، يقول الله تعالى: (اعملوا ال داود شكرا.وقليل من عبادى الشكور). وشكر الله هو ذكر الله سبحانه وتعالى، كما هو معروف. وبذا نختم هذه اللمحة عن منهج القرآنية الكريم فى علاج النفس المريضة ويعقبها الوقاية.

الاتزان النفسى :

للقرآن الكريم منهج فى وقاية النفس البشرية من الامراض النفسية، يقوم على المحافظة على النفس مطمئنة متزنة ساكنة، ويتحقق ذلك بما يلى:

١ - الالتزام بالتقوى في كل شئ: قال تعالى: (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا)[1].

٢ - التوسط فى الانفعالات النفسية: قال تعالى: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرقوا بما آتاكن والله لا يحب كل مختار فخور)[2].

٣ - التوسط فى انفاق المال: قال تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا ابسطها كل البسط فتقعد ملونا محسورا)[3].

٤ - العمل للدنيا والأخرة: قال تعالى: (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنه وقنا عذاب النار)[4].

وقال تعالى: (وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض أن الله لا يحب المفسدين)[5].

٥ - إزالة العداوة من النفوس: قال تعالى: (ولا استوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)[6].

٦ - الزهد فى متاع الدنيا: قال تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا)[7].

٧- أداء الأعمال لوجه الله تعالى: قال تعالى: (انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)[8].

٨- التسليم بأن اجل الانسان عند الله: قال تعالى: (هو يحيى ويميت إليه ترجعون)[9].

٩- التسليم بأن الرزق من عند الله: قال تعالى: (وما من دابه فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل ف كتاب مبين)[10].

١٠ --التسليم بأن الضر والنفع من الله: قال تعالى: (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير)[11].

11- ذكر الله دائما: قال تعالى: (الا بذكر الله تطمئن القلوب)[12].

---

[1] الطلاق: ٤

[2] الحديد: ٢٣.

[3] الاسراء: ٢٩.

[4] البقرة: ٢٠١.

[5] القصص: ٧٧

[6] فصلت: ٣٤.

[7] الكهف: ٤٦.

[8] الانسان: ٩٠

[9] يونس: ٥٦.

[10] هود: ٦.

[11] الانعام: ١٧.

[12] الرعد: ٢٨.

١٢- ترك النفاق والرياء: قال تعالى: (أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاه قاموا مسألة يراءون الناس ولا يذكرون لله الا قليلا)[1].
١٣- ترك ابخيلاء والكبرياء: قال تعالى: (ولا تمشي فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا)[2].
١٤- التمسك براحة النفس والتوكل على الله: قال تعالى: (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)[3].
١٥- عدم الاسراف فى الطعام والشراب: قال تعالى: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين)[4]. والاسراف فى الطعام والشراب يؤدى إلى مرض الجسد وهو يؤدى إلى اعتلال النفس.
هذه بعض نقاط المنهج القرآنى فى وقائع النفس البشرية من الامراض النفسية، وهذه النقاط تبرز هذا المنهج، وهى على سبيل المثال لا الحصر، لان القرآنية الكريم وضع الناس فى كل مجال من مجالات الحياة الدنيا مافيه شفاؤعم ووقايتهم من الامراض النفسية.

السنة النبوية والعلاج النفسى

الاعتدال فى مطالب الدنيا و الآخرة:

وسيتجة البحث إلى تحليل نقطة واحدة من النقاط السابقة، وذلك لوثوق العلاقة بينها وبين سلوك بعض الدعاة فى وقتنا الحاضر، وهذه النقطة هى التوسط فى طلب الدنيا والأخرة، والاسلام له منهجه الواضح فى هذه المسألة، ويتضح ذلك من قول النبى صلى الله عليه وسلم: "ليس بخيركم من ترك دنياه لاخرته، ولا اخرته لدنياه، حتى يصيب منهما جميعا، فإنه الدنيا بلاغ الى الآخرة"[5]. والاعراض عن الدنيا كلية والانقطاع لطلب الآخرة يمرض النفس، لأنه انفصال عن الواقع، وترك الآخرة و التفرغ للدنيا يمرض للنفس ايضا، لأنه انفصال عن الفطرة.
ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن أحد الصحابة ترك الأعمال المكلف بها فى الدنيا وتفرغ للعبادة، نهاه عن ذلك، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ياعبد الله، الم أخبر انك تصوم النهار وتقوم الليل؟". قلت: بلى يا رسول الله. قال: "لا تفعل، صم وافطر، وقم ونم، فإنه لجسدك عليك حقا، وان لعينيك عليك حقا، وان لزوجتك عليك حقا"[6].
والتربية الإسلامية تقوم على التوزان الدقيق بين منافع الجسد ومطالب الروح، (ويعتمد بناء الشخصية اساسا على مدى التوازن بين القوى والاستعدادات الإنسانية، المادية والمعنوية، والفطرية والمكتسبة، وكل خلل يلحق بها أو ينقضها يؤثر تأثيرا سلبيا فى تشكيل الشخصية ككل متكامل، ويسبب لها الاضطراب والاهتزاز، وعدم

---

[1] النساء: ١٤٢.
[2] الاسراء: ٣٧.
[3] التوبة:٥١.
[4] الاعراف: ٣١.
[5]منتخب كنز العمال ج١ ص ١٩٦.
[6] صحيح البخارى، ج ٧ ص ٤٠، ٤١، وانظر: تذكره الدعاة البهى الخوبة، عند شرحه لهذا الحديث ص ١٣٩، ط. دار مرجان للطباعة ١٩٧٩ م.

الاستقرار والثبات، وهو ما يجعلها غير قادرة على التكيف مع مشاكل الحياة، وغير مستعدة لتحمل المصاعب والمشاكل، وغير مؤهله لمجابهة المتاعب والأزمات، التى تكتنف ظروف الكائن البشرى من مهده الى لحده، وهو ما يؤدى بالتالى الى ان تكون الشخصية سلبية هروبية، لا نفع يرجى منها للفرد أو الجماعة أو شخصية عدوانية مدمرة تلحق بالفرد والجماعة اشد الضرر)[1]

ومشكلة عدم التوازن بين الاستعدادات الإنسانية من المشكلات العويصة التى تواجه الدعاة، لانهم فى الغالب ينقسمون الى ثلاثة أقسام أساسية، قسم يتجه إلى الدنيا وقسم يتجة الى أعمال الآخرة وبنقطعون لها بالكلية، وينعزلون عن الحياة، كارهين لها، متبرمين بها، وكأنهم جاءوها بطريق المصادفة، وليس عليهم دور فيها يجب أن يؤدوه، وهؤلاء واولئك، اختل توزانهم، واضطراب منهجهم وضاع منهم الطريق، وهم فى ظنهم سائرون على طريق النبى صلى الله عليه وسلم وهم على احسن الفروض يرون هذا الطريق ولما يسيروا عليه بعد.

والقسم الثالث من الدعاة وهم الذين يوازنون بين منافع الجسد ومطالب الروح، وهؤلاء هم الذين يساهمون فى الدعوة الإسلامية بشكل ايجابى، لان سلوكهم الخاص المعتدل ينعكس على دعوتهم العامة، ومازلت امل الدعوة الإسلامية معلق بهؤلاء المتوازنين فى كل زمان ومكان.

التوازن بين مطالب الفرد والمجتمع:

وحفظ التوازن بين فرديه الفرد، وحاجات المجتمع الذى يعيش فيه، من أهم عوامل الصحة والتكيف النفسى بصفة عامة، وبالنسبة للدعاة فإن الحرص على سعادة المجتمع والتفاعل معه- فى حدود الشرع- للنهوض به يعتبر اساسا كبيرا لنجاح عملهم.

والتوزان بين الفرد والمجتمع دليل على الصحة والسلامة النفسية للانسان (ولا يمكن للشخصية الإنسانية أن تتكامل وتتوازن وتعتدل الا اذا تم التكامل الايجابى المنسجم بين فردية الانسان واجتماعيته، اى المواءمة بين مطالبة واحتياجاته كفرد، ومطالب واحتياجات المجتمع، كإطار بشرى ضرورى يعيش فيه، وبمعنى آخر لا تسعد شخصية الإنسان وتسلم من الهزات والاضطرابات والخلل الا باحترام كيان الانسان كفرد وإعداده ليكون عضوا صالحا فى الجماعة)[2].

---

[1] د. عبد الحميد الزنتانى: اسس التربية الإسلامية فى السنة النبوية ص ٨٤٣، ط. الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٩٨٤ م.

[2] د. عبد الحميد الزنتانى: اسس التربية الإسلامية، ص ٨٤٦.

ولقد حرص الاسلام على حفظ التوازن بين فرديه الفرد واجتماعيته، فشرع لذلك الحدود، لتكون رادعا لمن يخرج على هذا التوازن، والملاحظ أن الحدود تعالج كل نشاط ضار يصدر عن الفرد ويتعلق بغيره من الناس، والشئ الذى يتوقف ضررة على ذات الفرد ترك اه تحمل بنتيجة وارشده الى الخير فيه من خلال تحذيرات عامة، وعلى سبيل المثال:

حرم الله سبحانه وتعالى الخمر لانها تفقد الانسان توازنه مع المجتمع، وتجعله يتصرف بطريقة تضر غيره من الناس. ومن قال إن الخمر حرمت لانها تضر بصحة من يتعاطاها فربما ابتعد قليلا عن الحقيقة، لأنه فساد جسد المتعاطى ليس العامل الحاسم فى تحريم الخمر، فربما كان فيها بعض المنفعة الصحية لبعض الوقت، وهذا الاستنتاج لا يبتعد كثيرا عن معنى قوله سبحانه وتعالى: (يسألونك عن الخمر والميسر فل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمها اكبر من نفعهما)[1] الايه. ولا شك أن الجمع فى لفظة "منافع" يجعل تحريم الخمر ينصرف اكثر الى منع الفرد من الاعتداء على المجتمع وهو غائب عن وعيه بفعل الخمر، اما هلاك صحة الفرد على المدى الطويل بفعل الخمر فهو أمر وارد وظاهر ولكنة بأتى كهدف ثان.

والاسراف فى كل انواع الطعام والشراب يسبب الهلاك، ولكنة لم يأخذ حكم الخمر لان ضرره يقع على الفرد خاصة، ومن هنا ترك له الاختيار وتحمل التبعة.

ويختل التوازن ايضا بعدم احترام الفرد لإخوانه فى المجتمع أو بعضهم او حسدهم، وجاء هدى النبى صلى الله عليه وسلم، ليمنع ذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله اخوانا، المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا" ويشير إلى صدره ثلاث مرات "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه"[2].

وقمة التوازن بين الفرد والمجتمع تأتى فى قول النبى صلى الله عليه وسلم "كل المسلم على المسلم حرام" هذه القاعدة من اوليات القواعد التى تحفظ على الانسان توازنه النفسى.

وهناك تلازم بين الإيمان الكامل والتوازن النفسى، لان الايمان الصحيح هو اقصى درجات الصحة النفسية عند الفرد والجماعة. ولذلك جاء هذا الاستفهام(افلام تعقلون) فى القرآن الكريم كثيرا، للتنبية على مخالفة فى الاعتقاد او السلوك، ومن يضبط أفعاله على مرضاه الله سبحانه وتعالى فهو متزان نفسيا، كامل الايمان،

---

[1] البقرة: ٢١٩.

[2] صحيح مسلم ج ٨ ص ١٠، ١١.

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: "من أعطى لله، ومنح لله، واحب لله وابغض لله، وانكح لله، فقد استكمل إيمانه[1]

العلاج النفسى عند علماء النفس الإسلاميين
العلاج النفسى عند الامام الغزالي:
ويعتبر كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي من المراجع الهامة فى مسأله علاج النفس البشرية، يقول عن علاج الغرور الذى يعتبر الانسان: (وعلاجه ام يشكر الله سبحانه وتعالى على ما رزقه من العقل، ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن، بحيث يضحك منه، فلا يأمن أن يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره، وليستضغر عقله وعمله، وليعلم أنه ما اوتى من العلم الا قليلا وان اتسع علمه، وان ما جهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه، فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى، وان يتهم عقله وينظر إلى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم، فيخذر أن يكون منهم وهو لا يدرى، فإنه القاصر قط لا يعلم قصور عقله)[2].
ولقد بين الإمام الغزالي طبيعة المرض النفسى بقوله: (فيخذر أن يكون منهم هو لا يدرى)، لان المرض النفسى يجعل الانسان يعتقد أنه على صواب دائما والإمام الغزالي رحمه الله يشخص العلاج بأنه الاستبصار، وهو نظر المريض إلى داخله ليكتشف العوامل والبواعث التى دفعته لفعل ما فعل، وترك ما ترك، وان اختبار الناس دليل على المرض النفسى، ولا يصح أن يكون علامة صحة نفسيه.
والكافر انسان اختل توازنه الكونى والفطرى، لذلك اصبح يخطئ فى تصرفه وهو يعتقد أنه على صواب، ويتضح هذا من قول الحق سبحانه وتعالى حكايه عنهم: (واذا قول لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا اثومن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون)[3]، وهذا وصف دقيق لا الغير متوازن إجتماعيا والذى يصف الناس بالسفاهه- قصور العقل- وهو لايدرك- لمرضه- أنه هو السفيه.
والإمام الغزالى يعتبر الامراض النفسية حصادا للذنوب التى اقترفها الانسان. فى حياته، وهذه الامراض تصنع كدورات فى القلب تتغير على اثرها الهيئة النفسية الإنسان، ويرى أن الشفاء من كل ذلك يكون بالتوبة، ويقول: (اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك فى ان كل توبه صحيحة فهى مقبوله، فالناظرين بنور البصائر المستمدون من نور القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله، ومتنعم فى الاخره فى جوار الله تعالى، ومستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله تعالى، وعملوا أن القلب خلق سليما فى الاصل، وكل مولود يولد على الفطرة، وانما تفوته السلامة بكدورو تزهق وجهه من غيرة الذنوب وظلمتها، وعملوا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة، وان نور الحسنة يمحو عن القلب ظلمة السيئة، وأنه لا طاقة ازلام المعاصى مع نور الحسنات، كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار، كما لا

---

[1] سنن الترمذي ج ٩ ص ٣٢٣.

[2] الامام الغزالي: احياء علوم الدين، ج ٣ ص ١٩٩٨، ط .دار الشعب ١٩٧٠ م.
[3] البقرة: ١٣.

طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون)[1].

ومنهاج الامام الغزالي كما هو واضح من النص السابق يقوم على اعتبار ان الذنوب امراض، وان التوبه شفاء، وهذا منهج قرآنى لا شك فى ذلك.
العلاج النفسى عند علماء النفس بشكل عام
ينقسم العلاج النفسى الى أنواع متعددة، بحسب الحالات المرضية او تنوع المدراس النفسية، وسيقتصر البحث هنا على ذكر انواع العلاج النفسى فى المدارس المختلفة، كما وضعها الاستاذ الدكتور احمد عكاشة، فى كتابة القيم:" الطب النفسى المعاصر"
اولا: العلاج النفسى الاولى:
١- الايحاء: وهنا يستطيع الطبيب تغيير الكثير من عادات ومعتقدات المريض من خلال التجارب الانفعالى بينهما، واستعمال السلطة التى يملكها الطبيب فى وضع المريض فى حاله ايحائية.
٢- التفسير والتشجيع: يجب على المعالج أن يفسر للمريض طبيعة مرضه، ويطمئنه على اسباب مرضه، ويشرح له بعض اعراضه النفسية مع تشجعيه على التكيف، ومواجهة الواقع، والصمود امام الاجهاد.
٣- المعاضدة والتدعيم: ويكون ذلك بالاهتمام باعراض المريض، ومشاركته دون انفعال واضح.
٤- النصيحة والارشاد دون تحيز.
٥ --التنفيس: وذلك بالتفريع العقلى لكل مشاكل المريض وانفعالاته ومخاوفه وشعوره بالذنب او تأنيب الضمير.
٦- التجاوب الانفعالى: ويكون مجديا بإقامة علاقة مع التقدير بين المعالج والمريض[2].
انواع العلاج النفسى :
١- علاج تعليمى: ويعتمد على موضوعات ومواد تعليمية تعطى للمريض بواسطة الطبيب أو المعالج.
٢- النوادى الاجتماعية العلاجية: وتسير هذه النوادى بطريقة برلمانية ديمقراطية وينتخب المرضى من اعضاء النادى- مجلس إدارة النادى-، وتصلح هذه الطريقة للمرضى بعد خروجهم من المستشفى.
٣- الدراما النفسية: ويلعب المرضى الادوار المسرحية، ويستفيد المريض هنا من التمثيل فى معرفته لذاته، ويستريح بالكلام عن نفسه فى شخصية الممثل، والقدرة على التعبير امام الناس.
٤- الطريقة التحليلية: وهنا يجلس الطبيب وسط مرضاه، ويتركعم يتكلمون بطريقة

---

[1] الامام الغزالي: احياء علوم الدين، ج ٣ ص ٢٠٨٩.

[2] د. أحمد عكاشة الطب النفسى المعاصر، ص ١٢٢ ط. الانجلو المصرية.

التظاهر الحر دون أن يأخذ دورا ايجابيا فى الجلسات[1].

ثانيا: العلاج بالعقاقير :

١- المنومات: وخصوصا فى حاله القلق الحادة والأرق المستمر، وتعطى لفتره بسيطة حتى يتم علاج السبب الاول للارق، حتى لا يتعود المريض على هذا النوع من العقاقير ويدمنه .

٢-المطمئنات الكبرى: ولو أن هذا النوع يستعمل عادة فى الامراض الزهانيه، إلا أنه احيانا ما نلجأ إلى كميات بسيطة منها لعلاج حالات القلق، خصوصا المصحوبة بأعراض جسمانية.

٣- المطمئنات البسيطة: وهى اكثر الأدوية استعمالا فى علاج الحالات النفسية، خصوصا القلق والتوتر والتهيج العصبى والمخاوف.

٤- العقاقير الخفيفة المضادة للاكتئاب: وهى من أهم العقاقير المستعملة فى علاج حالات القلق النفسى، والمخاوف المرضية، والوساس القهرية.

٥- العقاقير الكبرى المضادة للاكتئاب: وعادة لا نحتاجها فى علاج العصاب الا فى الحالات الشديدة المصحوبة الشديدة المصحوبة بأعراض قلق واكتئاب حاد[2].

ثالثا: العلاج بالانسولين :

يختلف علاج مرضى العصاب بالانسولين عما نعرفه فى علاج الفصام بغيبوبة الانسولين.

رابعا: العلاج بالكهرباء: لا تعطى عادة الصدمات الكهربائيه في حالات العصاب، ولكن احيانا ما نلجأ

إليها عندما يشمل المرض اعراض اكتئاب حادة، وافكار سوداوية، او انتحارية، وهنا يكون العلاج للعرض وليس المرض.

خامساً: العلاج الجراحى :

ويلجأ الطبيب لهذا العلاج فى حالات القلق النفسى المزمن، والوسواس القهرى، والاكتئاب الشديد المصحوب بتوتر وقلق مستمر، مما يجعل المريض فى حاله من الشلل الاجتماعي، وتتم العملية الجراحية بقطع الالياف العصبيه الموصلة بين الفص الجبهى فى المخ وابتللنوس، ومن ثم تتوقف الدائرة الكهربية الخاصة بالانفعال.

سادسا: العلاج السلوكي :

ويعتمد هذا العلاج على النظرية الشرطية، وذلك أن الامراض النفسية ما هى إلا عادات خاطئة نعلمها المريض كى يقلل من درجة القلق والتوتر، وبالتالى يكون افعالا منعكسة شرطية مرضية، ويتجة العلاج اولا الى اطفاء هذا الفعل المنعكس الشرطى المرضى، وبناء فعل منعكس شرطى جديد سوى ليكون بديلا منه[3].

---

[1] د. احمد عكاشه: الطب النفسى المعاصر، ص ١٢٤

[2] المرجع السابق: ص ١٢٥، ١٢٦.

[3] د. احمد عكاشة: الطب النفسى المعاصر، ص ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، نقل بتخليص، وانظر فى هذا الموضوع: -- كتاب الامراض النفسيه للدكتور احمد راجح ص ٢٠، وما بعدها.

وكتاب عذابك له دواء: د. احمد عكاشه، ص ٦ وما بعدها،ط. كتاب اليوم.

رأى علماء النفس فى الدين كعلاج للامراض النفسيه:
يرى بعض العلماء أن سبب الامراض النفسيه هو البعد عن الايمان، وان شفاء هذه الأمراض لا يكون إلا بالعودة للايمان.
ويرى الدكتور محمد ابراهيم الفيومى (أنه فى التلازم بين الانسان والدين ما يخفف من حدة القلق النفسى الانسانى، عندما يوضع الوجود الزمانى فى مكانه الادنى من الوجود الاعلى، وذلك بإحياء دلاله الدنيا و الآخرة، او الوجود الزمانى والابدى، وهذه الدلالة والعلاقة بينهما لعلى شئ من الاهميه فى نظر الدين للتخفيف من سيطرة القلق على أساس ان الموت ليس فناء، وانما هو وجود مرتبط بالابدية وبالله، ويؤكد هذا التلازم الوجودى بين الانسان والدين على التخفيف من العربة والعزلة الروحية، من حيث أن الدين مرتبط بالايمان بالله) (١(.
وهذه المدرسة التى تقوم على العودة إلى الإيمان، تجد لها ذيوعا وانتشارا بين علماء النفس فى أكثر من مكان فى العالم، لان الحقيقة التى اتفق عليها الجميع هى أن العلاج النفسى الحالى بمختلف مناهجه يقوم على علاج العرض فقط، ولا يصل الى جذور المرض النفسى. ويقول الدكتور يحيى الرخاوى: (لابد أن نعترف أن الممارسة الطبية الحالية يغلب على أكثرها على حد انطباعى _ فى هذا النوع من التطبيب _ اجهاض الحاله بالعلاج الفورى، وانا لسه ضده بحال من الأحوال، ولكنه لم يقنعنى بالاستسلام له، بل دفعنى إلى دراسة ما ينقصنا فى تطبيق ما هو سواه، وتبينت أن ما ينقصنا هو اعداد طبيب نفسى معالج من نوع خاص ؤ بالإضافة إلى الإسهام في تطوير المجتمع الأوسع بصفة اشمل وبالوسائل غير الطبيعية)[1].
ومن كلمات الدكتور الرخاوى، يتضح أنه:
اولا: غير مقتنع بالعلاج النفسى الحالى.
ثانيا: يرى أن جذور الامراض النفسيه تأتى من المجتمع، وان تطوير المجتمع يخفف الضغط على الأفراد، وخاصة إذا كان ذلك التطوير للأفضل.
ثالثا: يرى أن العلاج يمكن فى عودة المجتمع ككل للايمان، ولذلك يقول (تطوير المجتمع الأوسع بصفة اشمل وبالوسائل غير الطبيعية).
لقد اضطراب علماء النفس اضطرابا كبيرا عندما حاولوا علاج النفس بعيدا عن الدين، ودليل اضطرابهم هو الاختلاف فيما بينهم حول علاج المرض الواحد، وعلى سبيل المثال، ففى الوقت الذى يرى فيه الدكتور احمد عكاشة، أن علاج القلق والتوتر يكون بالعقاقير، يرفض الدكتور "نورمان ماير" هذا العلاج الكيميائي، ويرى أن علاج التوتر والقلق يكون بالتفريغ وهو علاج نفسى لا كيمائى ويقول: (يؤدى اى اجراء يتيح التعبير عن السلوك العدائى والنكوص دون

--وكتاب السيكوباثولجى: د. يحيى الرخاوى ص ٣٠٠ وما بعدها، ط. دار الغد للثقافة .
--وكتاب موسوعة علم النفس والتحليل النفسى: د. عبد المنعم الحفنى، ط. مكتبه مدبولى.

[1] د. محمد ابراهيم الفيومى: القلق الانسانى ص ٣٣٤، ط. دار الفكر العربى.

أن تنتج عنه خيرات مؤلمة الى خفض التوتر والتخفيف من حالة الإحباط، ويطلق على العملية المؤدية إلى التفريج الانفعالى مجرد اطلاق التعبير عن شعور ما- مثل التحدث بصوت عال مرتفع عن مشكلة يحس بها المرء إحساسا عميقا- اسم: التفريغ)[1].

والتفريغ عند د. "نورمان ماير" مثل العقاقير عنده من العلماء، ويبلغ الاضطراب اشده عند علماء النفس حين يقيسون سلوك الانسان على سلوك الفئران فى متاهة "بافلوف"[2] احد علماء النفس فى المدرسة السلوكية، فهل يعقل هذا؟

وكل ما تقدم غيره كثير كان السبب فى عودة علماء النفس إلى دراسة النفس من خلاص الدين.

الدين وعلم النفس:

اختيار الدين كعلاج حاسم النفس الإنسانية:

وفى اطار البحث عن علاج للنفس الإنسانية، تقدم فى هذا البحث العلاج فى القرآن الكريم، والسنة الشريفة، وعند الامام الغزالي، وعند علماء النفس المحدثين، وهذا رأى بعض علماء النفس فى العلاج الناجع للنفس الإنسانية، حيث يرون أن دراسة النفس من خلال الدين تفيد فى علاجها ووقايتها اكثر من غيره من انواع العلاج، (أن عالم النفس يدرس الدين هذه الايام لا ليكشف كونه حقا او باطلا، بل لمجرد أنه معنى برفاقة من البشر، ثم يبرز رأيه فى العبادة فيقول: والخاصة الحقيقة للصلاه احساس بهيج من الاشراق الروحى)[3]. و

لقد ضل علماء النفس الطريق الى أغوار النفس البشرية، لانهم ابتعدوا فى دراستهم لها عن الدين، وهو المصدر الحرى بالدراسة الجادة- خاصة الدين الاسلامى الذى لم تبدل حقائقه ولن تبدل الى أن يرث الله الارض ومن عليها.

ويقول د. "اريك فروم": (وما قلته عن نزعة الانسان المثالية يصدق ايضا على حاجته الدينية، فلا وجود لانسان بغير حاجة دينية، حاجة إلى أن يكون له اطار للتوجيه وموضوع للعبادة)[4]، وحاجة النفس الإنسانية إلى الدين تجعلها تستجيب كثيرا للعلاج من خلاله، لان العلاج من خلال الدين هو الطريق الصحيح والاقرب لعلاج النفس الإنسانية واذا كان علاج النفس الإنسانية هو الهدف لعالم النفس ورجل الدين، فإنه العلاج يكون بالعودة بهذه النفس إلى حظيرة الايمان، (والعجيب أن اهتمامات رجل الدين المتفانى واهتمامات عالم النفس واحدة بعينها فى هذا المجال)[5].

ولقد ضيع المسلمون على أنفسهم فرصا عظيمة حينما اتجهوا فى علاجهم للنفستلى علماء الغرب، والله كتبهم، وتركوا القرآن الكريم وهو كتاب النفس الاول، فيه حديث الصانع سبحانه وتعالى عن صنعته، لقد ضاع الوقت، وتبدد الجهد، وأصبح

---

[1] د. نورمان مايز: علم النفس فى الصناعة، ترجمة د. محمد عماد الدين اسماعيل وآخرين ص ٧٨٧، ط. الحلبى ١٩٦٧ م.

[2] انظر الكتاب السلوك الدكتور عبد العزيز الدرينى ص ٥٠ وما بعدها- استنسل.

[3] د. سوريل بيرت: علم النفس الدينى،ترجمة سمير عبده، ص ٢٢، ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٥.

[4] د. اريك فروم: الدين والتحليل النفسى، ترجمة فؤاد كامل، ط. مكتبة غريب.

[5] المرجع السابق، ص ٢٩.

حال المسلمين يشبه حال من بلح يبحث عن شمعة تضئ له. الطريق، وهو مغمور بضوء الشمس الساطع، (ومنذ نصف قرن من الزمان او يزيد، ونحن المشاغلون بعلم النفس فى بلادنا العربية والإسلامية نضع ما جاء فى كتابات علم النفس الأجنبية موضع التقديس، وكأنها تنزيل من التنزيل، وكأن واضعيها ليسوا من البشر مثلنا، بل مستوى غير ذلك، وما علينا الا السمع والطاعة، واقول: أن هذا ليس طمسا للحقيقة، وانما اقولها للعودة للأصل، علينا آن نبحث فى تراثنا ففيه الكثير والجديد والمفيد)[1].

ومن بديهيات علم النفس أن الانهيار العصبى يصبح من نصيب كل انسان يتعرض لحادثه خطيرة، او كارثة كبيرة، او يأمل فى شئ فيحدث له العكس. ولكن تظهر عظمة علاج القرآن آلكريم للنفس البشرية ووقايتها من الامراض النفسية، فمن الخير ذكر نماذج من القرأن الكريم يتضح منها موقف بعض الذين تعرضوا لحوادث كبيرة، ووصلوا لحالة نفسية خطيرة، ومع ذلك خرجوا من هذه التجارب النفسية الكبيرة متمتعين بالطمأنينة والسكينة والسلامة النفسية:

١ - بعد أن فقد سيدنا يعقوب ابنيه يوسف واخاه، وصل الى حاله نفسية غاية فى الصعوبة، صورها القرآن الكريم بقول الحق سبحانه وتعالى: (وتولى عنهم وقال يا آسفة على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم)[2].

وتنبه الإخوة الاشقاء ابناء يعقوب بأن حالته النفسية ستسبب له الهلاك ونصحوه بالاقلاع عن هذا الحزن، وترك الذكريات الأليمة، قال تعالى: (قالوا تالله تفتو تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين)[3].

وتتجلى قمة العلاج النفسى والوقاية فى قول نبى الله يعقوب عليه السلام: (قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعملون)[4]. وهذه الآية جمعت العلاج والوقاية فى وقت واحد، فالعلاج ف قوله تعالى: (اشكو بثى وحزنى الى الله)، ومن تكن هذه حالته يشفى من كل سقم وحزن. والوقاية فى قوله تعالى: (واعلم من الله ما لا تعلمون). ولا ريب أن الذين جعله يعلم ما لا يعملون هو الايمان، وهذا الايمان كان له وقاية من الهلاك بسبب الحزن، كما ظن ابناؤه، زوما سبق يتضح أن العلاج يكون بالعودة الى الله سبحانه وتعالى، والوقاية تأتى من الايمان.

٢ -امر الله سبحانه وتعالى ام موسى ان تلقيه فى اليم، وبعد أن نفذت ذلك تفجر فى اعماقها حنان الأمومة، واوشكت أن تفصح عن السر لفرط وجدها على ابنها، وكانت الوقاية فى الايمان قال تعالى: (وأصبح فؤاد ام موسى فارغا أن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتك ن من المؤمنين)[5]، نعم لتكون من المؤمنين، المطمئنين، المعافين- بسبب ايمانهم- من كل مرض نفسى.

٣ - لظروف اختلف عليها المفسرون، ذهب نبى الله يونس عليه السلام، مغاضبا- حالة نفسية خطيرة- ولكن الايمان جعله ينادى فى الظلمات: (أن لا إله إلا أنت

---

[1] د. عزت عبد العظيم الطويل: فى النفس و القرآن الكريم، ص ١٢، ط. المكتب الجامعى إسكندرية ١٩٨٣ م.

[2] يوسف: ٨٤.

[3] يوسف: ٨٥.

[4] يوسف: 86.

[5] القصص: ١٠.

سبحانك إني كنت من الظالمين)[1]، وكان الشفاء من الله سبحانه وتعالى: (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين)[2].
ويلاحظ على هذه الآية الكريمة أمران، يؤكدان ما يذهب إليه البحث فى استعراض هذه النماذج القرآنية:
الامر الاول: أن يونس عليه السلام كان فى بطن الحوت فى عميق البحر، ولكن الآيه الكريمة لم تذكر أن الله سبحانه وتعالى نجاه من بطن الحوت او من البحر، بل عدلت عن ذلك إلى النجاة من الغم- وهذا يبين مكانة الحالة النفسية الغاضبة ومنة الخروج منها، وانها اهم من نزول البحر فى بطن الحوت والخروج منه، وهو واقع ذكره القرآن الكريم فى آيات اخرى.
الامر الثانى: أن استغفار يونس، عليه السلام كان عودة إلى الله نال على اثرها النجاة، وان هذه النجاة عطاء متصا لكل من يتحلى بالايمان، لقوله تعالى: (وكذلك ننجى المؤمنين) اى إن الايمان هو العامل الحاسم فى العلاج النفسى القرآنى.
ان ظلمات النفس الإنسانية فى حالة مرضها، تشبه الى حد بعيد الظلمات التى كابدعا يونس السلام، فى بطن الحوت وفى قلب البحر، ولابد لكل مريض أن يعود الى الايمان ليخرج من ظلمات نفسه، كما خرج يونس عليه السلام من ظلمات البحر والحوت.
وعن القرآن فى علاج النفس يقول الدكتور عزت عبد العظيم الطويل: (لقد ادركنا أن كنوزا يقدمها القرآن الكريم لنا مصوغة صياغة بلغت حد الاعجاز والإعجاب فى النفس والمجتمع والفرد والأسرة)[3].
والمؤمن يتعرض لما يتعرض له غيره من الناس من عاديات الحياة وويلاتها ولكنه لا يتأثر بها كما يتأثر غيره، (ترى لماذا يعيش الانسان فى سعادة وهناء عندما يستشعر الايمان بالله فى قلبه.. أن الأمواج العاتية التى تحطم اقوى قوة تعترضها، أن الثورة التى تحدثها تلك الامواج لا تستطيع أن تعكر صفو القاع العميق،كذلك المؤمن لا يمكن أن تعكر صفوة تلك التموجات السطحية التافهه)[4].
والعودة فى العلاج النفسى للايمان عودة للتكيف مع الكون، (وهكذا ترتبط حقيقة النفس البشرية، وقضايا الصحة النفسية بحقائق هذا الوجود الواسع الاطراف بمعطياته الحسية، وترتبط ايضا فى حدود التقدير الحكيم الذى يجعل لكل شئ اجلا، ولكل حادث موعدا، ولكل امر غاية، ولكل قدر حكمة، والله العلى القدير هو رب النفس والكون والقدر جميعا)[5].
وايمان الانسان ينعكس على سلوكه الظاهرى، وعلاج المريض المثالى، يبدأ معه فى التركيز على الجوانب الإيمانية، وتوضيح هذه الجوانب وتعزيزها سيكون له أبلغ الأثر فى نجاح العلاج وتعديل السلوك بعد ذلك، (ولكن تستطيع

---

[1] الانبياء: ٨٧.
[2] الانبياء: 88.
[3] د.غزت عبد العظيم الطويل: فى النفس و الكريم، ص ١٣.
[4] دائن كارنيجي: دع القلق وأبدأ الحياة، ص ٢٠٣، ط. المكتبة الثقافية، بيروت.
[5] د. سيد صبحي: دراسات فى الصحة النفسية _ ونفس وما سواها _ ص ٧٠، ط. دار مرجان للطباعة.

ان تحدث تغييرا او تبديلا فى شخصية انسان وفى سلوكه، فمن الضروري أن تقوم بتعديل او تغيير أفكاره واتجاهاته. ان سلوك الانسان يتأثر تأثيرا كبيرا بأفكاره واتجاهاته، ولذلك فإن العلاج النفسى يهدف أساسا إلى تغير افكار المرضى النفسيين عن أنفسهم، وعن الناس والحياة، والمشكلات التى عجزوا عن حلها من قبل وكانت سببا فى قلقهم، وعندما تتغير افكار المريض النفسى نتيجة العلاج فإنه يصبح اقدر على مواجهة مشكلاته واقدر على حلها)[1].

ويقول د.محمد عثمان نجاتى: (أن تغير الافكار خطوة أولى وضرورية لتغيير شخصية الإنسان وسلوكه، غير أن تعلم سلوك جديد يقتضى ايضا ممارسه هذا السلوك وان تتغير أفكاره عنها، وان تتغير نظرته إلى نفسه والى الحياة، بل لابد أيضا أن يمر المريض النفسى بخبرات جديدة فى الحياة وقد اتبع القرآن الكريم فى تربيته لشخصية الناس، وفى تغيير سلوكهم، اسلوب العمل والممارسة الفعليه للأفكار والعادات السلوكية الجديدة التى يريد أن يغرسها فى نفوسهم، ولذلك فرض الله سبحانه العبادا)[2].

والعبادات علاج ووقاية من الامراض النفسية، وهى جرعات متكررة فى أوقات متفاوتة بحسب حاجة الانسان إليها ؤ وعلى سبيل المثال، (فالصلاة تبث فى الانسان حالة من الاسترخاء العام، وهدوء النفس، وراحة العقل، ولهذه الحالة من الاسترخاء والاهدوء النفسى أثرها العلاجى العام فى تخفيف حدة التوترات العصبية، الناشئة من ضغوط الحياة اليومية، وفى خفض القلق الذى يعانى منه بعض الناس)[3].

وبهذا ينتهي هذا المبحث الى نتيجة هامة وهى أن علاج النفس البشرية من خلال القرآن والايمان هو العلاج الذى يذهب بالمرض، اما العلاج النفسى عند علماء النفس فإنه يعالج العرض فقط.

واذا كانت الطاعة وقاية وشفاء، والمعصية مرض[4] وبلاء، فإن الدعاة هم اقدر الناس على علاج أنفسهم من خلال الطاعة، حتى يتسنى لهم علاج غيرهم من الناس.

---

[1] د. محمد عثمان نجاتى: القرآنية وعلم النفس، ص ٢٥٩، ط. دار الشروق ١٩٨٥.

[2] المرجع السابق ص ٢٦٣.

[3] د. جمال ماضي ابو العزايم: القرآن وعلم النفس، بحث تقدم به إلى ندوة علم النفس جامعة الرياض ص ٥٠، ١٩٧٨ م، ط. الجامعة.

[4] وانظر فى هذا: كتاب الاسس النفسية والتربوية: د. عمر محمد التونى الشيباني ص ٣٤١، ط. الدار العربية،

الفصل الاول

التزمت والجمود فى العمل والسلوك والافتاء

فى هذا الفصل وما يلية تقدم نماذج من انحراف السلوك عند بعض الدعاة، كنتيجة مباشرة للظروف الاجتماعية والنفسية التى سبق ذكر بعضها فى البابين السايقين، ولنحراف سلوك الداعية ليس كانحراف سلوك الانسان العادى، لان الداعية قائد ورائد فى مجتمعه، والخطأ فى سلوكه له عواقب وخيمة، والنمودج الذى يقدمه الفصل عن التزمت والجمود.

ولم اقف على تعريف التزمت والجمود يؤدى الغرض المطلوب، ويبدو أنهما من الإصلاحات المستحدثة يقول الشريف الجرجاني عن الجمود: (هو هيئة حاصلة للنفس، بها يقتصر على استيفاء ما ينبغى وما لا ينبغى)[1] (١)، وهذا تعريف استيفاء غير واضح ولا يؤدى الغرض المطلوب كلية.

وسيتضح من خلال هذا المبحث أن التزمت والجمود عبارة: عن حالة نفسية تعترى الداعية يكون فيها غير منتج .اى تجعله يقف بالنصوص الإسلامية عند زمن معين تطبيقا و واصطلاحا، وهو بذلك يسئ إلى الدعوة الإسلامية ؛ لان الاسلام ليس دينا موقوتا بزمان معين ولا محدودا بمكان معين، ولا تمنعه الإصلاحات التى يضعها العلماء والدعاة عن الوصول الى هدفه فى اسعاد الإنسانية فى الدنيا والأخرة، وكل عرقله لسير الدعوة الإسلامية سببها الدعاة، وليس على الإسلام- كشريعة- جناح فيها.

وجاء الاسلام ليكون قائدا ولم يأت ليكون تابعا، وقيادة الاسلام تأتى اولا: من أنه يتجاوبونع فطرة الانسان، وثانيا: لأنه يستوعب حركة الحياة وينظمها، ومع ذلك

---

[1] التعريفات للشريف على بن احمد الجرجاني ص ٧٧، ط. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٩٨٣.

ترى أناسا - مثل بعض من يدعون السلفية- يقفون بالاسلام عند بعض الشكليات التى قد يتجاوز عنها للضرورة،ويتركون لب رسالة الإسلام، وهو قيادة العالم ونشر العدل والسلام

وكل قيم الخير بين بنى البشر اجمعين، وليس فى الاسلام ما يمنعه من الانطلاق نحو هذه الغايه السامية، وهى غاية جديرة بالإخلاص لها والعمل من اجلها، إلا أن البعض من الدعاة _ سواء الازهر او من بعض الذين يعتبرون أنفسهم دعاة من خارج الازهر ومن مختلف بلاد العالم الاسلامى _ مازالوا يتعصبون لمسائل بسيطة لا تقف بجوار الغاية الكبرى للإسلام.

يقول الشيخ محمد الغزالي: (لقيت متعصبين كثيرين ودرست عن كثب أحوالهم النفسية والفكرية، فوجدت آفتين تفتكان بهم:

الاولى: العجز العلمى او قله المعرفة، وهؤلاء يحفظون نصا وينسون آخر، او يفهمون دلاله الكلام هنا ويجهلون اخرى، وهم يحسبون ما ادركوه الدين كله، ولو أن هؤلاء اكتفوا بمنزله المتعلم التابع ما عابهم ذلك كثيرا، فليس كل مسلم مطالبا بمعرفة جميع الاقوال الواردة، والدلالات المحتملة. المصيبة أن يشتغلوا مفتين او موجهين وهم بهذا المستوى الهابط .

والآفة الثانية: فى التعصب المذهبي سوء النية، ووجود امراض نفسية دفينة وراء السلوك الانسانى المعوج، ويغلب أن تكون آفات الظهور والاستعلاء، او رذائل القسوة والتسلط. كنت فى مجلس قرآن ختم القارئ فيه التلاوة لقوله صدق الله العظيم، فإذا جالس ينتفض كأنما لسعته عقرب، ويقول: هذه بدعة، قلت له: لا ابحث نعم انها بدعة او سنة، وانما اسألك ما هذا الفزع ؟ لكأنما سقط على راسك حجر!!، الاكل ما يعالج بهذه العاصفة)[1].

والداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي، وضع يده على على السلوك المنحرف عند بعض من يتصدون للدعوة الإسلامية، وان هذا السلوك يرجع فيما يرجع إلى الظروف الاجتماعية والنفسية التى أحاطت بالداعية فى تنشئة الاولى، ومن السهل التفريق بين السلوك الخاص بالدفاع عن الاسلام، والسلوك الخاص بالدفاع عن ذاتية الداعية.

ويزيد الشيخ الغزالي الأمر توضيحا بقوله: (هذا الصنف من الناس لم يهذب نفسه بالاخلاص التى بعث صاحب الرسالة ليتمم مكارمها، اه صور العبادة عنده غطاء لقلب غليظ وغرائز فجة، وهو يجد متعة فى قضايا الخلاف ليثور ويفور، وظاهرة أمره الغضب الدين، وهو فى الحقيقة ينفس عن طبيعة معتلة، وتربية ناقصة او مفقودة)[2].

ورد الانحراف فى السلوك عند بعض الدعاة إلى التربية الناقصة او المفقودة من قبيل الإسلامية بعضا من احمالها التى تحسب عليها وهى منها براء.

والظروف الاجتماعية والنفسية لها مهل كبير فى تقاعس بعض الدعاة عن أداء رسالتهم على الوجة الأكمل، فمن هذا البعض من اقبل على الحياة المدينة العلمانية

---

[1] الشيخ محمد الغزالي: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، ص ٩٩، ١٠٠ ط. دار الانصار ١٩٨٠.

[2] الشيخ محمد الغزالي: دستور الوحدة الثقافية، ص ١٠١.

المتاحة بنهم المحروم، ومنهم من رفض التعايش مع هذا النمط من الحياة وجمد على ما تعمله من العلوم الدينية ورفض مطالعة كل علم حديث واعتبره من كيد الشيطان، ورفض الاعتراف بكل تطور فى الحياة سواء كان خيرا او شرا، يا توقف فى علمه الدينى عند مذهب واحد رغم حاجة المجتمع الى كل المذاهب الإسلامية وعلى الأخص فى الفقه الاسلامى، وانسحاب الداعية من مواجهة للتيار العلمانى اخذ اتجاهين :

الاول: التعايش مع هذا التيار.

الثانى: رفض هذا التيار والتزمت والجمود فى مواجهته.

والحقيقة أن تزمت الداعية او جمودة لا يخدم الا العلمانية ؛ لأنه يترك لها ساحة المجتمع خالية من التوجيه الدينى السليم، وهذا يؤثر على حركة الدعوة الإسلامية، لانها لا تقوم الا بجهد الدعاة المخلصين الممتازين، والدعاة، وان يكفل للرسالة الإسلامية امتدادها الروحى والعقلى على اختلاف الزمان وتطور الحياة، بيد ان الازهر لم يقم بهذا الواجب لعوائق شتى بعضها نبت فيه، وبعضها صنع له)[1].والقاء عبء جمود وتزمت بعض الدعاء على الازهر الشريف فيه ظلم بيت لسببين:

الاول: ان الازهر الشريف فى كل الحالات يعلم أبناءه الأصول الإسلامية ويكفيه هذا، وعليهم هم محاولة تطبيق هذه الاصول الثابتة على واقع الحياة المتغير.

الثانى: أن الساحة الإسلامية واسعة، ومراكز التوجيه فيها متعددة والمازمتين من خارج الازهر الشريف اكثر بكثير من الناوناين من ابناء الازهر.

وعندما يصبح الفكر العلمانى مذهبا اساسيا للوطن، يصبح من اليسر علينا تقسيم العاملين فى مجال الدعوة الإسلامية إلى قسمين أساسيين، باعتبار تأثرهم بالمجتمع سلبا وايجابا.

القسم الاول:

وهم الذين كان تأثرهم سلبيا، وشاركوا إخوانهم فى الوطن فى حياتهم العلمانية ووصلوا فى ذلك الى حد بعيد، وأصبح لا يميزهم عن غيرهم الا الشهادات الأزهرية التى يعملون بها ولا يعملون لها.

القسم الثانى:

أ - وهذه الطائفة تأثرت تأثرا انعزاليا، تمثل فى شكل الاقبال على الدين وعلى ما يشبه اعتزال المجتمع لنا فيه من مفاسد، وأدى بهم ذلك فى نهاية الأمر إلى التزمت والجمود، التزمت: فاهم كرهوا ما حدث فى المجتمع من بدع وضلالات، والجمود: لانهم عجزوا عن مواجهه ما يطرحه الفكر العلمانى فى ساحة المجتمع المسلم واعتبروا أن التمسك بها معهم من علم والجمود عليه خير لهم من النزول به إلى الساحة مبارزين ومناضلين.

ب - هؤلاء تأثروا تأثرا إيجابيا ولكنه يختلف عن تأثر الطائفة الجامدة المتزمتة لانهم قبلوا، التحدى، وقرعوا الحجة بالحجة ونزلوا- ومازالوا- الى ساحة المواجهة مع الخصم، لا تأخذهم فى الله لومة لائم، وهؤلاء هم واجهة الازهر الشريف،

---

[1] الشيخ محمد الغزالي: دستور الوحدة الثقافية، ص ١٠١.

ونافذة العالم الاسلامى المضيئة، والنفس تهفو دائما للحديث عن هذه الطائفة من علماء الازهر الاطهار، لان فيهم القدوة ومنهم المثل، ومنهم تمتلىء جنبات المجتمع بأريج عبير الداعية الاول النبى محمد صلى الله عليه وسلم.
ويمكننا أن نستمر الى ما لا نهاية فى ذكر مناقب هؤلاء العلماء العاملين المخلصين، غير أن هذا البحث يعنى اكثر ما يعنى بالبحث عن السلبيات التى تؤثر فى سلوك الداعية، يمكن بعد ذلك وضع العلاج المناسب لهذه السلبيات، ليصل الجميع الى مرضاة رب العالمين، ومن هذه السلبيات سيقتصر البحث هنا على دراية سلبية واحدة هى التزمت والجمود فى الازهر الشريف، وفى خارج الازهر الشريف.

اولا: الازهر الشريف:

١ -عوامل الجمود فى الازهر الشريف :

يقول عنها الكاتب المغربى علال الفاسي: (فما يزال فى الازهر الشريف وفيما حوالية فصائل كثيرة لها نفوذ كبير فى أوساط الأمة، وقد تطورت فى لغتها، وفى اسلوب وعظها وخطبها، ولكنها ما تزال تمثل الرجعية الجامدة فى تفكيرها، بل ترى ما هو اخطر من ذلك، وهو أن علماء الدين وتلامذتهم كلهم من ابناء الفلاحين الذين لم تقع العناية بتطويرهم، والذين يفدون من القرية وبينهم وبين ابناء المدينة فرق كبير، الأمر الذى كون بصفة تلقائية ابتعاد كادل الحضريين عن الدخول للمعاهد الدينية، وهكذا اخذ يتكون بين التفكير الدينى الإسلام فى الازهر وبين التفكير المدنى له ما بين ابن المدينة الذى احيط بكامل العناية وبين ابن القرية الذى ما يزال فى وسطه العتيق يغط فى نومه العميق)[1].

لئن كان دخول الفلاحين الى الازهر الشريف فى الماضى يعتبر سببا من اسباب الجمود فيه، وكنتيجة لعدم تطوير القرية والعناية بها، والطبيعة الزراعية الساكنة الجامدة، والتقاليد الريفية المتزمتة، إلا أن الأمر يختلف الان اختلافا كبيرا، لأنه بعد فساد الحياة فى المدن كنتيجة للغزو الثقافى العلمانى، اصبح ابن الريف هو المؤهل للدفاع عن الاسلام، بما فى طبعه من عزيمة وقوة، وما فى خلقه من حياء املته عليه لحياة الريفية، واذا كان ابن الريف الان قد أصيب بشى من امراض العصر، فإن ابن المدينة لهذا السبب يحتضر من أمد بعيد.

ولا نتفق مع الشيخ هلال الفاسى، فى كل ما ذهب إليه، غير أن اختلاف الريف عن الحضر فى التمدين والتحضر ورقى الثقافة وسعة الافق، امر أقره القرآن[2] الكريم والسنة الشريفة، وكتب التاريخ سير، ومن هنا نتفق مع الشيخ هلال الفاسى فى نقطتين اثنتين.

النقطة الأولى: أن فارق الحضارة

بين الريف والمدن من الامور المتفق عليها، وان هذا الفارق يؤثر فى سلوك الأفراد والمدن تأثيرا أساسيا.

النقطة الثانية: أن الفترة التى خوبب فيها الازهر الشريف بعد فتح الجامعة

---

[1] علال الفاسي: النقد الذاتى، ص ٢٧، ط. دار الكشاف، بيروت ١٩٦٦ م.

[2] من ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: (قالت الاعراب اننا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) الحجرات: ١٤.

العلمانيه وإقبال اهل المدن عليها، اصبح الدخول الى الازهر الشريف شله مقصور على ابناء الريف، وهذه الفترة كانت موقوتة بزمن معين لم يستمر طويلا بعد ذلك.

وللشيخ محمد الغزالي، رأى فى هذا الموضوع يعبر عنه بقوله: (ومثيرا ما اقارن بين بعض المدرسين فى المعاهد والكليات، وبيت إخوانهم فى الريف فما اجد فارقا بينا بين سلوك وسلوك، بل قد احد هؤلاء الفلاحين أدنى إلى طاعة وخشيته، ثم ننظر اخيرا الى اولاد العلماء فنرى الجمهرة العظمى سلكت طريقها إلى التعليم المدنى وان واحدا فى الالف من أولئك الاباء هو الذى يشعر فى قراره نفسه بالرضا عن عمله، او الطمأنينة لمستقبله)[1].

وهذا الكلام ايضا يصدق على ابناء الريف العاملين فى الازهر الشريف فى الماضى، اما الان فإن ثورة الاتصالات اللاسلكية وارتفاع مستوى المعيشة ووجود الراديو والتلفزيون فى معظم بيوت الفلاحين، كل هذا جعل فارق المدنية ضعيف بين القرية والمدينة، وأصبح ابن الريف بما عنده من عادات اسلامية أصيلة وخلق اسلامى قويم، هو النمط المطلوب للقيام بمهمة للدعوة، واعادة المجد للأزهر الشريف. بيد أن الشيخ محمد الغزالي، اثار نقطة هامة كانت من عوامل جمود الازهر، وهى ابتعاد ابناء العلماء عن الالتحاق بالازهر الشريف، وهذا ثم كبير من قوة الدعوة الإسلامية، وإضافة كبيرة لتيار العلمانية الجارف. واذا كان هذا البحث يعنى بتسجيل إمكان تأثر الداعية بالظروف الاجتماعية والنفسية، لهو ابلغ دليل على صدق هذا البحث فيما ذهب إليه من إمكان التأثر.

ان بيوت العلماء هى البيئة الصالحة لتنشئة دعاة صالحين لحمل لواء الدعوة الاسلامية الداخل والخارج، لان حاجة الدعوة الإسلامية إلى داع ممتاز لا تقل عنها حاجة هذا الداعية إلى بيئة صالحة ينشأ فيها، وبيت كريم بقيه مغاسط الحياة حتى لا يتأثر بالظروف الاجتماعية، ويصد عنه عاديات الزمن حتى لا يتأثر بالظروف النفسية، وكل هذا تتهيأ اسبابه فى بيوت العلماء.

٢ -اسباب جمود الناحية العلمية فى الازهر الشريف:

السبب الاول:

الاستاذ عبد المتعال الصعيدي يعتبر الكتب الازهريه- بحالتها القديمة- من اسباب الجمود العلمى فى الازهر الشريف، ويقول: (تأتى مشكلة الكتب فى المعاهد الدينية وهى "مشكلة المشاكل"، وهى كتب ذات شروح ومتون، وحواشى وتقارير، واذا ما ذكرت المتون ذكر التعقيد فى الاسلوب والغموض فى العبارة والمبالغة فى الإيجاز، وبهذا يكون الغرض من شروطها وحواشيها وتقاريرها بيان غموضها وحل معتقداتها وبسط عباراتها، ولا يكاد يدخل فى الغرض منها بيان مسائل العلوم فى ذاتها، وهذه المتون تقصد للحفظ فى المعاهد الأزهرية)[2].

---

[1] الشيخ محمد الغزالي، كيف نفهم الاسلام، ص ٢٣، ط. دار الكتب الإسلامية ١٩٨٣ م.

[2] الاستاذ عبد المتعال الصعيدي: تاريخ الإصلاح فى الازهر، ص ١٧٠ مطبعه الاعتماد ١٩٤٣ م.

وهذه المتون وان كانت تحفظ قواعد العلوم العربية الإسلامية، الا انها تقف حائلا بين الداعية والناس عندما يريد أن ينقل اليهم ما فى هذه المتون من علوم؛ لأنه عند ذلك سيحدثهم بلغة لم يفقهوها، واذا فعل ذلك فقد فتنهم، ومن هنا يوصف بأنه جامد ومتزمت.

السبب الثانى :

يرى الشيخ محمد الغزالي، أن من اسباب الجمود التخصص المبكر للداعية قبل النضوج العلمى، ويقول: (وهذا التخصص المبكر قبل تحصيل ثروة محترمة من المعارف الإنسانية والدراسات الكونية التى لابد منها قبل التوفر على علوم الدين وعلاج قواعدها ودقائقها، وانى لاجزم بأن الإسلام لا يمكن أن يدرس دارسة واعية ولاان يفهم فهما صحيحا قبل تحصيل هذه الثروة المحترمة من الثقافة)[1]

والشيخ محمد الغزالي، يركز على أن عدم اطلاع الطالب على الدراسات الانسانيه والكونية يجعل أفقه ضيقا، ويجعله جامدا متزمتا، لان دراسة الانسانيات والكونيات تجعل طالب العلم الدينى أكثر عمقا فى فهم علمه الدينى.

السبب الثالث: فى العقيدة:

ويضيف الاستاذ عبد المتعال الصعيدي اسبابا اخرى للجمود الدينى فى الازهر الشريف فيقول: (والجمود الدينى فى الازهر يرجع إلى اسباب يجب بيانها ليسهل علاجها، واول هذه الأسباب التقيد فى العقائد بمذهب الاشعرية، فيتربى الطالب فى الازهر على الجنود علة هذه العقيدة، وتأخذهم كتب التوحيد بالتعصب لها، وقد يصل بها

التعصب الى حد أن يدرك بعض المؤلفين ضعفا فى بعض مذاهبها ثم يصر عليه ويقول :

وما انا الا من غزية أن غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

وهذا الجمود على عقيدة الاشعرى يجعل الازهريين لا يطيقون مخالفا لها؛ لأنهم يرون أن كل من يخالفها فاسق آثم)[2].

والتزام العلماء الدعاة بالقرآن الكريم والسنة الشريفة كمنهج للعقيدة الإسلامية امر فطرى وواقعى ومنطقى ولا غيار عليه، ولا خلاف فيه، اما الالتزام فى العقيدة بمنهج احد العلماء والجمود على ذلك المنهج فهو تحميل لهذا المنهج بأكثر مما يتحمله، لان علماء العقيدة لم يتفقوا فيما بينهم تمام الاتفاق على منهج واحد يسلكه الانسان للوصول إلى الاعتقاد الصحيح، ان كانت بعض هذه المناهج تساعد على الوصول اعتقاد صحيح. ولقد صدرت دراسات حديثة فى علم العقيدة تهيئ النفوس الايمان بالله سبحانه وتعالى على أسس واقعية[3]، وتختلف بعض الشئ عن المذاهب السابقة، والشئ المؤكد أن عطاء الله للانسان لا ينقطع، والوقوف عند مذهب واحد فى علم العقيدة اهداء لجهودكثير من العلماء المخلصين.

---

[1] الشيخ محمد الغزالي: كيف نفهم الاسلام.

[2] الاستاذ عبد المتعال الصعيدي: تاريخ الاصلاح فى الازهر، ص ١٧٦.

[3] منها على سبيل المثال، الاسس المنهجية العقيدة إلإسلامية، للدكتور يحيى هاشم فرغل . وفيه نقض فضيلته المناهج السابقة فى الاستدلال على العقائد الإسلامية، ووضع منهاجا جديدا يقوم على الواقعية والضرورة العملية.

السبب الرابع: فى الفقة:
ومن اسباب الجمود فى الازهر الشريف (التقيد بالمذاهب الأربعة المشهور- فى الفقة- فيتربى الطلاب فى الازهر على الجمود عليها ايضا، مع ان هناك مذاهب فقهية غيرها، وقديكون فيها من الاحكام ما يكون اصلح للعمل به منها، ولكم الاظهريين يدعون انهم قد اتفق الجمهور على العمل بهذه المذاهب الأربعة دون غيرها، فيجب الاقتصار عليها
وحدها، وهذه الدعوة باطلة، لان من المذاهب الفقهية ما لايزال معمولا به غير المذاهب الأربعة كمذهب الزيدية فى اليمن، ومذهب الامامية فى بلاد الفرس)[1].
وفى الثقة الاسلامى كنوز عظيمة يمنع من الانتفاع بها التقيد بالمذاهب الأربعة، ومنها على سبيل المثال إعادة الصلاة المتروكة، وهى عند الظاهرية[2] لا تعاد، يا يبدأ المصلى من اول وقت، وهذا المذهب يفيد كثيرا فى دعوة اناس لا يقيمون الصلاة، لأنه من الشعب على الداعية أن يطلب ممن لا يصلى أن يصلى،
ويصعب على تارك الصلاة ن يعيد ما فاته من الصلوات المفروضة، وربنا لو بدا الداعية معه بمذهب الظاهرية، وبدا باول فرض وذاق حلاوة الصلاة فربما أعاد كل ما إليه من صلاة بعد أن يطمئن قلبه بالايمان.
السبب الخامس: ضعف الاستيعاب :
ويرى الشيخ محمد الغزالي، أن من اسباب الجمود عند الدعاة بصفة عامة (ضعف الاستيعاب لجملة الحقائق التى جاء بها الاسلام، والغلو فى تقدير الاجزاء المتبلورة التى تتاح معرفتها للبعض، مع القصور فى معرف الاجزاء المكملة الاخرى مع ما يكون لها من خطر وأثر)[3].
ان ضعف الاستيعاب من اسباب الجمود، لكن كلمات الشيخ محمد الغزالي السابقة لا تقف عند الازهريين وحدهم، بل لعلها تنصرف عنهم الى غيرهم من الجماعات التى تحاول القيام بالدعوة الإسلامية بجهدها الخاص، غير أن ضعف الاستيعاب سيظل سببا جوهريا من اسباب الجمود عند الازهريين وعند غيرهم من الدعاة.
السبب السادس: معاقبة العلماء:
يقول الاستاذ عبد المتعال الصعيدي: أن من اسباب الجمود وعدم البحث (اخذ العلماء بعقوبات على أمور غير محددة.. جاء فى باب العقوبات من قانون رقم ١٠ لسنه ١٩١١ م، ١٩٢٩، أن من يرتكب أمرت بها بالنظام او المروءة او بشرف العلم والدين، او يقع منه ما لا يناسب وصف العلمية، يعاقب بقطع راتبه او العزل من وظيفته، او بتنزيله الى درجة اقل من درجته، و الذى يخل بالمروءة او بشرف

---

[1] الاستاذ عبد المتعال الصعيدي: تاريخ الاصلاح فى الازهر، ص ١٧٦.

[2] انظر: بداية المجتهد ونهايه المقتصد: ابن رشد، باب الصلاة

[3] الشيخ محمد الغزالي: كيف نفهم الاسلام، ص ٢٦.

العلم اولايناسب وصف العالمية امر غير محدد)[1].
وهذه النماذج السابقة كانت بعض اسباب الجمود العلمى فى الازهر الشريف، وهذا الجمود انا له مظاهر، و اليك بعض هذه المظاهر.
٣ -مظاهر الجمود والتزمت :
لا يعنى البحث بذكر كل مظاهر الجمود والتزمت عند الازهريين لان ذلك ليس هدف البحث، وانما الهدف الاساسى هو بيان شكل التزمت والجمود، وأنه حدث فعلا كأثر للظروف الاجتماعيه او النفسية، والمناقشة التالية تبين بوضوح انصراف المناقشات فى بعض الموضوعات العلمية إلى اللفظ والشكل، وترك الجوهر الحرة بالدراسة واستخلاص الغير النافعة.
مناقشة كتاب قصص الانبياء :
عندما الف الشيخ عبد الوهاب النجار، كتابه "قصص الانبياء" شكلت لجنة من الأزهر الشريف لمناقشة بعض ما جاء فى هذا الكتاب، وذكر جزء من هذه المناقشة يؤدى الغرض المطلوب من عرض هذه المناقشة.
الايه الاولى:
عندما تناول الشيخ عبد الوهاب النجار، قصة سيدنا موسى عليه السلام ووصل فى سرد احداثها الى قول الحق سبحانه وتعالى: (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجبا جسدا له حوار..)[2].
- رأى المؤلف:
يرى الشيخ عبد الوهاب النجار، لن قوم موسى عليه السلام باعوا خليهم واشتروا العجل بثمن الحلى.
-رأى اللجنة:
ترى اللجنة أن العجل صنع من الحلى بدليل قوله تعالى: (من حليهم)
رد المؤلف:
(ان من معانى "من" فى اللغة العربية البدل- اذا كانت بكسر الميم-، وقد مثل لها ابن هشام فى المغنى. ج ٢ ص ١٣ بقوله تعالى: (ارضيتهم بالحياة الدنيا من الآخرة)[3] و(اجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون)[4]، لان الملائكة لا تكون من الانس، و (لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا)[5]، اى بدل رحمة الله)[6]

---

[1] عبد المتعال الصعيدي: تاريخ الاصلاح فى الازهر، ص ١٧٧.

[2] الاعراف: ١٤٨.
[3] التوبة: ٣٨.
[4] الزخرف: ٦٠.
[5] ال عمران: ١٠.
[6] عبد الوهاب النجار: قصص الانبياء، ص ٢٦٧.

-سؤال اللجنة للمؤلف:
من اين جاء قوم موسى بالعجل ؟ ومن الذى باعه لهم ؟
-رد المؤلف:
(ان هذا منهم يشعر أن العجل له سلالة مقدسة لا توجد الا فى مصر، ولو انهم سألوا علماء الآثار لوجدوا أن عجل المصريين ليس له سلالة خاصة وانما يختار على الشيات التى توجد فى جلده، واذا أصروا على معرفة القوم البائعين له، والمكان الذى وجد فيه فليصبروا، وموعدنا عرصات القيامة أن شاء الله الى ان يلاقوا السامرى، فإنه هو الذى يعلم اين وجده، وممن أخذه، ولعمرى ما الذى يفيد حضراتهم من المكان الذى وجد فيه)[1]. وبهذا الاسلوب يسخر المؤلف من تزمت وجمود أعضاء اللجنة، لانها تناقش الموضوعات الشكلية ولا تهتم بما يجب الاهتمام به، وهم بذلك يضيعون فرصة عظيمة للاستفادة من القصص القرآنى.
وجعل القاعدة اللغوية حكما على النص القرآنى ظاهرة متفشية في كثير من الكتب التى تدرس في الأزهر الشريف، وهو جمود على اللفظ، ومنها على سبيل المثال قولهم فى كتب النحو- وقد جاء على خلاف القاعدة فى القرآن الكريم: "عجاب" والأصل عجيب[2] وربما كان سبب الخلاف السابق بين المؤلف واللجنة هو تمسك اللجنة بالقاعدة النحوية على حساب المعنى فى القرآن الكريم.
الايه الثانية:
قال تعالى: (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظله..)[3] الايه.
-رأى المؤلف:
ان الجبل لم يرفع فى الهواء فوق بنى إسرائيل.
-رأى اللجنة:
(والتنق فى لسان العرب الزعزعة والهز والجذب والنفض ونتق الشى، وينتقه بالضم جذبه واقتلعه، وفى التنزيل: (واذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظله)، رفعناه وزعزعناه، ومعنى الفوقية واضح، وبيان الجهات السن لا يخفى على من قرأ الاجرومية وشروحها وعلى ذلك يكون معنى (ورفعنا فوقكم الطور) اى زعزعناه وحركناه ورفعناه فوقكم، ولو يعقل أن يكون فوقهم من الجهة المعروفة من غير أن يكون معلقا فى الهواء)[4].
هذا هو ملخص رأى اللجنة فى رفع الجبل ونتق الجبل،والواضح أن الحجج التى ساقوها تستند اساسا على اللغة وقواعدها، ولا يظهر من هذا النص انهم يتركون

---

[1] الشيخ عبد الوهاب النجار: قصص الانبياء، ص ٢٦٨.

[2] انظر: ألفية ابن مالك: بشرح ابن عقيل، باب اسم الفاعل.
[3] الاعراف: ١٧١.
[4] الشيخ عبد الوهاب النجار: قصص الانبياء، ص ٢٧٨.

فرصة لعمل العقل فى مثل هذه الامور التى يتيسر للعقل استنتاج معانيها ومعرفة مراميها.

-رد المؤلف على اللجنة:

يقول الشيخ عبد الوهاب النجار: (والخلاف بينى وبين أعضاء اللجنة، انهم يقولون: أن الفوقية لا تكون إلا على مسامته الراس، وانا اقول: أن الفوقية تحدث مع عدم المسامتة، ودليلى قول الله تعالى: (إذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم)[1]، فإن قوله "فوقكم" ليس معناه فوقيه مسامتة، بل معناه من مكان اعلى من مكانكم . وقال تعالى: (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة)[2] وعلى قولهم يكون الله تعالى وفد وعد عيسى عليه السلام أن يجعل فوق كل كافر به مؤمنا على مستمتع رأسه إلى يوم القيامة .وقوله تعالى: (وفوق كل ذي علم عليم) فمقتضى قولهم إن الله تعالى قد وضع- عليما- فوق راس كل ذى علم، وهذ مالا يسلم به احد حتى حضرات أعضاء اللجنة)[3]

وبهذه النماذج السابقة يكون البحث قد أعطى صورة واضحة عن مظاهر الجمود فى الازهر الشريف، واننا لا نؤيد ولا نعارض كلا من السادة أعضاء اللجنة الموقرة او الشيخ عبد الوهاب النجار، انما فكرة عرض هذه النماذج تأتى من أن المناقشة دارت فيها حول اللغة وقواعدها، وكأن الهدف من ايراد هذا القصص هو هذه المماحكات اللغوية والشقشقات اللفظية.

ان من بين اهداف القصص القرآنى في هذه الايات بالذات والتى تتعلق ببنى اسرائيل، اظهار نعم الله سبحانه وتعالى عليهم بإتيانهم بالايات الكبرى والمعجزات الضخمة، ومع ذلك لم يستقيموا على طريق الله سبحانه وتعالى . انها دراسه للجانب النفسى والطبيعة الماكرة لليهود من خلال سلوكهم مع ربهم ومع انبيائهم فى القرآن الكريم، واظهار هذا الجانب هو الحرى بالبحث والدراسة، اما كون الجبل كان مرفوعا فوقهم، او بجوارهم، فهذا ليس من اهداف القصص القرآنى، لانها معجزة حدثت لقوم محصورين فى مكان معين لتبرز لهم قدرة الله وعظمته، وقد تم ذلك ايا كان وضع الجبل ساعتها.

بقيت إضافة:

فإنه بجانب الاسباب الاجتماعية والنفسية للتزمت والجمود- واحقاقا للحق- يوجد سبب جوهرى، وهو ان الجمود والتزمت فى الازهر الشريف كانا فى بعض الاحيان بسبب المحافظة على بين الإسلام وعلومه فى مواجهة التيارات العلمانية الجارفة،

---

[1] الاحزاب: ١٠

[2] آل عمران: ٥٥.

[3] الشيخ عبد الوهاب النجار: قصص الانبياء، ص ٢٨٠.

ومن هذا المنظور يفهم التزمت والجمود على أنه احدى الحالات الاتيه:
١ - رد فعل لفساد المجتمع وانتشار العلمانية فيه.
٢ - عمليه تكيف ضد المجتمع العلمانى.
٣ - مناعة ضد هذه التيارات الظالمة.
٤ - ان الجمود والتزمت عند الاهزيين كانا فى الفروع فقط.
ان من يراجع تاريخ المؤامرات الظالمة التى دبرت ضد الازهر الشريف للإطاحة به الاسباب الاجتماعية والنفسية كانا رد فعل نفسى طبيعيا للانهيار الاخلاقى فى المجتمع المصرى، ولذلك تختلف اسباب التزمت والجمود فى الازهر الشريف عن غيره من الهيئات الدينية.
ثانيا: الجماعات الإسلامية :
والجماعات الإسلامية وان كانت امتدادا للحركات الإسلامية السابقة التى كانت تقوم للدفاع عن الاسلام وتصحيح مسار المجتمع، الا انها ظهرت اخيرا كرد فعل للتيارات العلمانية في المجتمع المعاصر، وبسبب قله الدعاة المتخصصين، بعد أن اشتدت عليهم الحرب من النظام الوضعى وأجهزة اعلامه.
وعن الفترة التى سبقت قيام الجماعات الإسلامية يقول الشيخ محمد الغزالي:
(وهبطت مكانة الاسلام اوائل هذا القرن هبوطا شديدا بين أهله، ونزلت معها مكانة الرجال المنتسبين إليه، لان أحوالهم اصبحت بين التفريط والصدود)[1].

ونؤكد أن التدهور فى العلوم الدينية يرجع إلى عدة قرون واحد كما يقول الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي، ومعنى هذا أن الساحة خالية من سيطرة رجال الدين على التوجيه فى المجتمع من مدة طويلة، بعد أن أصبحت القياة والريادة لغيرهم، وتوفروا هم على علاج امراض لم تكن موجودة فى الواقع، وتركوا- برغمهم- الامراض الخطيرة التى شملت أكبر مساحة من النفس الإسلامية، (بل إن النفس الإسلامية طرأ عليها عوج بالغ- منذ عدة قرون- لعجز الدعاة ومعلمى الدين عن ترتيب نظامه، وتقديم ما يستحق التقديم، وتأخير ما يستحق التأخير، وكانوا كالطبيب الذى اضطراب فى عقاقير الدواء فزاد ما ينبغى نقصه، ونقص ما ينبغى زيادته، فصار دواؤة داء)[2]

وهذه هى بعض الامور التى مهدت لقيام الجماعات الإسلامية بدورها فى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ومن اول الامر اتسمت دعوة بعضهم بالتزمت والجمود،لانهم قاموا فى مواجهة تيار المانى اباحى، غير انهم وصلوا فى تزمتهم الى حد اتهام

---

[1] الشيخ محمد الغزالي: الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، ص ٧٠، ط. السعودية ١٩٨٠
[2] الشيخ محمد الغزالي: كيف نفهم الاسلام، ص ٢٨.

المسلم بالكفر، بل الى تكفير المجتمع كله فى بعض الاحيان، واتهام المسلم بالكفر لم يتعرض له البحث عند مناقشته للتزمت والجمود فى الازهر الشريف، لان سعه العلم عند الداعية لازنرى تجعله بمنأى عن ذها الخطب، وانما تزمت فى الفروع فقط، وأصبح اتهام الأفراد والمجتمع بالكفر من مظاهر التزمت واجبززد المميزة لسلوك بعض الجماعات الإسلامية خارج الازهر الشريف.

واذا كان التزمت والجمود فى الازهر الشريف جاءا كرد فعل فى مواجهة المجتمع العلمانى، فإنهما عند بعض الجماعات الإسلامية نوع من العقاب للمجتمع على قسوته فى معاملتهم، (أن الوسائل الوحشية التي اتبعتها السلطات المصرية آنذاك تجاه اصحاب الفكر الاسلامى كانا من أهم عوامل ظهور هذا الفكر، حيث لمس الشباب التطبيق العملى لهذه السياسة من خلال ما لا قوة فى السجون والمعتقلات من غرب المعاملة بالنسبة للفئات الأخرى، وامام هذا الاضطهاد من جانب. واستشراء اللادينية من جانب آخر، فى أجهزة الدولة وقطاعاتها، حيث انتشرت المذاهب الالحادية، امام هذا كله احتكرت افكار المسلمين، ومن ثم بدأوا معا يجسدون ما ورد فى كتابات الشيخ سيد قطب، عن الجاهلية والمجتمع المعاصر حتى استخلصوا منها فهنا خاصا، هو أن المجتمع المسلم قد ارتد كافرا)[1]. وخرج هؤلاء الشباب من السجون وانت. انتشروا فى أرجاء المجتمع وبدأوا دعوتهم المتزمتة المدة، فى إصرار لا نهايه له، مع فقه لا يلم بمشكلة الماما كاملا، وجابوا شريعة الإسلام مركزة فى امور تركها لا يستوجب الكفر ومعظمها سنن، مثل اطلاق اللحية، وتقصير الثياب الى اخر هذه المسائل المعروفة، ويحسب لهم الفضل فى انتشار السما الاسلامى فى الازياء فى أكثر من بلد اسلامى.

وبعيدا عن الزى وما حدث فيه من تغيير محمود، نرى أن بعض الجماعات قد أساءت الدين الاسلامى من خلال ممارستها للدعوة الإسلامية، ويقول عنهم الشيخ محمد الغزالي: (أن أناسا يشتغلون بالدعوة الإسلامية، ويقول عنهم الشيخ محمد وفيهم من يمزج قصوره بالاستعلاء ولمز الاخرين، وقد تطور هذا القصور فرأيت بين أشباه المتعلمين أناسا يتصورون الاسلام يحد فى جهاته الاربع بلحية، فى وجه الرجل، ونقاب على وجه المرأة، ورفض للتصوير ولو على ورقة، ورفض الغناء والموسيقى، ولو فى مناسبات شريفة بكلمات لطيفة)[2]

ومن مظاهر التزمت ايضا عند بعض الجماعات الإسلامية، عدم التدرج مع الناس فى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ويقول الاستاذ عبد البديع صقر، عن ذلك:
(والافضل فى الداعية أن يقول الحق، ولا يخاف، ولا يخاف فى الله لومة لائم، وانما

---

[1] الاستاذ سالم البهنساوى: الحكم وقضية تكفير المسلم، ص ٢١، ط. دار البحوث العلمية الكويت، ط. ثالثة، ١٩٨٥ م.
[2] الشيخ محمد الغزالي: الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، ص ٧١.

حدث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمهديين من بعده، أن جومل اناس لمصلحة الدعوة ذاتها، على أساس أن يتشربزا على مراحل او انهم يحتاجون لنقدم من العطف والرعاية وحين الصحية تزيل الحلوة من قلوبهم او الفهم المسبق الخاطئ من أذهانهم، فلينظر الداعية للمصلحة التى يرجونا للدعوة اولا ثم يحتال لها)[1].

والمرونة فى الدعوة- بما لا يناقض الاصل- اساس من اسس الدعوة، ومع ذلك لا تقرها بعض الجماعات الإسلامية كأسلوب للعمل، رغم الدعوة فى صريح القرأن والسنة الشريفة، لذلك يقول الله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى احسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)[2].

ويلخص الدكتور يوسف القرضاوي، اسباب ومظاهر الجمود عند بعض الجماعات الإسلامية كما يلى :

١- تعصب للرأى تعصبا لا يعترف معه للآخرين بوجود، وجمود الشخص على رأى، جنودا لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده بما عندهم .

٢ - التزام التشدد دائما مع قيام موجبات التيسير، وإلزام الاخرين بمالك يلزمهم الله به، إذ لا مانع أن يأخذ المرء لنفسه بالأشد فى بعض المسائل، وفى بعض الأحوال تورعا واحتياطا، ولكن لا ينبغى أن يكون هذا ديدنه مع كل حال .

٣ -الغلطة فى التعامل والخشونة فى الاسلوب، والفظاعة فى الدعوة، خلافا لهدايه الله، لانها تحاول أن تدخل الى اعماق الانسان لتجعل منه شخصا رباتيا فى مفاهيمه وسلوكه وتبدل كيانه كله، وتنشئ منه خلقا اخر فكرا وشعورا وإرادة، كما أنها تهز كيان الجماعة هزا لتغير عقدها المتوارثة، وتقاليدها الراسخة، واخلاقها المتعارفة، وانظمتها السائدة، وهذا كله لا يتم إلا بالحكمة وحشه التأنى للأمور، والمعرفة بطبيعة الانسان وعماده وجموده على القديم.

٤- سوء الظن بالاخرين، والنظر إليهم من خلال منظار اسود، يخفى حسناتهم على حين يفهم سيئاتهم، والأصل عند المتطرف هو الاتهام، والأصل فى الاتهام هو الإدانة.. أن ولع هؤلاء بالهدم ولع قديم.

٥ -التشدد فى غير محله مثل التشدد فى غير دار الإسلام وبلاده الأصلية، او مع قوم حديثى عهد بالاسلام، حديثى عهد بالتوبة.

٦- ويبلغ التطرف غايته حين يسقط حرمة الاخرين، ويبيح دماءهم واموالهم، ولا يرى لهم حرمة ولا قرابة، وذلك حين يخوض لجنة التكفير، واتهام جمهور الناس

---

[1] عبد البديع صقر، كيف ندعو الناس، ص ١٠٩، ط. مكتبة وهبة، ١٩٨٤ م.

[2] فصلت: ٣٤.

بالخروج عن الاسلام)[1].
اسباب الجمود

:١ -الناحية النفسية: واصحاب المدارس النفسية يرجعون كل تطرف اسباب خالصة كثيرا ما تكمن فى العقل الباطن او اللاشعور.
٢ -الاتجاه الظاهرى فى فهم النصوص: ولا عجب أن رأينا كثيرا من هؤلاء يتمسكون بحرفية النصوص دون تغلغل الى فهم فحواها ومعرفة مقاصدها.
٣ -الانشغال بالمعارك الجانبية عن القضايا الكبرى.
٤ -الاسراف فى التحريم .
٥ -اتباع المتشابهات وترك المحكمات.
٦ -ضعف المعرفة بالتاريخ والواقع وشئون الكون.
٧ -الضغط السياسى.
٨ -مصادرة حرية الدعوة إلى الإسلام[2]

بعد ذكر مظاهر الجمود والتزمت عند بعض الجماعات الإسلامية واسبابها، يصبح من المفيد إلقاء نظرة سريعة على فكرهم لكن تكتمل الصورة التى يريد البحث أن يرسمها لهم.
رأيهم فى المساجد:
وعلى سبيل المثال لا الحصر يركز البحث هنا على رأى بعض الجماعات الإسلامية المتزمتة فى مسألة واحدا وهى المساجد ورأيهم فيها كالاتى:
قالوا إن كل المساجد ضرار ما عدا أربعة: المسجد الحرام والمسجد الأقصى، ومسجد قباء، والمسجد النبوى، وقالوا إنه لا يجوز من حيث التسمية ابتداء أن نسمى اى مسجد مسجدا الا بعد شروط منها:
١ -أن تكون ادلعوة فيه خالصة لله لقوله تعالى: (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا)[3].
٢ -تحقق صفات عمارة (انما يعنى مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين)[4]، (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ..)[5]

---

[1] د.يوسف القرضاوي: الدعوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، ص ٣٩، ٥١، ٥٢، ط. كتاب الأمة ١٩٨٣ م.

[2] المرجع السابق، ص ٩١ - ٩٦.
[3] الجن: ١٨.
[4] النور: ٣٧.
[5] التوبة: ١٠٨.

O - استيفاء التقوى فى المؤسس، لقوله تعالى: (لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه)[1]

هذه صورة مبسطة عن فكر بعض الجماعات الإسلامية المتزمتة، وهذا رأيها فى مسألة واحدة، وهى المساجد، ولا نتصور كيف سيكون حال الاسلام لو طبقت ن٧ الشروط على المساجد الحالية وتم الغاء مالم تنطبق عليه الشروط، وبذا تتعطل اهم شعيرة من شعائر الاسلام، عليها تتوقف حياته اليومية المتجددة .

واذا كان التزمت والجمود فى الازهر الشريف سببهما مقاومة التيار العلماني، فإنه من أهم اسبابها عند الجماعات الإسلامية، نظام الحكم الوضعي واضطهاده للدعاة المتخصصين وغيرهم.

الفصل الثانى

المشاركه العامة واستباحة المجالس المحرمة

يقصد بالمشاركة العامة التفاعل مع المجتمع، ومزاولة كثير من النشاطات التى تخرج عن هدف الدعوة، وهى من هذا المنظور تلتقى مع إستباحة المجالس المحرمة، ويكون الجمع بينهما من زاوية مخالطة المجتمع بالنسبة للداعية.

والله الفصول السابقة من هذه الدراسة ذكرت العوامل والتيارات التى يموج بها المجتمع، والتى تخرجه عن شكله الاسلامى فى كثير من الأحيان وهنا تثور عدة أسئلة، ماذا يفعل الداعية لكى يتصل بالجماهير؟ وهل هذا الاتصال خير له ام غير ذلك؟ واذا كانت المختلطة شرا للداعية فهل يغلق عليه بايه ويعتزل الناس؟ وصلاحهم هدف دعوته الكبير، ام يشارك الناس ويخالطهم وهم سادرون فى لهوهم؟

هذا الفصل يحاول الإجابة على هذه الأسئلة، لان المخالطة واستباحة المجالس المحرمة من أبرز الآثار الاجتماعية والنفسية فى سلوك الدعاة. وتأتي الإجابة على هذه الأسئلة على هيئة نقاط محددة.

النقطة الأولى: حكم مجالسة العصاة:

قال تعالى: (واذا رأيت الذين يخوضون فى اياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وانا ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين .وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ولكن ذكرى لعلهم يتقون)[2].

لإبراز معنى هذه الآية الكريمة فى موضوع المخالطة يركز البحث على رأيين من اراء المفسرين، الاول: لأحد المفسرين القدامى، والثانى: لمفسر معاصر عاش فى المجتمع بعد

ان هجمت عليه التيارات العلمانية.

الرأى الأول حول معنى الأيه:

يقول الامام ابن كثير رضوان الله عليه: (واذا رأيت الذين يخوضون فى اياتنا)

---

[1] رجب مدكور: التكفير والهجرة وجها لوجه، ص ١٥٣، ط. مكتبة الدين القيم ١٩٨٥ م، راجعه د .على جريشة.

[2] الانعام: ٦٨، ٦٩.

اى بالتكذيب و الاستهزاء (فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره)، ال حتى يأخذوا فى كلام اخر غير ما كانوا فيه من التكذيب، (وانا ينسينك الشيطان) (والمراد بذلك كل فرد من آحاد الأمة، أن لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله، ويضعونها على غير موضعها، فإذا جلس احد منهم ناسيا (فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتهم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم) اى انكم اذا جلستم معهم واقررتموهم على ذلك، فقد ساويتموهم فيما هم فيه، (وذر الذين اتخذوا دينهم لهوا وتلعبت وغرتهم الحياة الدنيا) اى دعهم واعرض عنهم، وامهلهم قليلا فإنهم صائرون الى عذب عظيم)[1].
وقد احسن الامام ابن كثير رحمة الله، فى جمعه بين آيات سورة الأنعام وآيه سورة النساء، ليكون بذلك صورة كاملة للموضوع.

الرأى الثانى فى آيه الأنعام:
ومؤلف فى ظلال القرآن يقول فى آيه الانعام: (فإذا أنهى إليهم هذا البلاغ)[2]، واذا واجه تكذبيهم بهذه المفاصلة، فإنه صلى الله عليه وسلم مأمور بعد ذلك الا يجالسهم، حتى للبلاغ والتذكير، اذا رآهم يخوضون فى آيات الله بغير توقير، ويتحدثون عن الدين بغير ما ينبغى له من الجد والمهابة، وبجعلون الدين موضعا للعب واللهو بالقول أو بالفعل، حتى لا تكون مجالسته لهم، وهم على هذه الحال موافقة ضمنية على ماهم فيه، او قله غيرة على الدين الذين لا يغار المسلم على حرمة كما يغار عليه، فإذا انساه الشيطان فجلس معهم ثم تذكر قام من فوره وفارق مجلسهم.
وقد كان هذا الأمر للرسول، ويمكن فى حدود النص أن يكون امرا لمن وراءه من المسلمين، كان هذا الأمر فى مكة حيث كان عمل الرسول صلى الله عليه وسلم يقف عند حدود الدعوة، وحيث كام غير مأمور بالقتال للحكمة التى ارداها الله فى هذه الفترة، وحيث كان الاتجاه واضحا لعدم الاصطدام بالمشركين ما أمكن، فكان هذا الأمر بأن لا يجلس النبى صلى الله عليه وسلم فى مجالس المشركين متى رآهم يخوضون فى آيات الله ويذكرون دينه بغير توقير، فالمسارعة الى ترك هذه المجالس لو انساه الشيطان بمجرد أن يتذكر، وكان المسلمون كذلك مأمورين بنفس الأمر كما تقول بعض الروايات)[3].
ثم يقول صاحب الظلال فى الآيه التى تلى هذه الآية وهى قوله تعالى: (وذ والذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا..) الآيه، يقول: (ونقف من هذه الايه امام عدة أمور:
١ -أن الرسول صلى الله عليه وسلم- وينسحب الأمر على كل مسلم- مأمور بأن

---

[1] الامام ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٢ ص ١٤٤، ط. دار التراث.

[2] البلاغ فى الآيات السابقة على هذه الآية.

[3] الشيخ سيد قطب: فى ظلال القرآن، ج ٢ ص ١١٢٧، ط. دار الشروق ١٩٨٥ م.

يهمل شأن الذين يتخذون دينهم لعبا ولهوا، وهذا يتم بالقول كما يتم بالفعل، فالذى لا يجعل لدينه وقاره واحترامه باتخاذه قاعدة حياته، شريعة وعبادة وخلقا وسلوكا وقانونا، انما يتخذ دينه لعبا ولهوا، والذى يتحدث عن مبادئ هذا الدين وشرائعه فيصفها او صافا تدعو الى اللعب واللهو، كالذين يتحدثون عن الغيب- وهو اصل من اصول الشريعة- حديث الاستهزاء، والذين يتحدثون عن الزكاة- وهى ركن من اركان الدين- حديث الاستصغار، والذين يتحدثون عن الحياة والخلق والعفة- وهى من مبادئ هذا الدين- بوصفها من اخلاق المجتمعات البدائية او الاقطاعية او البرجوازية الزائلة، والذين يتحدثون عن قواعد الحياة الزوجية المقررة فى الاسلام حديث انكار او استنكار، والذين يصفون الضمانات التى جعلها الله للمرأة لتحفظ عفتها بأنها "اغلال" وقبل كل شئ وبعد كل شئ الذين ينكرون- حاكمية الله المطلقة فى حياة الناس الواقعية والسياسية والاجتماعية والإقتصادية و التشريعية، ويقولون إن للبشر أن يزاولوا هذا الاختصاص دون التقيد بشريعة الله، أولئك جميعا من المعنين فى هذه الايه بأنهم يتخذون دينهم لعبا ولهوا.

٢ - أن الرسول صلى الله عليه وسلم- وينسحب الأمر على كل مسلم _ مأمور بعد اهمال شأن هؤلاء الذين اتخذوا دينهم لعبا الهوا وغرتهم الحياة الدنيا، أن يقوم بتذكيرنا وتخوفيهم من أن ترتهن نفوسهم لما كسبوا وان يلاقوا الله ليس لهم من دونه ولى
ينصرهم، ولا شفيع يشفع لهم، كما أنه لا يقبل منهم فدية)[1].

والشيخ سيد قطب فى تفسيره لهذه الآيات يعطى صورة دقيقة وشبه كاملة للمجالس المحرمة، وهى تشمل بعض هيئات ومؤسسات المجتمع المعاصر فى معظم البلاد الإسلامية، وموقف الداعية بالنسبة لهذه المجالس صعب وشائك، (لان المجالس المحرمة- كما ترى- تشمل المجتمع بأسره)، فلو تركها الداعية واعتزلها أتاح لها بذلك أن تبث سمومها فى الصالح والطالح من ابناء المسلمين، وان تهيمن على نظام المجتمع وتحدث فيه فتنة، والفتنة لا تخص الظالمين وحدهم لقوله تعالى: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب)[2].

هذا من ناحية اعتزال الداعية للمجالس المحرمة، اما لو خالطها وهو يبغى اصلاحها فهو لا يأمن أن يتأثر بسلوكها وظروفها، وهو بذلك يكون قد ضيع نفسه ولم ينقذ الاخرين.

والمجالس المحرمة عند الشيخ سيد قطب تشمل الصحافة وأجهزة الاعلام وكل المؤسسات العلمانية فى معظم البلاد الإسلامية، ومعنى هذا أن اشتراك الداعية فى نشاط هذه المحافل يعتبر من قبيل الاشتراك فى المجالس المحرمة، فماذا يفعل ولابد له أن يشترك فى هذه الهيئات والمؤسسات ؟ يباح له النشاط فى هذه المؤسسات بشرط واحد، وهو أن يكون نشاطة خالصا لوجه الله تعالى، والدفاع عن دينه ونصرة شريعته، من غير مجاملة

---

[1] الشيخ سيد قطب: فى ظلال القرآن: ج ٢ ص ١٢٢٧.

[2] الانفال:٢٥.

لحاكم، او لصاحب سلطة، او لتيار معين من التيارات العلمانية الزاحفة على قيم المجتمع ومحدداته الأخلاقية.
انا بعض الدعاة الذين يشتركون فى الحياة العامة كما هى، ويغشون المجالس المحرمة، ويقيمون حفلات الزواج لأبنائهم وبناتهم فى الفنادق والأندية العلمانية وهى مجالس محرمة، وبعضهم يمضى فيها بعض الوقت للاستحمام او لحضور المؤتمرات العامة، هؤلاء يدل سلوكهم هذا على أنهم تأثروا بالظروف الاجتماعية الى حد بعيد.
ويقول الشيخ سيد قطب عن نوعى المخالطة فى آيه الانعام: (أن المخالطة بقصد الموعظة والتذكير، وتصحيح الفاسد والمنحرف من آراء الناس، تبيحها الايه فى الحدود التى بينتها، اما مخالطة الفائقين والسكوت عنا يبدونه من فاسد القول والفعل من باب التقية فهو المحظور، لأنه فى ظاهرة اقرار للباطل، وشهادة ضد الحق، وفيه تلبيس على الناس ومهانة لدين الله، وللقائمين على دين الله، وفى هذه الحالة يكون النهى والمفارقة)[1].
والواجب على الداعية اذا أجبرته الظروف على التواجد فى مجلس محرم أن يعلى كلمة الحق، ويرفع شأن شريعة الله، والا فلا يجوز له الجلوس فيه.
ان بعض الدعاة يغشون المجالس المحرمة، وهى كثيرة فى المجتمع العلمانى، والدعاة فى هذه المجالس ينقسمون الى قسمين:
القسم الاول:
وهم الذين يرجون بتواجدهم مع اهل الباطل فى مجالسهم المحرمة حظوظ الدنيا ومناصبها، والحصول على مزيد من المال، وهم فى الواقع في غنى عن كل ذلك، فهؤلاء يخطر عليهم البتة التواجد فى هذه المجالس، حتى يعالجوا أنفسهم مما طرأ عليها من سلبيات الظروف الاجتماعية والنفسية التى مرت بهم والخبرات السيئة التى اكتسبوها فى حياتهم قبل ذلك، وبعد العلاج وضبط السلوك بضابط الشريعة الإسلامية، والسير على طريق الله المستقيم، بعد هذا تكون المخالطة دفاعا عن الدين وليس آخر.
النقطة الثانية: المجالس الطيبة والصبر عليها:
قال تعالى: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعظ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)[2].
رأى الامام ابن كثير فى الايه السابقة:
يقول رحمه الله: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) اى اجلس مع الذين يذكرون الله، ويهللونه، ويمجدونه، ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشيا، من عباد الله سواء كانوا اغنياء لم فقراء،اقوياء ام ضعفاء، (ولا تعدعينلك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) . قتل ابن عباس: ولا تجاوزهم الى غيرهم: يعنى تطلب بدلهم اصحاب الشرف والثروة (ولا تطلع من اغفلنا قلبه عن

---

[1] فى ظلال القرآن، ج ٢ ص ١١٣١.

[2] الكهف: ٢٨.

ذكرنا) ال شغل عن الدين وعبادة ربه الدنيا (وكان إمرة فرطا) اى أعماله وأفعاله سغم ونغبك وضياع، ولا تكن محبا لطريقته، ولا مطيعا لهو، ولا تغبطه بما هو فيه)[1].

يؤكد القرآنية الكريم أن ترك المجالس الطيبة الى المجالس المحرمة يكون بعرض الرغبة فى زينة الحياة الدنيا، ويوضح ذلك ابن عباس بقوله: لا تجاوزهم الى غيرهم، تطلب بدلهم اصحاب الثروة والمال، وابن كثير يقول عن صاحب المجلس المحرم: ولا تكن محبا له ولا تغبطه بما هو فيه.

بعد أن قسم الله سبحانه وتعالى الى قسمين أساسيين، وبين الداعية مع اى قسم من الناس يجلس، بين فى الآيه التالية لهذه الايه الدستور الذى يحب أن يسير عليه الداعية فى تعامله مع أصحاب المجالس المحرمة . جاء ذلك فى قوله تعالى: (وفى الحق من ربكم فمن شاء غليرمن ومن شاء فليكفر)[2] الآيه.

رأى الشيخ سيد قطب:

ويقول الشيخ سيد قطب، فى تفسيره لهذه الايه: (وقل الكل من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) بهذه العزة وبهذه الصراحة، وبهذه الصرامة، فالحق لا ينثنى ولا ينحنى،انما يسير فى طريق قيما لا عوج فيه،قويا لا ضعف فيه، صريحا لا مداهنة فيه، (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ومن لم يعجبه الحق فليذهب، ومن لم يجعل هواه العاده لما جاء من عند الله فلا مجاملة لن على حساب العقيدة، ومن لم يحن هامته امام جلال الله فلا حاجة بالعقيدة إليه، أن العقيدة ليست ملكا لاحظ حتى يجامل فيها، انما هى ملك لله والله غنى عن العالمين)[3].

وبهذه الايه وبتفسير الشيخ سيد قطب لما تسقط حجة بعض الدعاة الذين يعيشون المجالس المحرمة بحجة ضم اهلها لركاب المؤمنين، نعم إن محاولة جذب هؤلاء إلى طريق الله سبحانه وتعالى هدف من أهداف الدعوة ولكن الهدف الأسمى من ذلك الا ينجذب الداعية إليهم، فيغشى مجالسهم ويقلدهم فى ترفهم، وفى لهوهم ولعبهم . وماذا يجبنى لو كسب العالم وخسر نفسه، أن على الداعية ان ينجو بنفسه اولا، والنفس الناحية هى امل كل الذين يرغبون فى النجاة .

النقطة الثالثة: المثلية للجلساء:

ويمنع الله سبحانه وتعالى المجالس المحرمة التى يكفر فيها بآيات الله ويستهزأ بها، وجعل الذين يخالطون هذه المجالس راضيين بها فى حكم أصحابها وفى مثلية واحدة، قال تعالى:

(وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتهم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم أن الله جامع المنافقين والكافيين فى جهنم جميعا)[4].

---

[1] الامام ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٣ ص ٨٠.

[2] الكهف: ٢٩.

[3] سيد قطب: فى ظلال القران ج ٤ ص ٢٢٦٩.

[4] النساء: ١٤٠.

يقول الشيخ المراغى: (الخطاب _ فى الآيه _ موجه الى كل من يظهر الايمان سواء كان مؤمنا ام منافقا، وما نزله فى الكتاب هو قوله فى سورة الأنعام: (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) .وقد كان بعض المسلمين يجلسون مع المشركين وهم يخوضون فى الكفر وذم الاسلام، والاستهزاء بالقرأن، ولا يستطيعون الإنكار عليهم لضعفهم وقوة المشركين، فأمرهم بالاعراض عنهم وعدم الجلوس معهم فى هذه الحال.
ثم إن يهود المدينة كان ا يفعلون فعل مشركى مكة، وكان المنافقون يجلسون معهم، ويستمعون إليهم، فنهى الله المؤمنين عن ذلك.
والخلاصة انكم اذا سمعتهم الكلام الذى يتضمن جعل الايات فى موضع السخرية والاحتقار، فابتعدوا عنهم ولا ترجعوا اللهم حتى يعودوا إلى حديث اخر، وفى الايه دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه اهله بما يدل على التنقيص والاستهزاء بالأدلة الشرعية
والاحكام الدينية)[1].
وحلويات الداعية فى المجالس المحرمة لا يكون الا للتذكير، وفى حاله عدم ذكر الاسلام بسوء وعليه أن يتحلى (بالوقار والرزانة، والا يخوض مع الناس فى اكواب الدنيا وفصول الكلام ولهوه، والا يخابط اهل الشفاعة والطيش).[2]
قال بعض مغصرى الزيدية: (اعلم انه لا خلاف فى تحريم القعود والمخالفة اذا كان ذلك يوهم بأن القاعدة راض، ولا خلاف فى امه يحرم اذا خشى الافتتان، ولا خلاف أنه يحتوي القعود للتنكير عليهم والدفع لهم.
وقال السمرقندى: فى هذا الايه دليل على أن من جلس فى مجلس معصية ولم ينكر عليهم اذا تكلموا بالمعصية، فيكون معهم فى الوزر سواء، وينبغى أن ينكر عليهم اذا تكلموا بالمعصية، او عملوا بها، فإن لم يقدر أن ينكر عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من اصحاب هذه الايه.
ويرى الحسن البصرى: التواجد بقصد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .ويقول: لو تركنا الحق للباطل لبطل الشرع، وكان قد خرج فى جنازة خرجت فيها النساء فلم يرجع، ورجع ابن سيرين)[3].
اتفق المفسرون فيما سبق على تحريم المجالس التى تقوم على اللهو واللعب، والسخرية من الدين، وتفضيل مبادئ اخرى على مبادئة، واذا كان هذا هو رأى علماء التفسير فإنه كثيرا من المجالس العامة فى هذع الايام تنطبق عليها الشروط السابقة .
ان للداعية فى هذه المجالس ثلاثة أحوال:
الاول: أن يجلس معهم بقصد التحذير والنهى عن المنكر، وغشيان هذه المجالس بهذا القصد مباح.
الثانى: اذا لم يستطع الداعية أن يقوم بواجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فى

---

[1] الشيخ احمد مصطفى المراغي: تفسير المراغى، ج ٥، ص ١٨٤، ط. الحلقة ١٩٥٣ م.
[2] الشيخ احمد محمد طاحون: مرشد الدعاة إلى الله، ص ١٨، ط. مطبعة التقدم السعودية ١٩٨٢ م.
[3] الشيخ محمد جمال الدين القاسمى: محاسن التأويل، ج ٥ ص ١٦١٤، ط. الحلبى، ١٩٥٧ م.

داخل المجالس المحرمة، فعليه أن يفارقها ولا يجلس فيها، وهذا هو صريح القرأن الكريم.
الثالث: اذا جلس الداعية فى هذه المجالس طامعا فى منصب، او جاه، او مال، او جلس متمتعا لما يتمتع به اصحاب هذه المجالس فهو مثلهم فى الحكم، ولن يشفع له شئ.
اثر المجالس المحرمة على من يجلس فيها:
لا شك أن هذه المجالس بجانب انها محرمة، إلا أن غشيانها بدون قصد الانر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعبر عن مرض نفسى، وتأثر إجتماعى بالنسبة للداعية، ومن المؤكد أن أثر هذه المجالس يزداد يوما بعد يوم فى نفسية وسلوك من يغشاها، ويضيف البحث هنا بعدا جديدا لتأثير هذه المجالس على سلوك من يغشاها من الدعاة، وهذا البعد هو انتقال العادات الغير الإسلامية إلى الداعية فيما يشبه العدوى، (وتعتبر العادة الاجتماعية ملزمة لما لها من سلطان على الأفراد و الجماعات، حيث يجد كل فرد أنه ملزم بالخضوع لها، لما لها من قداسة فى نفوسهم ننزالاجيال السابقة)[1].
والعادات الاجتماعية تنتقل من جيل إلى جيل باعتبار مها خلق إجتماعى، لا يجب التخلى عنه، ومن يتخلى عنه يعتبر شاشة بين هذه الجماعة، والانسان ميال بطبعه إلى موافقة سلوك الجماعة، للحصول على رضاها، ويدفعه ذلك إلى اعتناق نظامها- لا شعوريا-، (ومهما تعددت الجماعات التى ينتمى إليها الفرد، و يتفاوت مركزة فى كل منها، فإنه يسعى إلى كسل اعتزاز بعضها به وثقتها فيه ؤ ومن اجل هذه الحاجات فى النفس البشرية التى لا حدود لما تتطلبه من الاشباع، تصبح الجماعات أداة ضبط للسلوك، وتصبح هى العين التى نرى بها، والاذان التى نسمع بها، والعقل الذى تفكر به، والقلب الذى يحس ويتوقع، واليد التى تعمل وتتصرف)[2]، وتحت هذا الضغط الاجتماعى يقع الانسان أسيرا للعادات الاجتماعية، ولعرف الجماعة، والذى ربنا رقصه من قبل، بأن التأثر هنا يكون- لا شعوريا- بطريق غير مباشر، (ويتمثل فى الضغوط التى تمارسها أجهزة البيئة المحيطة بالافراد، بطريقة شعورية او غير مباشرة، بمعنى أن هناك قوى اجتماعية خارجة عن نظرة الأفراد ترسم لهم مخططات السلوك، وقوالب التفكير والعمل)[3].
الجليس الصالح والجليس السوء:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، مجانا المسك ونافخ الديب، فحامل المسك اما ان يحذيك، ولما أن تبتاع منه، ولما أن تجد منه ريحا طيبة، نافخ الكبر اما ان يحرق ثيابك، واما أن تجد ريحا خبيثة"[4].
وجلس السوء كما وصفه المصطفى صلى الله عليه وسلم، يحرق ثياب جلسائه، وهو تشبيه لأمور كثيرة تحدث من جليس السوء، وفى مجلس السوء، فإذا اخترقت ثياب الانسان وتعرى كانت الإهانة والحسرة، الإهانة من غيره، والحسرة في نفسه،

---

[1] د. سلوى على سليم: الاسلام والضبط الاجتماعي، ص ٤٧، ط. مكتبة وهبة ١٩٨٥ م.
[2] د. كمان دسوقى: الاجتماع ودراسة المجتمع، ص ١٣٣،١٣٢، ط. الانجلو المصرية ١٩٧٨ م.
[3] د. سلوى على سليم: الاسلام والضبط الاجتماعي، ص38.
[4] مسلم، ج ٢ ص ٣٧، ٣٨.

والريح الخبيثة هى هذه السموم التى تنتج عن مجلس السوء المحرم سموم اللهو واللعب، والسخرية من مثل وقيم الاسلام، وهو تشبيه ايضا، لان مجالس السوء فى الغالب تكون مزودة بالروائك النفاذة من بعض انواع العطور، اما سموم هذه المجالس فى الحقيقة فهى يكون الاخلاق الرديئة، والسخرية من العقيدة، وتيار العلمانية الزاحف.

ويصل الأمر ذروته حين يتماثل دين الجلساء، كما جاء فى الكتاب الكريم فى قوله تعالى (انكم اذا مثلهم)، طالما انتقلوا من مرحلة المجالسة الى مرحلة المؤانسة، الى مرحلة الارتباط القلبى واتحاد الهوى، واتفاق المزاج، وعن هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم: "الرجل على دين خليله، فلينظر احدكم من يخالل"[1].

وحين يصبح هوى بعض الدعاة هو عين هوى جلسائهم فى المجالس المحرمة فأى خير يرجى من هؤلاء، لقد اعتلت نفوسهم بمرض التأثر الاجتماعى والنفسى، وهم فى حاجة إلى علاج يبدأ بالامتناع عن المخالطة والمشاركة فى المجالس المحرمة، والنظر فى اعماق النفس وعرضها على القرآنية الكريمة والسنة الشريفة، ودراسة أحوالها من الطفولة وحتى غشيان هذه المجالس، أن هؤلاء فى حاجة إلى من يدعوهم من جديد إلى طريق الله القويم، رغم انهم يدعون الناس إلى ذلك فى أماكن مختلفة وبوسائل متنوعة، غير أن دعوتهم جزء من إعلاء شأن للنفس المريضة-إجتماعيا ونفسيا- وليست لاعلاء شأن الدين الاسلامى والصدع لما فيه من عدل، وخير، وسلام.

وليس المراد بما جاء فى هذا الفصل أن يترك الأثمان فى غيهم، من غير امر بمعروف

او نهى عن منكر، لان خطرهم لن يقف عندهم وحدهم، انما المراد هو التعامل مع المجالس المحرمة بحذر، ولا يبقى فيها الداعية إلا بمقدار ما تحتاجه الدعوة، يبقى فيها داعيا لا مشاركا، لان (الآثمين اذا تركوا من غير رأى عام يهذب الآثم هدموا المجتمع، فإذا لم يأخذ الفضلاء على أيديهم سقطت الأمة، وتغيرت حالها، واضطربت امورها، وانقطعت الصلات التى تربطها)[2].

فالقيام بالمهمة- مهمة الدعوة فى كل مكان- امر لا مفر منه، والحذر امر متفق عليه.

بقيت إشادة بالدعاة الذين تنزهوا عن المخالطة والمشاركة فى المجالس المحرمة، الذين يسيرون فى كل مكان وقبلتهم الله سبحانه وتعالى،

لم يتأثروا بالظروف الاجتماعية لانهم فوقها، ولم يتأثروا بالظروف النفسية لان نفوسهم مطمئنة، معروضة دوما على كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهم بحمد الله كثير.

---

[1] سنن ابي داود، ج ٤ ص ٤٠٧.

[2] د. عبد الرحمن بيصار: التوجيه الاجتماعى فى الاسلام، ط. مجمع البحوث الإسلامية ج ٢ ص ٦٥، ١٩٧١ م.

الفصل الثالث
تحريف الدعوة والتلون بها

فى هذا الفصل الاخير من هذه الدراسة اسوق نماذج من انحراف بعض الدعاة بالدعوة ، لكى اثبت بذلك موضوع الدراسة نفسها ، وهو أن الداعية يتأثر بالظروف الاجتماعية والنفسية ويتغير سلوكه ايها لذلك ، ولا يخرج من هذه الدائرة الا من غصن الله من المخلصين _ من الدعاة _ وهم موجودون بحمد الله فى كل زمان ومكان ، ولكن المشكلة تأتى من انهم ليسوا مهيمنين على ساحة الدعوة تماما ، بل إن الجزء الاكبر من حركة الدعوة يدار بواسطة مجموعة من الدعاة غير المجموعة المخلصة التى جاء ذكرها فى السطور السابقة.

وقبل الاستطراد فى موضوع هذا الفصل تبرز عدة أمور لابد أن تكون واضحة من البدايه :

اولا : أن هذه النماذج موضوع البحث ستكون من بلاد مختلفة وأزمنة مختلفة ؛ لكى تعبر تعبيرا حقيقيا عن اثر الظروف الاجتماعية والنفسية فى سلوك الدعاة .

ثانيا : ليس المقصود بالاتيان بهذه النماذج المنحرفة من سلوك بعض الدعاة الإساءة إلى الدعوة او الدعاة وانما المقصود هو إنارة الطريق وتوضيح المعالم للدعاة لكى يعتبروا بمن سبقهم من الدعاة ويغوصون فى داخل أنفسهم ويعالجون كل اثر سيئ فى نفوسهم الظروف الاجتماعية والنفسية التى يعيشونها.

ثالثا : ليس المقصود بالدعاة فى هذه الدراسة خريجى الازهر فحسب ، فهؤلاء فى النهاية هم من افضل الدعاة على مستوى العالم الاسلامى ، يدعون إلى الله بالقول والعمل ويعلنون رأيهم لا يخافون فى الله لومة لائم ، ولا يخضعون فى معظم الأحيان لظرف إجتماعى او نفسى وهم فخر العالم الاسلامى دائما.

رابعا : جاءت هذه النماذج لتبين إمكانية الانحراف فى سلوك بعض الدعاة ، وهذه الحقيقة التى لا تعد مقبولة بين صفوف الدعاة حتى المنحرفين منهم ، لان هناك كثيرا من النصوص الدينية التى يلويها كل داعية- منحرف السلوك- ليقيم الدليل على

حسن عمله- وهذه الحالة يعبر عنها علم النفس بالتبرير- ويشبه ذلك ما جاء فى قوله الحق سبحانه وتعالى: (واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون. الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)[1].
وهذه الآية لا تخاطب الدعاة مباشرة ، ولكنها دليل على وجود التبرير فى سلوك النفس البشرية ، واستعمال الداعية للتبرير لن يحل مشكلة الانحراف فى سلوكه ، وسيظل على سلوكه بدون تعديل ، ولذلك جاءت هذه النماذج فى هذا الفصل لتضع الداعية امام الأمر الواقع الذى يطيب له أن يهرب منه ، وهو انحراف الدعاة متأثرين بظروفهم الاجتماعية والنفسية.
والنموذج الاول : من القرآن الكريم :
يتضح هذا النموذج من خلال دراسة هاتين الايتين من كتاب الله سبحانه وتعالى: (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه اياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثلة كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)[2]. وقد جاء في هذه الايه شرح حال رجل آتاه الله علما فبدده ولم يرتفع له ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه د وقد ركز معظم المفسرين على انه رجل من بنى إسرائيل اسمه "بلعم بن باعوراء"، ولا أدرى لماذا ركز علماؤنا الافاضل رضى الله عنهم اجمعين على قصة بعلم بن عوراء ، ولم يركزوا على أن هذا مثل يضرب لكل انسان آتاه الله علما فانحرف به واخلد الى الأرض واتبع هواه وسوف ابدا برأى العالم الجليل ابن كثير رضوان الله عليه حول هذه الايه.
يقول الامام ابن كثير عن تعدد الاراء فى المقصود بهذه الايه :
1- قال قتادة وقال كعب : كان رجلا من اهل البلقاء ، وكان يعلم الاسم الاكبر ، وكان مقيما ببيت المقدس مع الجبارين .

٢ - وقال ابن عباس رضى الله عنهما : هو رجل من أهل اليمن آتاه الله آياته فتركها
٣ - قال مالك بن دينار : كان من علماء بنى إسرائيل ، وكان مجال الدعوة ، بعثه نبى الله موسى عليه السلام الى مدينه يدعوهم الى الله ، فأقطعه وأعطاه فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام.
٤-قالت ثقيف : هو اميه بن أبى الصلاة[3]).
هذه هى الاراء فى بلعم بن باعوراء عند ابن كثير ، وقد جاء ابن كثير بالقصة التالية التى اجمع عليها المفسرون وتقول الرواية: (عندما اتجه موسى عليه السلام لدخول فلسطين وفيها الجبارون ، وبينهم رجل آتاه الله علما وكان مجاب الدعوة ، فقد ذهبوا

---

[1] البقرة : ١١ ، ١٢.
[2] الاعراف : ١٧٥ ، ١٧٦.

[3] تفسير ابن كثير مجلد

إليه وطلبوا منه أن يذهب معهم للدعاء على موسى وجيشة ولكنه رفض فى البداية ، فحاولوا اغراءه بالمال ومارسوا عليه كثيرا من الضغوط النفسية حتى لان لهم ، وجعل يدعو على موسى ولا يدعو عليه بشر إلا حول الله لسانه الى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا حول الله لسانة الى موسى وقومه ، وبعد ذلك اندلع لسانه فسقط على صدره ، فقال لقومه:

هبت ريحة فى الدنيا والأخرة ولم يبق لى الا المكر والحيلة ، فسأمكر لكم واحتال ، حملوا نساءكم واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى العسكر يبعنها فيه ، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من اى رجل أرادها ، فإنهم أن زنى رجل منهم واحد كفيتموهم ، ففعلوا واخذ رجل امرأة وذهب بها الى موسى عليه السلام ، وقال له : ايمنعنى ربك من الدخول بهذه فقال له : نعم هى حرام عليك ، فأخذها ودخل بها قبته ، ووقع عليها فأرسل الله عز وجل الطاعون على بنى إسرائيل)[1].

ويرى الشيخ سيد قطب أن هذه الروايات لا يأمنها تمرس بالإسرائيليات الكثيرة المدسوسة فى كتب التفاسير أن تكون واحدة منها ولا يطمئن على الاقل لكل التفصيلات التى وردت فيها ، ثم إن فى هذه الروايات من الاختلاف والاضطراب ما يدعو

إلى زيادة الحذر ، ونرى أنه ليس فى النص القرآنية ما يؤيد ذلك ، ولم يرد فى المرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شئ فى هذا الأمر ، ويجب أن نأخذ من النبأ ما وراءه ، فهو يمثل حال الذين يكذبون بآيات الله ، بعد أن تبين لهم الحق فيعرفونها ثم لا يستقيمون عليها ، وما اكثر ما يتكرر هذا النبأة فى حياة البشر ، وما اكثر الذين يعطون علم دين الله ، ثم لا يهتمون به ، انما يتخذون هذا العلم وسيلة لتحقيق الكلم عن مواضيع واتباع الهوى به ، هواهم هم وهوى المتسلطين الذين يملكون لهم _ فى وهمهم _ عرض الحياة الدنيا ، وكم من عالم رأيناه يعلم حقيقة دين الله ثم يزيغ عنها ، ويعلن غيرها ، ويستخدم علمه فى التحريفات المقصودة والفتاوى المطلوبة لسلطان الارض الزائل ، يحاول أن يثبت بها هذا السلطان المعتدى على سلطان الله وحرماتهفى الارض جميعا.

وهناك غير الشيخ سيد قطب من العلماء القدامى من يرى أن رواية بعلم بن باعوراء قصة لفقة ويقول : ارى منع صحة هذه القصة ، لانها من الإسرائيليات ولا يلتفت إلى ما يسطره اهل الاخبار اذا خالف الاصول)[2].

ومن آراء القدامى والمحدثين يتضح أن هذه الرواية غير حقيقية وان ما جاء فى الايه عبارة عن مثل يضرب لكل داعية ينحرف بدعوته وسيظل مثلا يضرب حتى يرث الله الارض ومن عليها.

---

[1] ص ٤٦٤ ط. دار الشروق ١٩٨٥ م. المرجع السابق ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ وانظر فى ذلك التفاسير الاتيه حول نفس القصة :
-تفسير الطبرى مجلد ١٣ ص ٢٥٥ ط. دار المعارف.
-تفسير البحر المحيط ، مجلد ٢ ص ٢٢٢.
-حاشية الشيخ زاده على البيضاوي ، مجلد ٢ ص ٢٨٤ ،ط المكتبة الاسلامية .تركيا.
-تغيير ابى السعود ، مجلد ٢ ، ص ٤٣٢ ط. دار الفكر.
-انظر فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ، ص ١٣٩٧.

[2] علاء الدين على بن محمد ابراهيم البغدادى : تفسير الخازن ، مجلد ٢ ص ٣١٣ ، ط. الحلبى ١٩٥٥ .

ويقول الشيخ سيد قطب عن معنى الايه بعد أن يضرب صفحا عن رواية بلعم بن باعوراء ، يقول : (أنه مشهد من المشاهد العجبية الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات ، انسان يؤتيه الله آياته ويخلع عليه من فضله ويكسره من علمه ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع ، ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخا ، كأنما الايات اديم له تلتبس بلحمة فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة انسلاخ الحى من اديكه اللاصق بكيانه ، او ليست الكينونة البشرية ملتبسة بالايمان بالله تلبس الجلد بالكيان ، ها هو ذا ينسلخ من آيات الله ، ويتحرر من الغطاء الواقي والدرع الحامى وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى ويهبط من الافق المشرق فليتصق بالطين المعتم فيصبح غرضا الشيطان لا يقيه منه واق، ولا يحميه منه حام ، فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه)[1].

وهناك رأى آخر يبين العموم فى نص الآيه وانها لا تخص إنسانا بعينه وانما تشمل كل داعية انحرف بدعوته ، وكل عالم لم يرتفع بعلمه ، واخلد الى الأرض واتبع هواه ، (وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد ابن اسلم ... نزلت هذه الايه فى اميه بن أبى الصلت وكان قد قرأ الكتب القديمة وعلم أن الله سبحانه وتعالى ومرسل رسولا ، فرجا أن يكون هو ذلك الرسول ، فلما ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وشرفه يالنبوة ، جسده اميه وكذبه ، وكان اميه صاحب حكمه وشعر ومواعظ حسنه ، فقصد بعض الملوك ، فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم ، فقيل له : قتلهم محمد ، فقال : لو كان محمد نبيا ما قتل اقرباءه ، فلما مات اميه اتت أخته فارعة الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة اخيها ، فقالت : بينها هو راقد أتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا فقعدا أحدهما عند رأسه ، والاخر عند رجليه ، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه : اوعى ، قال : وعى ، قال : اذكى قال : أبى ، قالت : فسألته عن ذلك فقال : خير اريد بى ، ثم صرف عنى ثم قال شعرا :

كل عيش وان تطاول دهر ... صائر أمره إلى أن يزولا

ليتنى كنت قبل ما قد بدأ لى ... فى قلال الجبال ارعى الوعولا

ان يوم الحساب يوم عظيم ... شاب فيه الصغير ، يوما ثقيلا

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "انشدينى من شعره" ، فأنشدته ، فقال صلى الله عليه وسلم :"امن شعره وكفر قلبه")[2]، لقد ضيع نفسه بغروره ، وحبه للظهور الذى قصم ظهره ، وكثير من الناس ممن اتاهم الله علما يفعلون ذلك.

والمفروض أن العلم أمانة وخاصة إذا كان علما يتوقف عليه سعادة البشر فى الدنيا والأخرة ، وهذا العلم تكريم من الله سبحانه وتعالى ، ولابد أن يقابل الانسان هذا التكريم بالطاعة وحسن العمل ، والشكر لله سبحانه وتعالى ، ولكن للاسف الشديد تجد أن البعض يتاجرون بهذه النعمه و يبيعون هذه الأمانة بأبخس الأثمان و المثل

---

[1] الشيخ سيد قطب : فى ظلال القرآن ، ص ١٣٩٦.

[2] الحسين بن مسعود الفراء البغوى : تفسير البغوى مجلد ٢ ، ص ٣١٤ ط. الحلبى ١٩٥٥ بهامش تفسير الخازن.

المضروب فى الايه لمن آتاه الله آياته وعلمه وفقهه فكان عالما بها قادرا على بيانها والجدل بها ، ولكنه لم يؤت العمل
مع العلم ، بل كان عمله مخالفا لعلمه فسلبها ، لان العلم الذى لا يعمل به لا يلبث أن يزول ، فكان بذلك شبيها بالحية وهى تنسلخ من جلدها.
وهو مثل لمن انسلخ من الهدى الى الضلال باختياره ، وآثر الحياة الدنيا وزينتها ، ومال الى عرضها الفانى ، واستحوذ عليه الشيطان ، فأنساه ذكر ربه وكانت عاقبه عمله الهلاك والخذلان والخسران المبين فى الدارين ، ولو شاء الله لرفعه بهذه الايات ، ولكنه اختار الادنى ، وترك الدرجة العليا ، والدعوة إلى الله لابد لها من جد وزهد ، ومثل هذا ليس لديه زهد ولا جد ، ولذلك أخلد الى الأرض ، واتبع هواه ، وكان مثله بعد ترك هذه المهمة كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث.
وقبل أن اختم البحث حول هذه الايه اقدم رأى الشيخ سيد قطب فى البعد النفسى لصاحب هذا المثل المضروب فى القرآن.
يقول: (وما هذا اللهاث الذى لا ينقطع ؟ أنه فى حسنا كما توحيه الآيات وإيقاعات البناء وتصوير مشاهدة فى القرآن الكريم ، ذلك اللهاث وراء اعراض هذه الحياة الدنيا التى من اجلها ينسلخ الدين يؤتيهم الله آياته فينسلخون منها ، ذلك اللهاث القلق الذى لا يطمئن ابدا والذى لا يتركه صاحبه ، سواء وعظته ام لم توعظه ، فهو منطلق فيه ابدا.
والحياة البشرية ما تنى تطلع علينا بهذا المثل في كل مكان وفى كل زمان وفى كل بيئة ، حتى أنه لتمر فترات كثيرة ، وما تكاد العين تقع على عالم الا وهذا مثله فيما عدا الندرة النادرة ممن عصمهم الله ، ممن لا ينسلخون من آيات الله ، ولا يخلدون الى الأرض ولا يتبعون الهوى ولا يستذلهم الشيطان ولا يلهثون وراء الحطام الذى يملكه اصحاب السلطان فهو مثل لا ينقطع وروده ووجوده وما هو بمحصور فى قصة وقعت فى جيل من الزمان)[1].
وهذا ما كنت اود ان أثبته من البداية بالنسبة لحديث القرآن عن انحراف الداعية بالدعوة والتلون بها ، والحالة النفسية التى تدفعه إلى ذلك وهو البحث عن الحطام ، وعرض الدنيا الزائل ، ولا شك أن ظرفا ما $ نفسيا او إجتماعيا _ هو الذى ساعد على انسلاخ الداعية عن دعوته وانحرافه عن قيمها ومثلها . واذا انتقلنا من القرآنية الى السنة فسنجد أن
النبى صلى الله عليه وسلم صور حال الداعية المنحرف فى عرصات القيامة ، وبين أن سبب انحراف الداعية هو عدم العمل بما يعلم وعدم احترام القيم التى يدعو اليها.
النموذج الثانى : فى الحديث الشريف :
فعن اسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيلقى فى النار ، فتندلق اقتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمام بالرحى ،فيجتمع الين اهل النار ، فيقولون : يا فلان مالك الم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن

---

[1] سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مجلد ٣ ص ١١٩٨ ، ط. دار الشروق.

المنكر وآتيه"[1].
وهذه هى نتيجة الانحراف بالدعوة والتلون بها ، والظهور امام الناس بمظهر التقى الورع للحصول على مكاسب كثيرة ، ليس من بينها رضى الله سبحانه وتعالى ، امر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر من اجل الحصول على وجاهة العالم ، وبذلك تكتمل الصورة المزخرفة امام الناس.
وهذا الحديث يبين أن كل الذين يأكلون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولا امل لهظ فى ذلك الا اذا كان الداعية اماما فى الطاعة والخضوع الى الله ، سباقا للخير امام الناس . إلا أنه لا يفيد فى الاخره ، بل ينقلب وبالا على صاحبه .ومن العجيب حقا أنه مع كثرة اهل النار وتنوع عذابهم ، الا أن الداعية الكتلوني وحده هو الذى تنظلث اقتاب بطنه ويدور بها كنا يدور الحمار بالرحى ، وهذه الفضيحة على رأس الاشهاد تقابل الشهرة الكاذبة التى حققها فى الدنيا هذا المتلون بالدين ، وهو ينحرف به فى الدنيا من اجل الحصول على عرضها الزائل.

ومن المهم التنبيه على الداعية السوى العادى لا يتم انحرافه بهذا الشكل ، لان كل الدعاة يرجون رضى الله لا شك فى ذلك ، ولكن الانحراف يأتى على هيئة مرض نفسى او ظرف إجتماعى ، ويكون الانحراف له ما يبرره بالنسبة للداعية المنحرف ، بل ويعتقد أنه على حق ، وان الخطأ من نصيب الاخرين وحدهم ، وانه بأفعاله هذه يصلح ولا يفسد ، وكأنه بأفعاله هذه يفسر قول الحق سبحانه وتعالى : (واذا قيل لهم لا افسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون .الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)[2].
وهذه الايه وان كان لها سبب نزول خاص إلا أن معناها العام يعالج مثل هذه الحالة المرضية التى يعتقد صاحبها أنه يصلح مع انه يرتع فى الفساد . وموضوع هذه الرسالة نو الكشف عن هذا النمط من السلوك- غير السوى- للداعية بسبب ظرف إجتماعى او نفسى فينحرف سلوكه وتتلون دعوته ، وهو يظن أنه بذلك يخدم الاسلام . وفى النماذج القادمة سيظهر مدى الانحراف بالدعوة والتلون بها بسبب الظروف الاجتماعية والنفسية التى توجه سلوك الدعاة.
النموذج الثالث : فى العصر الحديث :
١ -غلام أحمد القاديانى :
ومن الذين لعبت الظروف الاجتماعية والنفسية دورا خطيرا فى حياتهم وسلوكهم فى الدعوة مرزا غلام أحمد القاديانى فقد تلون بدعوته وانجرف بها انحرافا حادا ادعى النبوة فى نهاية الأمر ، وحاول مزج الاسلام بالديانات الاخرى .ويؤكد اكثر الباحثين أن سبب انحراف هذا الرجل يرجع إلى عوامل اجتماعية ونفسية ، (اما اوضاع عائلته فكانت معقدة مركبه فقد تحركت من سموقند الى البنجاب ودخلت معارك كثيرة على السلطة والنفوذ ، وهناك جوانب أخرى فى اوضاع عائلته وفى الظروف التى عاشها المرزا قد اثرت فى شخصيته ووظيفتها بطابع خاص . ان فقدان جده

[1] صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٨ ، ص ١١٨ ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ، ط. المطبعة المصرية ١٣٤٩ هـ.

[2] البقرة : ١١ ، ١٢.

الكبير- المرزا كل محمد- لقراءه واملاكه واماراته قد ولد فى نفس المرزا .وان مجئ الانجليز إلى مقاطعة البنجاب وشعور أفراد عائلته بالحاجة الى معاونتهم فى رد اعتبارهم كان بداية الاتفاق بين الانجليز وبين المرزا)[1].

وبهذه الأسباب الاجتماعية والنفسية تحول هذا الرجل والذى كان من المفروض أن يكون داعية للاسلام تحول الى حرب على الدعوة الإسلامية ، شوه معالمها وجعل من نقيه مطيه للإنحليز ، يرتكبون عليها انى شاءوا ، فمن اجل السلطة والنفوذ باع دينه وباع نفسه للشيطان .وهذه العوامل النفسية التى كانت تموج بها نفسه من احساس بالضعف والضياع هى التى جعلته لايقف عند حد ادعاء الولايه كما تفعل قله من الدعاة هذه الايام ، بل وصل به الامر الى ادعاء النبوة نفسها .الى هذا يصل الأمر بالداعية عن طريق استغلال مشاعر الناس الجارفة نحو الدين والدعوة إلى الإسلام وتحويلها لتقديس ذاته.

اذا تأكد ذلك فلابد من التركيز على اثر الظروف الاجتماعية والنفسية على الداعية نعم ، لها تأثير على الناس ولكن ليس كل الناس قادة ، وإلداعية قائد ، واذا غزة ضاع وضيع من معه .

ومن هذه الوجهة يرى بعض الباحثين اسباب اجتماعية ونفسية أخرى كانت السبب فى انحراف مرزا احمد القاديانى فيقول : (وفى صدر شبابه ، طلبت منه أسرته أن يذهب لتسلم مخصص جده من راتب تقاعد الذى كان الانجليز قد جعلوه له فى نظير عمالته لهم ، فذهب وفى صحبته صديق يقال له "امام الدين"، وبعد تسلم المال اغراه صديقه بالذهاب الى خارج قديان لقضاء ساعات ممتعه فاستسلم له "غلام أحمد" وسرعان ما بددا هذا الراتب وعندما فقدت منهما الدراهم انفض عنه صديقه « امام الدين فاضطر الغلام إلى الفرار من وجه اهله وتوجه الى مدينه "سيكالوت" احدى المدن الواقعة الأن فى باكستان الغربية فى إقليم البنجاب ، وفى سيكالوت اضطر الى العمل فجلس امام إحدى المحاكم ليكتب للعوام صور الادعاءات فى نظير اجر زهيد يساوى خمس عشرة روبية فى الشهر ، وكان ذلك عام ١٨٦٤ م)[2].

وهذه اسباب اخرى تلقى ضوءا اخر على نفسية مرزا غلام أحمد وتؤكد ما ذهبنا إليه سابقا . وما اكثر الظلم الذى يقع على الدعوة الإسلامية من أبنائها أفرادا وجماعات : أن كثيرا من الأفراد والجماعات ينحرفون بالدعوة الإسلامية نتيجة للعوامل الاجتماعية والنفسية لحساب جهات أجنبية ، وليس ببعيد ما فعله طه حسين والشيخ على عبد الرازق وغيرهما كأفراد ، ومن الحركات التى علمت لحساب جهات أجنبية (كانت القاديانية احدى هذه الحركات التى تبناها الانجليز ، واوعزوا الى مؤسسها ليدعو الى مزج الاسلام بالمسيحية كى تضعف مقاومة المسلمين للمستعمر المسيحى ، فوجد مرزا غلام أحمد فى عقيدته رجعه عيسى عليه السلام عند المسلمين خطوة أولى على هذا الطريق ، ثم حاول

مزج الاسلام بالمسيحية فى تعاليمه ، ودفعه إلى ذلك أيضا ما شاهده فى الدين الهندوسى من مزج للآراء المختلفة المصادر ، فسار على هذا الدرب مقلدا

---

[1] د. عبد الله سلوم السامرائى : القاديانية والاستعمار الانجليزى ، ص ٢٠ ط. دار الترشيد للنشر ، العراق ١٩٨١ م.

[2] عبد القادر شيبه الحمد : الاديان والفرق ص ٨٨ ، ط. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٨٧ هـ.

وللإنجليز معاونا.
ولو لم توجد عقيدة عيسى عليه السلام عند المسلمين ما ادعى مرزا غلام أحمد أنه المسيح ولو لم ينشأ قريبا من المجتمع الهندوسى ما حاول مزج الاسلام بالمسيحية ولو لم يوجد الاستعمار الانجليزى فى الهند ما مجانا مرزا غلام أحمد فى دعوته نحو هذا الإتجاه لتأويل النصوص الإسلامية تأويلا متعسفا ارضاء للإستعمار) (١ (
.
بهذا الانحراف والتلون الذى سببته الظروف الاجتماعية والنفسية فى سلوك هذا الداعية المسلم ضاع من الاسلام والدعوة الإسلامية رجل ذكى خطير استطاع أن يجمع حوله الاف الإتباع- جمعهم على الباطل- فماذا لو جمعهم على الحق وتى قوة كانت ستكون للمسلمين لن لم يفعل ميرزا على احمد ما فعله بالاسلام والمسلمين فى هذه المنطقة البعيدة من العالم ، ثم إنه بعد ذلك ترك للخصم مطعنا وحجة إن لم تكن ضد الاسلام فهى ضد علماء الدعوة الإسلامية على كل حال.
٢ - ميرزا على محمد البهائى :
ميرزا على البهائى المولود فى ١٨٢٥ م ، هو ايضا داعية ، اتجهت إليه الأنظار فى يوم من الايام على أنه سينقذ الناس مما هم فيه من ضلال ، (وقد أظهر نبوغا وغيره على المذهب مما جعل الأنظار تتجه إليه ، وكان متصرفا الى دراسات نفسيه وتأملات فلسفية ، فكان تشجيع الناس له سببا في خروجه بفكره أنه وحده الناطق بعلم ذلك الامام المستور وانهوالباب إليه)[1] . ان تفاصيل هذه القصة كثيرة وفى كتب كثيرة ولكن ما يهم هو بحث نقطه الانحراف عن الخط المستقيم .والشيخ محمد ابو زهرة رحمة الله أشار إلى بيت القصيد بقوله : (وكان تشجيع الناس له سببا في خروجه على الناس بفكره انه وحده الناطق بعلم ذلك الامام) وهذا اثر نفسى.
ان نفسا مريضة كهذه لن تقف عند هذا الحد من الخلط ؛ لان المرض النفسى مرض عضال ، (وقد كان هذا الرجل من الشيعة الانثى عشرية ، ولكنه بدأ يجمع الى مذهبه مذهب الاسماعيلية واشتغل بالدراسات الفلسفية ، ثم خرج على الناس بفكره انه وحده المناطق بعلم الامام المستور وأنه الباب إليه ، ولذلك عرفت نحلته بالبابية ثم ادعى أنه لمهدى المنتظر ثم ادعى أن الله قد حل فيه)[2].
وبهذا الخلط يضيع من الاسلام ايضا عالم غاية فى الذكاء بدليل انه جمع حوله الآلاف واقنعهم بفكرة المعوج ، وظلت نحلته حتى اليوم ، وضاع داعية بسبب ظرف نفسى ، والحقيقة أن العمل في مجال الدعوة وان كان من اعظم الاعمال الدنيوية على الاطلاق الا انه لابد لمن يعمل فيه من أن يكون صاحب نفس سوية مطمئنة لربها وبربها سبحانه وتعالى ، لأن كثرة تفكير الداعية فى الامور الغبية وما يفصيه الله سبحانه وتعالى على روحه من انوار بسبب ذكره لله وانشغاله بالله ؤ كل هذه الاشراقات والانوار تجعل الداعية قريبا جدا من الغروب _ الا من عصم الله _ ويبدأ في ادخال نفسه كواسطة لين عالم الغيب وعالم الشهادة ويترقى بهذا الشعور حتى يدعى النبوة ، ولا يكتفى بذلك بل يدعى أن الله قد حل فيه ،كما وصح من

---

[1]، ٢ (الشيخ محمد ابو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلاميه ، ص ٢١٢ ، ط. دار الفكر العربى ، القاهرة.
[2] عبد القادر شيبه الحمد الفرق والأديان ، ص ٩٢.

المثال السابق ، ولذلك لابد من التأكيد اكثر من مرة على ضرورة سلامه البناء النفسى والاجتماعى للداعية حتى يتلقى إشراقات الروح
بثبات الساجد لله سبحانه وتعالى فى كل أحواله ولا يعتريه الغرور الذى يذهب به وبدعوته.

النموذج الرابع :

يتحدث الشيخ محمد الغزالي عن نموذج من الدعاة فى الوقت الحاضر الذين انحرفوا وتلونوا بدعوتهم كنتيجة لظرف إجتماعى او سياسى ، يقول عن الداعية المنحرف : وهبه حفظ من القرآن اجزاء ، ومن السنة نبذا ، ومن ادب اللغة فصولا ، بل هبه استوعب حقائق ذلك كله ، فما انتفاعه منه وهو مريض القلب واللب ، وما انتفاع الاسلام بهؤلاء العلماء اذا كانت تتجارى بهم الأهواء ، كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يدع منه عرقا ولا مفصلا الا تغلغل فيه ، ولئن شكونا من قله العلماء ، اننا لنشكو من طائفة أخرى احترفت العلم ، وبدلا من أن تتهذب به وتهذب به الناس اخذت تسخره فى نيل الدنيا ، وهكذا وجدنا فى هذه الايام العجاف من ينقب الاسلام الى اصحاب الشهوات ليزيد ضرواتهم بالحياة وفتكهم بالدنيا بدلا من أن ينقل هؤلاء المرضى الى الاسلام ليضحوا فى جوه ويبصروا على سماه.

يتجمع بعض النسوة ليحاربن مبدأ تعدد . الزوجات وليثرن شغبا مفتعلا على رئيس وزراء تزوج « سكرتيرتة » فإذا عالم قمئ يخرج من شقوق الارض ليقول : نعم ، الاسلام يحارب تعدد الزوجات ، ويصفق له نفر الصحافيين ومن أدعياء الإصلاح الاجتماعى ، وتسمع هؤلاء أولئك يقولون هذا هو العالم المجدد ! هو عالم مجدد لأنه يرضى الزنا بالخليلة ويكره الزواج بالخليلة)[1].

ويظهر الأثر النفسى فى انحراف هذا العالم من شغفه بتصفيق الصحافيين ودعاة الاصلاح الاجتماعي وخضوعه لمدحهم له من اجل هذه الفتوى المتحررة ، ولم كان هذا العالم صاحب بناء نفسى سليم لوقف مع الحق لمجرد بصرف النظر عن تأثير ظرف إجتماعى او نفسى ، ولكن للاسف الشديد فكل منحرف بالدعوة ن
متلون بها يظن أنه على الحق ، وان رأيه هو الصواب الذى لا يقبل الخطأ ، ورأى غيره خطأ لا يقبل الصواب.

النموذج الخامس :

كما يتحدث الشيخ محمد الغزالي عن نموذج آخر من دعاة الوقت الحاضر فيقول : (وهذا عالم آخر يرى بعض الادباء الماجنين وقد ضاقوا ذرعا بشريعة الصيام لانهم ضيقوا الصدر بشرائع الاسلام كلها ، فيخرج على الناس بفتوى تجعل الصيام هواية تتبع المزاج المرهف فمن كان شغوفا بالجوع والعطش صام والا فليفطر جهازا نهارا ولا تحرج ولا ملام ...وتخرج الصحف وقد طلبت للفتوى الجليلة وسلكت صاحبها فى عداد الائمه الثائرين او الخلفاء الرائدين ، فإذا رأى الازهر تأديب فلانه الذى مرق ، صاحوا به من كل جانب يا ظالم .. اتركه يا متأخر !!

واقتحم الدكتور طه حسين غبار المعركة ، بمقال عنوانه "حق الخطأ" قصد به إلى حمايه التزوير على الإسلام.

---

[1] الشيخ محمد الغزالي : ظلام من الغرب ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ،ط. دار الاعتصام ١٩٧٩.

لن هؤلاء افسدوا حياتهم بالرذيلة والتحلل ، فهل يريد هؤلاء اللاعبون بالفتاوى لن يسوغوا لهم محياهم وان يرضوهم عن مسلكهم ؟ هل تفيد الدواء نفسه ليبقى العليل اسير علته الى الابد ؟ وهل نشوه الاسلام ونحرف الكلم عن مواضعه لنرضى النسوة والرجال ، الذين ما تطهروا لله يوما ، ولا أدوا له صلاة ، ولاخافوا له لقاء ، ولا أقاموا له حداو، ولا احترموا له حقا)[1].

هذا المجون فى المجتمع هو الذى جعل او دفع هذين العالمين الى الانحراف بالدعوة والتلون بها ارضاء هؤلاء ، المجتمع كان يموج بهذه الافكار المعادية للإسلام _ ظرف إجتماعى- وحب الرجلين للمدج والظهور- ظرف نفسى- كانا السبب وراء هذا الانحراف بالدعوة.

وبعد : فقد كانت هذه نماذج مختلفة لانحراف بعض الدعاة بالدعوة جاءت من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن الواقع : نموذجا من الهند وآخر من فارس ثم نموذجين من مصر وبهذا يكون البحث قد غطى ساحة ليست صغيرة من سطح الدعوة الإسلامية زمانا ومكانا والقى الضوء على انحراف بعض الدعاة وتلوينهم بالدعوة.

وهذه النماذج القليلة تكفى لإعطاء صورة عن تأثر الداعية بالظروف الاجتماعية ، والنفسية وانحرافه بالدعوة ، ولا يخفى أن الانحراف بالدعوة كثير وصورة لا تحصى ، ولمن اقتصرت على هذه النماذج حرصا على سمعة الدعوة والدعاة.

ومع هذا فهناك والحمدلله الدعاة المخلصون الذين يعملون لترتفع رايه الاسلام فى كل زمان ومكان . انهم مصابيح الهدى وقادة البشر إلى سعادة الدنيا والأخرة ، وذكرهم يملأ القلب فرحا وسرورا بعد أن امتلأت من ذكر غيرهم حزنا والما.

هذا (وكفى بربك هاديا ونصيرا)[2].

---

[1] الشيخ محمد الغزالي : ظلام من الغرب ص ٢٢٢.

[2] الفرقان : ٣١.

فهرس المصادر والمراجع والدوريات

اولا : المصادر

القرآن الكريم

كتب التفاسير :

1ـ **الاساس فى التفسير :** سعيد حوى .

2ـ **تفسير ابى السعود .**

3ـ **تفسير البحر المحيط :** ابو حيان الاندلسى .

4ـ **تفسير البغوى :** الحسين بن مسعود الفراء البغوى .

5ـ **تفسير الجلالين :** جلال الدي المحلى وجلال الدين السيوطى .

6ـ **تفسير جامع البيان :** محمد بن جوير الطبرى .

7ـ **تفسير الخازن :** علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى .

8ـ **تفسير روح المعانى :** الامام الالوسى .

9ـ **تفسير الفخر الرزاى .**

10ـ **تفسير القرآن العظيم :** ابن كثير.

11ـ **التفسير القرآنى للقرآن :** الشيخ عبد الكريم الخطيب .

12ـ **تفسير الكشاف :** الزمخشرى .

13ـ **تفسير محاسن التأويل :** محمد جمال الدين القاسمى .

14ـ **تفسير المراغى :** الشيخ احمد مصطفى المراغى .

15- **تفسير المنار :** الشيخ محمد جمال الدين القاسمى .

16- **حاشية السيجة زادة على البضاوى .**

17- **حاشية الشهاب على البيضاوى .**

18- **فى ظلال القرآن :** الشيخ سيد قطب .

19- **لباب النقول فى اسباب النزول :** جلال الدين السيوطى.

20- **مجمع البيان :** الطبرسى .

كتب الحديث:
٢١- سنن ابن ماجة.
22- سنن ابي داود.
٢٣- سنن الترمذ.
٢٤ - سنن النسائى.
٢٥- صحيح البخارى.
٢٦- صحيح مسلم.
٢٧ - صحيح مسلم بشرح النووي.
٢٨ - فتح البارى فى شرح صحيح البخاري
٢٩ - كنز العمال: المتقى: علاء الدين على المتقى.
٣٠ - مسند الامام احمد
مصادر اخرى:
٣١ - احياء علوم الدين : الامام الغزالي
٣٢ - اخبار القضاة : وكيع : محمد بن خلف بن حيان.
٣٣ - بدايه المجتهد ونهايه المقتصد : ابن رشد.
٣٤ - التعريفات : الشريف بن على بن احمد الجرجانى.
٣٥ - تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق : ابن مسكوية : احمد بن محمد بن يعقوب الرازى.
٣٦ - تاريخ الطبري : محمد بن جرير الطبري.
٣٧ -دائرة المعارف : المعلم بطرس البستاني.
٣٨ - الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر
٣٩- سيرة ابن هشام
٤٠- صفة الصفوة : ابن الجوزي
٤١ - طبقات الشافعية : السبكى : عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى.
٤٢- عجائب الآثار : عبد الرحمن الجبرتى
٤٣- الكامل في التاريخ : ابن الأثير
٤٤ - مذكرات المعلم نقولا الترك

٤٥- المعجم الوسيط
٤٦ - مقدمة ابن خلدون . ثانيا المراجع.
٤٧ - الاجتماع ودراسة المجتمع : د. كمال دسوقى.
٤٨- الاحداث المنحرفون : د. محمد جعفر.
٤٩ - الاديان والفرق : عبد القادر شيبة الحمد.
٥٠ -الازهر واثره فى النهضة الأدبية : د. محمد الفقى .
51 - اسس التربية الإسلامية في السنة النبوية د. عبد الحميد السعيد الزنتانى.
٥٢ -- الأسس النفسية والتربوية : د. عمر محمد التونى الشيباني .
53- الاسلام واصول الحكم : الشيخ على عبد الرازق.
٥٤ - الاسلام والضبط الاجتماعي : د. سلوى على سليم.
٥٥ - أساليب الغزو الفكرى : د. على جريشة.
٥٦ -- إصلاح المجتمع : محمد سالم البيجانى .
57- الاعمال الكاملة : لبيرم التونسى.
٥٨ - الفيه ابن مالك بشرح ابن عقيل
٥٩ - الامراض النفسية : د. احمد عزت راجح.
٦٠- بونابرت فى مصر : كريستوفر هيرالد ، ترجمة فؤاد اندراوس .
61- بائع الملوك : محمد حسن عبد الله .
62- بين العلماء والحكام فى الاسلام : عبد العزيز البدرى .
63- تذكرة الدعاة : البهى الخولى .
64- التربية وبناء الاجيال : انور الجندى
٦٥ - التصوير القرآنى للمجتمع : د. صلاح الفوال
٦٦ - التكفير والهجرة وجها لوجه : رجب مدكور
٦٧ - تهافت العلمانية : د. عماد الدين محمد خليل.
٦٨ - التوجيه الاجتماعى : د. عبد الرحمن بيصار
٦٩ - تاريخ الاصلاح في الأزهر : عبد المتعال الصعيدي .
70- تاريخ العرب الحديث والمعاصر : د. احمد عزت عبد الكريم.
٧١ - تاريخ المذاهب الاسلاميه : الشيخ محمد أبو زهرة.
٧٢ - تاريخ مصر الحديث : د. عمر عبد العزيز.
٧٣ - الجامع الأزهر : الشيخ محمود ابو العيون
٧٤ - الحكومة الفكرية ضد الاسلام : د. بركات عبد الفتاح دويدار
٧٥ - حصوننا مهددة من داخلها : محمد محمد حسين
٧٦ - الحكم وقضية تكفير المسلم : سالم البهنساوى
٧٧ - حلمك ي شيخ علام : انيس منصور
٧٨ - خطوات على طريق الاسلام : محمد حسين فضل الله
٧٩ -- الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي : د. نجيب اسكندر ابراهيم .
80- دراسات فى الصحة النفسية- ونفس وما سواها : د. نجيب اسكندر ابراهيم

٨١ - دراسات فى النفس الإنسانية : محمد قطب
٨٢ - الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالى بوجه خالص : د. عبد الكريم العثمانى .
٨٣ - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين : الشيخ محمد الغزالي
٨٤ - دع القلق وبدأ الحياة : دائن كارنجى
٨٥ -- الدعوة الإسلامية بين الجمود والتطرف : د. يوسف القرضاوي
٨٦ -- الدعوة الإسلامية تستقبل عامها الخامس عشر : الشيخ محمد الغزالي .
87- الدوافع والانفعالات : د. محمد مصطفى زيدان
٨٨ - ديوان بيرم التونسي : محمد محمود بيرم التونسى
٨٩ - الدين والتحليل النفسى : د. اريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل
٩٠ - رعاية المراهقين : يوسف ميخائيل اسعد
٩١ - فى الزنزانه : د. على محمد جريشة
٩٢ - الزواج والعلاقات الأسرية : د. سناء الخولى
٩٣ - السعادة والنجاح : سمير شيخانى
٩٤ - السلوك : د. عبد العزيز الدرينى
٩٥ - السلام فى الرسالات السماوية ، رسالة دكتوراه : د. بكر زكى عوض .
96- السيكوباثولوجى : د. يحيى الرخاوى
٩٧ - سيكولوجية ذوى العاهرات والمرضى : د. مختار حمزة
٩٨ - سيكولوجية الشك : يوسف ميخائيل اسعد .
٩٩ - السياسة والأزهر : د. فخر الدين الاحمدى الظواهرى
١٠٠ - الشباب فى الاعلام ، تقرير رقم ١٣ عن مجمع البحوث الإسلامية : د. يحيى هاشم حسن فرعل.
١٠١ -- الشخصية : محمد عطية الابراشى.
١٠٢ -- الشخصية السوية : د. سيد عبد الحميد مرسى.
١٠٣ -- الشخصية فى ضوء التحليل النفسى : د. فيصل عباس .
١٠٤ -- الشخصية الناجعة : سلامة موسى.
١٠٥ - شعوب اسلامية : د. عمر عبد العزيز.
١٠٦ - الشيخ لعبوط : محمود السعدنى (تمثيلية اذعية)
١٠٧ - الصحة العقلية : د. سعد جلال.
١٠٨ - الطب النفسى معناه وأبعاده : د : محمد محمد خليل.
١٠٩ - الطب النفسى المعاصر : د. أحمد عكاشة.
١١٠ - الطب النفسى النبوى : د. حسن محمد الشرقاوى.
١١١ - الطبيعة البشرية فى القرآن الكريم : د. لطفى بركات احمد.
١١٢ - الطفوله والثقافة والمجتمع : د. محمد سعيد فرج.
١١٣ - طرطوف : موليير ،نرجمو احمد الصاوى محمد.
١١٤ - ظلام من الغرب : الشيخ محمد الغزالي.

١١٥ - الظاهرة الأخلاقية : د. عثمان عبد المنعم عيش.
١١٦ -- الظاهرة الأخلاقية للوراثه : د. عثمان عبد المنعم عيش
١١٧ -- العداله الاجتماعيه : الشيخ سيد قطب
١١٨ -- عذابك له دواء : د. أحمد عكاشة .
119- العز بن عبد السلام : عبد الله الوهيبى.
١٢٠ - علم الاجتماع الريفى والحضرى : د. محمد الجوهرى ود . علياء شكرى.
١٢١ - علم السياسه : د. حسن صعب.
١٢٢ - علم النفس : د. محمد ابو العلا احمد ، و د.محمد خليفة بركات
١٢٣ - علم النفس والادب : د. سامى الدروى .
124 - علم النفس والانسان : د. عبد الرحمن محمد عيسوى.
١٢٥ - علم النفس التربوى : د. فؤاد ابو حطب.
١٢٦ - علم النفس التربوى : فاخر عاق.
١٢٧ - علم النفس التعليمى : حامد عبد القادر.
١٢٨ - علم النفس الدينى :سريل بيرت ، ترجمة سمير عبده.
١٢٩ - علم نفس الشواذ : شيلدون كاشدان ، ترجمة د. محمد عثمان نجاتى ، ود. احمد عبد العزيز سلام .
١٣٠ - علم النفس الصناعى : د. محمد عثمانى نجاتى .
131-علم النفس فى الصناعة : نورمان ماير ، ترجمة د. محمد عماد الدين اسماعيل وآخرين.
١٣٢ - الغارة على العالم الاسلامى : محب الدين الخطيب ومساعد اليافى .
133- غيوم تحجب الاسلام : د. محمد البهى.
١٣٤ - الفراغ : مصطفى المطعنى
١٣٥ - الفكر الاسلامي الحديث : د. محمد البهى .
136- الفكر التربوى في التراث العربى : ابو الفتوح رضوان.
١٣٧ - فى الادب الجاهلي : د. طه حسين.
١٣٨ - فى النفس والقرآن الكريم : د. عزت عبد العظيم الطويل
١٣٩ - قبل السقوط : د. فرج فودة
١٤٠ - قذائف الحق : الشيخ محمد الغزالي.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	5
المقدمة	7
تمهيد	13

الباب الأول

أثر الظروف الإجتماعية فى سلوك الداعية

الفصل الأول: أثر الأسرة فى حياة الداعية توريثاً وتربية	27
البيئة الصغرى (الأسرة)	27
علاقة الوراثة بالصفات الأخلاقية	35
دور الأسرة	38
هل يتأثر الذكاء بالبيئة	39
الفصل الثانى: الإعلام وأثر الصليبية فيه	47
الإعلام وموقف طلاب من وظيفة الداعية	47
جذور عداء أجهزة الإعلام المختلفة للدعوة الإسلامية ورجالها، ومراحل هذا العداء	49
التحرر النسائى	55
موقف الأزهر من الحملة الفرنسية	61

التبشير فى مصر بعد الحملة الفرنسية 62
الإعلام المصرى وأثر الصليبية فيه 65
1- المسرح 65
2- الإذاعة 71
3- السينما 76
4- الصحافة المصرية 79
سخرية أهل الباطل من الرسالات السماوية فى القرآن الكريم 87
الفصل الثالث: أثر الحكم الشرعى والحكم الوضعى على سلوك الداعية 95
تمهيد عن وحدة النظام الإلهى وضبط الشريعة الإسلامية للمجتمع 95
سلوك الدعاة وغيرهم من المسلمين أثناء تطبيق الحكم الشرعة 107
أثر الحكم الوضعى على الدعاة 116
سور الفهم القائم بين السلطة والدعاة 119
اضطهاد النظام الوضعى للدعاة 130
آثار الحكم الوضعى على سلوك الدعاة 139
الباب الثانى
أثر الظروف النفسية فى سلوك الداعية
الفص الأول: الشخصية السوية والشخصية المرضية وأثرهما سلبا وإيجابا 143
النفس فى القرآن 144
من صفات النفس البشرية فى القرآن الكريم 148
أولا: النفس السوية 148
صفات النفس السوية فى علم النفس 150
ثانيا: النفس المريضة 155

الأمراض النفسية 159
الأمل 169
التشاؤم 170
الفصل الثانى: مكتسبات الشخصية الفردية من الشخصية العامة 173
تأثر الأزهر الشريف بالمجتمع 173
أ- الأزهر الشريف فى الماضى 173
ب- وحدات المجتمع المؤثرة 177
1- المدينة: 177
أ- المسرح 178
ب- السينما 179
جـ- الملاهى 180
د- المؤسسات الفكرية 181
هـ- الأحزاب السياسية 182
و- الجماعات الإسلامية 186
ز- الطرق الصوفية 187
و- الأندية الرياضية 187
2- القرية 187
السمات المشتركة بين المدينة والقرية 188
1- الإذاعة المسموعة 188
2- الإذاعة المرئية 189
3- الصحف والمجلات 190

4- الكتب والمطبوعات 190
5- المدارس 192
6- نظام التعليم العلمانى 192
* الجامعة 197
التغيرات التى طرأت على الأزهر الشريف وعلى سلوك الداعية 198
أولا: الأزهر الشريف 198
ثانيا: مكتسبات الداعية من الشخصية العامة (المجتمع) 202
الفصل الثالث: دراسة النفس للوقاية والعلاج 205
نظرة الإسلام إلى النفس وأسباب الصراع النفسى 205
القرأن الكريم والعلاج النفسى 206
الاتزان النفسى 215
السنة النبوية والعلاج النفسى 217
العلاج النفسى عند علماء النفس الإسلاميين 220
العلاج النفسى عند علماء النفس بشكل عام 222
انواع العلاج النفسى 222
رأى علماء النفس فى الدين كعلاج للأمراض النفسية 224
الدين وعلم النفس 226

الباب الثالث

نماذج الانحراف الاجتماعى والنفسى

فى سلوك الداعية

الفصل الأول: التزمت والجمود فى العمل والسلوك والإفتاء 235
الأزهر الشريف وعوامل الجمود 239

1- عوامل الجمود فى الأزهر الشريف 239
2- أسباب جمود الناحية العلمية فى الأزهر الشريف 241
3- مظاهر الجمود والتزمت 244
الجماعات الإسلامية 248
* الأمور التى مهدت لقيام الجماعات الإسلامية 248
* من مظاهرات التزمت والجمود عند بعض الجماعات الإسلامية 248
* أسباب الجمود 251
* رأيهم فى المساجد 251
الفصل الثانى: المشاركة العامة واستباحة المجالس المحرمة 253
حكم مجالسة العصاه 253
المجالس الطبية والصبر عليها 257
المثلية للجلساء 259
أثر المجالس المحرمة على من يجلس فيها 261
الجليس الصالح والجليس السوء 262
الفصل الثالث: تحريف الدعوة والتلون بها 265
نماذج من إنحراف بعض الدعاة بالدعوة والتلون بها 266
* النموذج الأول (من القرآن الكريم) 266
* النموذج الثانى (فى الحديث الشريف) 271
* النموذج الثالث (فى العصر الحديث) 272
*النموذج الرابع (فى الوقت الحاضر) 275
* النموذج الخامس (فى الوقت الحاضر) 276
فهرس المصادر والمراجع 279
فهرس الموضوعات 287